الجمـــهوريـــة الجزائـــريـــة الديـــمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –

كلية الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

شعبة : النحو والصرف

الموضوع :

الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف عند نحاة الأندلس

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في النحو والصرف

إعداد الطالبة :

سميرة جداين

إشـــراف:

أ.د. عبد الجليل مرتاض

أعضاء لجنة المناقشة :

– أ.د. المهـــدي بوروبـــة	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمســـان رئيســـا
– أ.د. عبد الجليل مرتاض	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمســـان مشرفـــا
– أ.د. محمـــد عبـــاس	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمســـان عضـــوا
– د. عبد الناصر بـــوعلي	أستاذ محـــاضـــر (أ)	جامعة تلمســـان عضـــوا
– د. سعـــاد بسنـــاسي	أستاذة محـــاضرة (أ)	جامعة وهـــران عضـــوا

السنة الجامعية : 1430-1431هـ/2009-2010م.

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

اهتم نحاتنا العرب منذ القديم باللغة العربية وقدّسوها باعتبارها لغة القرآن الكريم، فاهتموا بدراستها و وضعوا لها القواعد حتى تُحفظ الألسنة الناطقة بها من الزلل، وحتى يتجاوز الناطقون بها اللحن وهم يقرأون القرآن الكريم. ولوضع هذه القواعد كان على أولئك النحاة أن يَرجعوا إلى مصادر موثوقة لينهلوا منها ويستشهدوا بها، وتمثلت هذه المصادر في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف ،وكلام العرب من شعر ونثر، حيث حدَّدوا القبائل التي يُؤخذ عنها، فكانوا كلّما استعصت عليهم قاعدة نحوية ،لجأوا لهذه المصادر ليستشهدوا بها ويدعموا بها آراءهم وقواعدهم ،إلا أن هؤلاء النحاة كانوا يفضلون الاستشهاد بكلام العرب الأقحاح البعيدين كل البعد عن باقي الأمم الأجنبية، في حين قلَّ استشهادهم بالقرآن الكريم ؛وهوكلام الله المقدس، الذي لا يُعلى عليه أي كلام، والأمر نفسه مع الحديث النبوي حتى جاءالأندلسيون وبخاصةٍ المتأخرين منهم.

وبما أن موضوع الشاهدالنحوي في اللغة العربية،هو موضوعٌ واسعٌ وشيّقٌ، ويحمل الكثير من الآراء النحوية، ارتأيت أن أبحث فيه لأقدّم دراسة مبسطة تكون حلقة جديدة تضاف إلى سلسلة البحوث المنجزة في هذا المجال،وما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع هو:

ـ ندرة الدراسات والبحوث التي تناولت الشاهد من الحديث.

ـ ميولي إلى دراسة وتتبع الشواهد النحوية المعتمدة من قبل النحاة المشارقة والمغاربة في تقعيدهم للنحو العربي.وكذا شغفي لمعرفة الأسباب التي دفعت النحاة الأندلسيين إلى الإكثار من الاستشهاد بالأحاديث .

فانطلقتُ في هذه الدراسة من مجموعة من التساؤلات ، حاولت أن أجيب عنها في بحثي، و تمثّلت في :

_ما موقف النحاة الأندلسيين من الأخذ بأصول النحو عامة وبالحديث النبوي خاصة؟

_ لماذا لم يَجر علماء الأندلس من النحاة مجرى سابقيهم من مدرستي البصرة والكوفة في عملية الاستشهاد بالحديث النبوي وغيره من شواهد النحو؟.

_ ما السر في عدم استشهاد النحاة القدامى بالحديث النبوي الشريف ؟ وهل نحاة الأندلس أنفسهم اتفقوا في قضية الاستشهاد بالحديث؟كلّ هذه التساؤلات سأحاول الإجابة عنها في متن البحث .

وبعد جمع المادة وتصنيفها، أفضى بي البحث إلى توزيعها وعرضها في مدخل وثلاثة فصول، استهللته بمقدّمة وذيّلته بخاتمة . أماالمدخل ،فوقفت فيه على مراحل الحكم العربي في بلاد الأندلس حتى يسهُل علي الاطلاع على الحياة الفكرية التي اتسمت بها كل مرحلة،وهذا ساعدني كثيرا على فهم عدة أمور ،من بينها :بمن تأثرعلماء الأندلس الأوائل وبخاصةٍ علماء اللغة والنحو،وهل كانوا تابعين في علومهم أم مجددين ؟

وأفردت الفصل الأوّل للحديث عن خلفية المدرسة الأندلسية، وقسَّمته إلى مبحثين، المبحث الأول كان للنحو: النشأة والتطوّر، أما المبحث الآخر، فكان للحديث عن المدارس النحوية التي مَهَّدت لظهور المدرسة الأندلسية، فتحدثت فيه عن نشأة هذه المدارس، مع ذكر بعض الأعلام من كل مدرسة،وأيضا حاولت أن أقف وقفة قصيرة على منهج كل واحدة منها ،ثم ختمته بالحديث عن بعض الأعلام الذين

كان لهم كبير الأثر في نشأة المدرسة الأندلسية ،وبعدها عرضتُ المنهج الذي تميزت به هذه المدرسة.

في حين خصّصت الفصل الثاني للكلام عن الاستشهاد اللغوي عند نحاة الأندلس، وتم ذلك في ثلاثة مباحث، خصصت الأول للحديث عن مناطق وعصر الاستشهاد،فوقفت فيه على هذا الأخير وحاولت أن أبين الفرق بينه وبين التمثيل والاحتجاج، ثم تطرقت إلى مناطق وعصر الاستشهاد، أما ثاني هذه المباحث فخَصّصته للحديث عن مصادر الاستشهاد عند نحاة الأندلس، والتي تمثلت في كلام العرب ، وفي القرآن الكريم،وفي الحديث النبوي الشريف؛ الذي ركزت عليه كثيرا؛ بحكم أنّه يُعدّ أهمّ خاصية ميّزت مَنهج المدرسة الأندلسية، مهّدتُ له بمقدّمة ضمَّنتُها تعريف الحديث، وأقسامه ودرجاته،بالإضافة إلى الوقوف على الأهمية التي نالها الحديث النبوي عند علماء الحديث و الدقّة التي اتبعوها في تدوينه، وهو ما جعل نحاة الأندلس يعتمدونه كأصل في التقعيد النحوي. كما تطرّقت في هذا المبحث إلى الحديث عن أوّل من تنبّه لظاهرة انصراف علماء النحو المتقدّمين عن الاستشهاد بالحديث، وكذا السبب في كثرة استشهاد نحاة الأندلس به، أمّا ثالث المباحث، فكان لعَرضِ مواقف نحاة الأندلس من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، والتي تنوّعت بين مجيز له، وبين معترض ومتوسّط.

أما الفصل الثالث فقد جاء بعنوان:الاستشهاد بالحديث في كتاب "شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح".ومثّل هذا الفصل الجانب التطبيقي من البحث،وقد وقع اختياري على هذا الكتاب؛ لأنّه من خيرة الأصول التي اهتمت بقضية الاستشهاد بالحديث، ومؤلِفه ابن مالك من خيرة علماء الأندلس ؛لِما عُرِف به من اجتهاد وتجديد في علوم اللغة ،حيث يعود له الفضل في تهذيب النحو العربي وإخراجه بشكله المتكامل الواضح بعيدا عن الغموض والتعقيد،وتناولته في مبحثين رئيسين، المبحث الأول كان لعرض منهج كتاب شواهد التوضيح ، تطرّقت فيه إلى

مادة الكتاب وأسلوبه، إضافة إلى طريقة البحث فيه ،ثم تحدثت عن الشواهد والاستشهاد في هذا المصنَّف، أما المبحث الثاني فخصّصته لذكر مواطن استشهاد ابن مالك بالحديث من خلال دراسة المسائل النحوية التي ناقشها في هذا المؤلَّفِ.

ثم أنهيت المذكرة بخاتمة لخصت فيها أهمَّ النتائج المتوصل إليها في هذا البحث.

و قد اقتضت طبيعة الموضوع أيضا تعدّد المناهج، فهذا الموضوع لا يمكن أن يَحصُر نفسه ضمن منهج علميّ واحد ؛ ذلك أنّ دراسة مصادر الاستشهاد في النحو الأندلسيّ لا بدّ لها من المنهج التاريخي؛ بحيث راعيت الترتيب الزمني في عرض آراء النحاة. إضافة إلى المنهج المقارن؛ الذي تطلّبه بيان كثرة الاستشهاد بالحديث عند الأندلسيين مثلا ، وقلّته عند غيرهم من نحاة المدارس الأخرى .والمنهج التحليلي الوصفي الذي يظهر في الفصل الثالث.

وقد استأنست في هذا البحث بجملة من المصادر والمراجع ؛ التي تنوعت بين القديم والحديث،:فمن القديم أذكر "الكتاب" لسيبويه، و"الإنصاف في مسائل الخلاف" للأنباري و "شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح" لابن مالك، وكتابَا: " تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد"و" شرح التسهيل " للمؤلف نفسه . إضافة إلى" أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك" لابن هشام الأنصاري، دون أن أنسى المكاتبة التي جرت بين بدر الدين الدماميني وسراج الدين البُلقيني، الموسومة: "الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة على إثبات القواعد النحوية".

ومن الكتب الحديثة التي تناولت بالدراسة موضوع البحث أذكر: مؤلفات خديجة الحديثي، بخاصة كتاب "موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث"، وكتاب" أبو حيان النحوي"، إضافة إلى مؤلَّف لـــ ألبير مطلق، يحمل عنوان: "الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر الملوك الطوائف" ومؤلَّف لمحمود فجال ،بعنوان "الحديث النبوي في النحو العربي"، "، و كتاب لأحمد البنا، وسمَه: "السهيلي ومذهبه النحوي"، بالإضافة إلى محاضرات أستاذي المهدي بوروبة؛التي تلقيتها في

مراحل دراسية سابقة و التي أعانتني كثيرا في رسم خطة البحث، لا سيما ماتعلّق بالفصل الثاني.

أما الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث، فتمثّلت في صعوبة التعامل مع كتب الحديث والمسانيد، إضافة إلى صعوبة الترجيح بين الروايات المختلفة والمتناقضة أحيانا، وأكبر صعوبة واجهتني في هذا البحث، هي قلة توفّر مؤلّفات نحاة الأندلس؛ مما خلق عندي إشكالا في تدعيم الجانب التطبيقي من هذا البحث.

وختاما أتقدّم بخالص الشكر والتقدير للأستاذ المشرف:الدكتور عبد الجليل مرتاض؛ الذي تكفّل البحث بالعناية والرعاية ،ولم يبخل علي بأي توجيه أومساعدة طوال فترة إعدادي لهذه المذكرة،فأسأل الله أن يبارك له في عمره وولده وماله.

كما أشكر أعضاء لجنة المناقشة الذين تكبدوا عناء قراءة هذا العمل وتقويمه،فجازاهم الله عني كل خير.

بتاريخ: 2010/04/01 .

سميرة جداين ـــ تلمسان ـــ

niتاريخ الأندلس موضوع تناولته كثير من المؤلفات ، ومع هذا فلا بد من الترجمة له ؛ حتى تكون الدراسة شاملة متكاملة ، ولذلك رأيت أن أتحدّث باختصار و بإيجاز عن تاريخ المسلمين في الأندلس، مركّزة على أهمّ ما ميّز هذه الحقبة من الناحية السياسية ثم الفكرية؛ فحاولت أن أقف وقفة موجزة على تاريخ الأندلس ومراحل الحكم العربي فيها، حتى يتسنى لي فيما بعد أن أتحدّث عن الحالة الفكرية والثقافية لكلّ مرحلة، وحتى يتّضح ما سيتم إيراده بإذن الله تعالى في فصول هذه المذكرة .

1- الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس :

لقد كان الفتح الإسلامي في الأندلس سنة اثنتين وتسعين للهجرة بفضل طارق بن زياد(ت102هـــ)؛ الذي خلّد التاريخ اسمه بسبب هذا الفتح العظيم؛ حيث تذكر الروايات أنّ **طارق** ركب البحر إلى الأندلس من جهة مجاز الجزيرة الخضراء ، منتهزا لفرصة أمكنته، وذلك أنّ الذي كان يملك ساحل الجزيرة الخضراء وأعمالها من الروم خطب إلى الملك الأعظم ابنته فأغضب ذلك الملك ونال منه وتوّعده، فلما بلغه ذلك جمع جموعا عظيمة وخرج يقصد بلد الملك، فبلغ **طارق** خلُوَّ تلك الجهة فهذه هي الفرصة التي أُتيحت لطارق بن زياد"[1].

2- مراحل الحكم العربي:

دام حكم العرب في اسبانية ثمانية قرون من سنة (92 هـــ/ 711 مـــ - 898 هـــ / 1492مـــ) و مثّلت هذه المرحلة العصر الذهبي في تاريخ الأندلس ، وقد مر حكم العرب في الأندلس بعدة مراحل:

2 ــ 1 : عصر الولاة أو ما قبل عبد الرحمن الداخل :بدأ عصر الولاة في الأندلس **بطارق بن زياد** ثم **بموسى بن نصير**(ت97هـــ) ثم **بعبد العزيز بن موسى بن نصير(ت97هـــ)**، و بعد أن مرَّ على مقتل هذا الأخير نحو ستة أشهر[2] أصبح الاضطراب السياسي هو العنوان

---

[1] – المراكشي، عبد الواحد ، "المعجب في تلخيص أخبار المغرب "، تحقيق: محمد زينهم، محمد عزب،دار الفرجاني، القاهرة، دط، دت، ص: 17.

[2] – جورج غريب ، "العرب في الأندلس"، سلسلة الموسوع في الأدب العربي، دار الثقافة، بيروت ــ لبنان، (د.ط)، (د.ت) ، ص: 13

الرئيس في هذه الولاية [1]، والأمويّون غافلون عن إرسال من يتعهد أمر الولاية ؛ فإذا بزعماء البربر يختارون لتلك المهمّة **أيوب بن حبيب اللخمي**، أحد أقرباء **موسى بن نصير**، على أنّ محمد بن يزيد عامل افريقية من قبل الخليفة **سليمان بن عبد الملك** عزله بعد مدة قصيرة واستخلفه **بالحر بن عبد الرحمن الثقفي**. وظل الولاة يتعاقبون على الأندلس [2] بتعيين من دمشق مباشرة ، أو من والي إفريقية أو والي مصر [3]، واستغرق عصرهم حوالي 42 سنة ، تولّى حكم الأندلس خلالها بعد موسى وطارق عشرون واليا .[4]

ونجد أنّ عصر الولاة قد مثّل في الأندلس التحوّل والانتقال إلى حياة جديدة خيّرة فيها التنوّر والامتداد في الغروس الثابتة النيرة وهو هدف أصيل [5]،حيث اهتم الحكام بتنظيم البلاد وإدارتها وحسن السياسة للرعية، والقيام بالإصلاحات اللازمة [6]. فراحوا يوغلون في الفتوحات حتى بلغوا سهول إبواتِيه في قلب فرنسا ، وعندها ردَّتهم جيوش الفرنجة بقيادة **شارل مارتل** ، وكان ذلك عام 114 هـــ/ 732 مـــ ، وترامى إلى سمع العرب في المشرق ما كان من فتح الأندلس الخصبة الغنية ، فتقاطروا إليها حاملين معهم عصبيّتهم القبلية ومنازعاتهم الحزبية، فاندلعت الفتنة بين المسلمين من قحطانية وعدنانية أو قيسية ويمانية ، وتفاقم بذلك الشر [7].فكانت هذه المرحلة من أصعب المراحل التاريخية التي مرت بها الأندلس بعد الفتح؛ ذلك أنّها اتسمت بالفوضى وعدم الاستقرار ، وبالانقسام الداخلي والفتن المتواصلة بين العرب

---

[1] – إبراهيم بيضون، "الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة 92 هـــ - 466 هـــ، 711 مـــ / 1031 مـــ"، دار النهضة العربية، بيروت ـــ لبنان، 1980مـــ، ص: 91.

[2] – جورج غريب، "العرب في الأندلس"، ص: 13.

[3] – محمد رضوان الداية ، "في الأدب الأندلسي"، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د.ت)، ص: 29.

[4] – يُنظر: المقرّي، أحمد بن محمد التلمساني، " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب "، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ـــ لبنان، دط، 1408هـــ/1988مـــ، 1/ 299 .

[5] – يُنظر: عبد الرحمن علي الحجي ، "التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة"، دار العلم، دمشق، ط 2، 1429 هـــ، 2008 مـــ، ص: 135.

[6] – يُنظر: "عبد الرحمن علي الحجي"، المرجع نفسه"، ص: 137.

[7] – جورج غريب، "العرب في الأندلس"، ص: 13.

والبربر من جهة ، وبين العرب أنفسهم أحيانا ، وبين المسلمين عموما والفرنجة من جهة أخرى.[1]

ويتضّح هذا جليّا من القائمة الطويلة للحكام الذين لم يطل بهم المقام حتى حصدهم العزل أو القتل أو الهرب ، وبطبيعة الحال فإنه عهدٌ عسكريّ خالص له مهماته القتالية اتسم بالصراع الذي لم يكن لينتهي حتى يبدأ من جديد .[2]

وخلال هذه الفترة كان الأمويون في الشرق قد ضعُفوا أمام استفحال الدولة العباسية فباتوا عاجزين عن ضبط ولاياتهم البعيدة ، وباتت الأندلس معهم في حالة اضطراب [3]، وفوضى وفوضى يتلاعب بها الجند على هواهم .

2-2: عصر بني أمية (138 هـ /755 م - 422 هـ/1030 م) : أبت الأقدار أن تنطوي أعلام البيت الأموي في الشرق إلا لتحلّق في سماء الغرب ناشرة في الخافقين مجد الإسلام وحضارته،فبعد أن قتل العباسيون مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية سنة اثنتين وثلاثين ومائة ،وتتبعو بني مروان بالقتل فقُتِل منهم خلق كثير وفرّ آخرون ، وكان من بين الفارين عبد الرحمن بن معاوية بن هشام(ت 172هـ) [4]. فقصد المغرب مستخفيا ؛ حيث لقي من أخواله البربر رعاية وحسن ضيافة ، ومن موالي المروانية في الأندلس نصرا وشد أزر ؛ **مسهّلين له دخول البلاد وموطّنين له عرش قرطبة، ولضعف الدعوة العباسية في** الأندلس قُدِّر **لعبد الرحمن** أن يخضع البلاد كلها لسلطانه[5]، بعد أن صفا له الجوّ وصار له أمر الأندلس كله بغير منازع ، وانتهى على يديه العصر الأول من عصر الأندلس الإسلامية ، وهو عصر

---

[1] - قيصر مصطفى، "حول الأدب الأندلسي"، مؤسسة الأشرف للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ،لبنان ،دط،دت،ص: 21، ويُنظر: حنا الفاخوري، "الموجز في الأدب وتاريخه"، "الأدب في الأندلس والمغرب: أدب الانحطاط"، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط3، 2003 م، 1424 هـ، ص: 14. ويُنظر: حسين مؤنس، "فجر الأندلس: دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711 هـ - 756 م)"، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2006 م، 1423 هـ، ص205

[2] - يُنظر: قيصر مصطفى، "حول الأدب الأندلسي"، ص: 21.

[3] - جورج غريب، "العرب في الأندلس"،ص 13

[4] - يُنظر: المقري ، "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب"،1/ 327 ، 328.

[5] - جورج غريب، "العرب في الأندلس"، ص: 14.

الولاة[1]، فعُرف بـــ"الداخل" و"بصقر قريش"، وكانت مدّة ملكه من سنة 138 هـــ/755مـــ إلى سنة 172 هـــ / 788 مـــ.

ومن أعمال **عبد الرحمن بن معاوية:** قطع الخطبة عن بني العباس والدعاء له على المنابر، وبناء المسجد الجامع في قرطبة [2] ؛ التي جعل منها عاصمة ملكه [3]، وإقامة مدينة الرصافة على مثال رصافة جدّه هشام في الشام وجعل بلاطه مَجْلى الأبهة والبهاء [4]. فتمكن بدهائه وألمعيته أن يبني للأمويين ملكا جديدا وصرحا شامخا في المغرب بعد زوال ملكهم في المشرق [5]، وهكذا وبعد أن دخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الأندلس طريدا وحيدا لا أهل له ولا مال[6]، استطاع بفضل دهائه وحكمته وشجاعته أن يسيطر على الحكم فيها واستمر على هذه هذه الحال حاكما للأندلس أربعا وثلاثين سنة حتى سنة 172 هـــ - 788 مـــ، وخلال الفترة التي حكم فيها عبد الرحمن الداخل الأندلس صارت هذه الأخيرة تتمتع من الناحيتين السياسية والاجتماعية بصفات الدولة القوية المنظمة، وبهذا تكون الأندلس الإسلامية قد نعمت بوحدتها لأول مرة تحت سلطة رجل فولاذي حكمتها قرابة خمس وثلاثين عاما ثم توالت رجالات بني أمية من أحفاد عبد الرحمن على حكم الأندلس حتى بداية القرن الخامس الهجري[7].

2 ــ 3: عصر الملوك الطوائف: بعد اختلال دعوة بني أمية في الأندلس فإن أهلها تفرقوا فِرَقًا وتغلب على كل جهة منها متغلب وضبط كل متغلب منهم ما تغلب عليه [8] وتقاسموا ألقاب الخلافة فمنهم من تسمّى بالمعتضد، وبعضهم تسمى بالمأمون، وآخر بالمستعين والمقتدر والمعتصم والمعتمد والموفق والمتوكل إلى غير ذلك من الألقاب الخلافية .

---

[1] – حسين مؤنس، "فجر الأندلس"، ص: 687.

[2] – جورج غريب، "العرب في الأندلس"، ص: 14.

[3] – يُنظر: المقري التلمساني، "نفح الطيب"، 1/ 329.

[4] – جورج غريب، ، "العرب في الأندلس"، ص: 14.

[5] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه"، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1989 مـــ،ص: 19.

[6] – يُنظر: عبد الواحد المراكشي، "المعجب في تلخيص أخبار المغرب"، ص: 27.

[7] – قيصر مصطفى، "حول الأدب الأندلسي"، ص: 24 .

[8] – عبد الواحد المراكشي، "المعجب في تلخيص أخبار المغرب"، ص: 72، ويُنظر: عبد الرحمن علي الحجي، "التاريخ ألأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة"، ص: 351 .

إذا، بانتهاء الحكم المرواني صار كل من يجد في نفسه القدرة على القفز إلى السلطة من الأمراء والرؤساء يستولي على إمارته، ويستقل بها ثم يسميها دولة وينصب نفسه ملكا عليها، ويتخذ من أهم مدنها عاصمة له، ومن أهم هذه الدويلات[1].

2 ــ 3 ــ 1 :الدولة الزيرية : في غرناطة ، استقلت زمن خلافة المرتضي (403هـــ/1012مـــ - 483 هـــ/ 1090 مـــ).

2 ــ 3 ــ 2: الدولة الحمودية: في قرطبة ومالقة والجزيرة الخضراء، استقلت في عهد المستعين وهي شيعية مغربية إدريسية من سلالة الحسن بن علي مدة حكمها من سنة 407 هـــ / 1016 مـــ إلى سنة 450 هـــ / 1058 مـــ.

2 ــ 3 ــ 3: الدولة الهودية : في سرقسطة وهي دولة عربية (410 هـــ / 1019 مـــ - 536 هـــ / 1141 مـــ)، ومن ملوكها: المقتدر بالله والمؤتمن.

2ــ 3 ــ 4: الدولة العامرية في بلنسية: (412 هـــ - 478 هـــ/ 1021 مـــ / 1085 مـــ)[2] وهم من مولى بني عامر[3].

2 ــ 3 ــ 5: الدولة العبادية: في اشبيلية (414هـــ - 484 هـــ/ 1023 مـــ/ 1091مـــ) وهي دولة عربية من لخم من ولد النعمان بن المنذر وهي من أعظم الدول في القوة الحربية والسياسية ومن أعظمها في تشجيع العلم والأدب.

2 ــ 3 ــ 6: دولة بني الأفطس: في بطليوس،وهي دولة بربرية(421 هـــ/ 1030 مـــ - 487 هـــ/ 1094 مـــ) وكانت دولة ذات حضارة في العلوم والآداب[4].

2 ــ 3 ــ 7: الدولة الجهورية في قرطبة: قامت بعد سقوط الدولة الأموية (422هـــ/ 1030 مـــ - 461 هـــ/ - 1068 مـــ).

---

[1] – ينظر ابن خلدون، عبد الرحمان " تاريخ العلامة ابن خلدون " ، تقديم: عبد الهادي بن منصور، وعبد القادر بو زيدة، وأحمد هني، موفم للنشر، الجزائر، (د ط) ،1995، 115/2 .

[2] – جورج غريب، "العرب في الأندلس"، ص:17

[3] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه "، ص: 24 ، وينظر جورج غريب "العرب في الأندلس"، ص:17 .

[4] – يُنظر: محمد علي سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه " ص: 25، وجورج غريب، "العرب في الأندلس"، ص: 18، ومحمد رضوان الداية، "في الأدب الأندلسي"، ص: 35.

2 ــ 3 ــ 8: دولة ذي النون: وهي دولة بربرية (427 هـــ / 1035 مـــ - 478 هـــ/ - 1085مـــ)[1]، والجدير بالذكر أن أهم مميزات هذه الدويلات كثرة الحروب التي أشعلوها فيما بينهم طلبا للتوسع والمجد الشخصي، الغلبة فيها للقوي على حساب الضعيف فيضم مملكته إلى ملكهِ أو يضم جزئا منها كما حدث وأزال "بنو عباد" مُلك "بني جهور" في قرطبة[2].

وما يزيد الطين بلّة أنّ التاريخ قد سجّل على بعض هذه الدويلات أمورا تشعرنا بالخزي والعار حيث أنهم تجرأوا واستعانوا بملوك الفرنجة لمساعدتهم في القضاء على مناوئيهم من إخوانهم المسلمين، وكنتيجة طبيعية لهذه الخلافات والتراعات استولى الفرنجة على كثير من بلاد الأندلس واحدة بعد الأخرى[3]، وعلى الرغم من سوء الحال السياسية في عهد ملوك الطوائف فإن ذلك لم يمنع العلوم والآداب من أن تنعم بنهضة مباركة[4].

دام أمر الطوائف حوالي مائة سنة (تقريبا)، استطاع في أواخرها ملوك الفرنجة أن يجمعوا كلمتهم ويوحدوا صفوفهم على حساب تشتّت وتفرّق كلمة وصفوف المسلمين، فهاجم الفرنجة هذه الدويلات واستولوا على معظمها واحدة تلو الأخرى حتى بلغوا اشبيلية حاضرة بني عباد، وضايقوا المعتمد مما دفعه إلى طلب النجدة من أمير المرابطين بالمغرب فجاء يوسف بن تاشفين(ت510هـــ) بجيشه الباسل وأسقط ملوك الطوائف عدا دولة سرقسطة لأن صاحبها اعتصم بالفرنجة فحموه حينا إلى أن تمكن منها المرابطون سنة 503 هـــ/ 1109 مـــ[5].

2 ــ 4: عصر المرابطين (448 هـــ / 1147 مـــ ــ 541 هـــ/ 1056 مـــ):

موطنهم في إفريقيا في الصحراء الغربية (موريتانيا) من صنهاجة وتُعرف بصنهاجة اللثام.[6]

---

[1] – جورج غريب، "العرب في الأندلس"، ص: 18.

[2] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه "، ص: 25.

[3] – علي محمد سلامة، " الأدب العربي في الأندلس: تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه " ، ص: 25 .

[4] – جورج غريب، "العرب في الأندلس"، ص: 18.

[5] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه " ، ص: 26 .

[6] – محمود السيد، "الفتوحات الإسلامية"، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ط)، 2001، ص: 85 ــ 86 .

وإزاء الضعف الذي آلت إليه بلاد الأندلس، استنجد أهلها بـــ (يوسف بن تاشفين)برسالة كتبها المعتمد بن عباد يخبره فيها بحال الأندلس الذي أصبح مزريا فلبى يوسف نداء الأخوة الإسلامية واستغاثة المستجير وعبر إليهم بجيش المرابطين لإنقاذهم مرتين ،كانت الأولى سنة[1] 479 هـــ/ 1086 مـــ والثانية تمت سنة 483 هـــ/ 1090 مـــ، وانتصر على الفرنجة انتصارات ساحقة وخاصة في موقعة "الزلاقة" الشهيرة في رجب سنة 479 هـــ/ 1086 مـــ وفي النهاية استطاع أن يقضي على ملوك الطوائف وضم الأندلس إلى ملكه بعد أن أسر "المعتمد"[2]، وحملته السفن إلى "أغمات"؛ حيث أمضى آخر أيامه[3].

وفي سنة 500 هـــ / 1106 مـــ مات **يوسف بن تاشفين** بعد أن استكانت له الأندلس وباتت ولاية للمرابطين ،وخلفه في إمارة المسلمين ولده "علي" الذي انتقل إلى مراكش تاركا أخاه "تميما" نائبا عنه في الأندلس. وفي أيام علي ظهر في جبال المصامدة بالمغرب الأقصى المهدي محمد بن تومرت فكان ظهوره سببا لقيام دولة الموحدين التي جرت الوبال على دولة المرابطين[4]، ودام حكم المرابطين في الأندلس ستين عاما، فيها نشأت الحركة الفكرية وبرز وبرز أكابر العلماء[5].

2 ــ 5: عصر الموحدين:كان المرابطون قساة القلب جفاة الطبع فتجافوا بأنفسهم عن الأدب والتسامح فتعصبوا مذهبيا لمذهب مالك وكرهوا ما عاداه من المذاهب فانكشفت عنهم الجموع وتطلعت بأعناقها إلى دولة أخرى، وكانت هذه الدولة قد بدأت في التروع في إفريقيا وفي صحراء المغرب حيث ظهر الموحدون وهم أصحاب محمد بن تومرت(ت524هـــ)[6*] الذي نشأ في جبل السوس بالمغرب الأقصى بين قومه قبيلة مصمودة

---

[1] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه "، ص: 27 .

[2] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه "، ص: 28.

[3] – جورج غريب، "العرب في الأندلس"، ص: 20.

[4] – جورج غريب، المرجع نفسه، ص: 21.

[5] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه "، ص: 28.

[*] – أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت، المنعوت بالمهدي الهرغي صاحب دعوة عبد المؤمن بن علي بالمغرب، يُنظر: وفيات الأعيان، 5/ 45.

[6] – قيصر مصطفى، "حول الأدب الأندلسي"، ص: 32 ــ33.

وهي قبيلة شديدة البأس كثيرة العدد، وكان شجاعا فصيحا في اللسان العربي والمغربي[1]، ولذلك فإن مدارس المغرب لم تشبع نهمه إلى العلم فقصد بغداد وتلمذ لحجة

الإسلام أبي حامد الغزالي(ت505هـــ) في المدرسة النظامية وعاد بطريقة أطلق عليها اسم التوحيد، تدعو إلى إتباع الشرع وإحكام السنة و إلى مقاومة الحكام الفاسدين فانقاد له الكثير من قومه؛ فعرفوا بالموحدين[2].

كان محمد بن تومرت فتى تقيا وصالحا منذ حداثته كما كان ثوريا بالمعنى الحديث لهذه الكلمة، فتبعه قومه وقالوا له أنت المهدي المنتظر وبايعوه على ذلك وأعلن الموحدون الجهاد على المرابطين فغلبوهم في إفريقيا ثم طاردوهم في الأندلس حتى أخرجوهم منها[3].

مات محمد سنة 524هـــ وقومه يحاصرون مراكش ويجاهدون المرابطين، وكان قد أوصى لعبد المؤمن بن علي اقرب صحابته العشرة إليه فبايعه الموحدون بالخلافة ولقبوه بأمير المؤمنين فأقام دولتهم على أنقاض دولة المرابطين، وامتلك الأندلس وجعلها إحدى ولاياته [4]، وتعاقب على دولة الموحدين بعد المهدي خليفتان بلغت معهما الدولة ذروة مجدها، يكفي الأول منهما أن يكون قد استقدم إلى بلاطه الفلاسفة أمثال ابن طفيل وابن رشد وأن يكون من آثاره العمرانية منارة الجامع الكبير في اشبيلية[5]، وقد دام ملك الموحدين نحو مائة وثلاثين سنة وفي نهايتها تمكن النصارى من قهرهم وإخراجهم من الأندلس والاستيلاء على أكثر إماراتها[6]،بعد أن ظهرت فترة اتسمت بالتشرذم والتشتت والضعف مشابهة لتلك التي كانت في عصر الطوائف؛ مما ساعد على تكالب العدوّ على البلاد والعباد[7].

---

[1] – يُنظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي علي بكر بن خلكان (681 هـــ)، "وفيات ألأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان"، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 46/5.

[2] – جورج غريب، "العرب في الأندلس"، ص: 22.

[3] – قيصر مصطفى ، "حول الأدب الأندلسي"، ص : 32 ــ33 .

[4] – جورج غريب، "العرب في الأندلس"، ص: 22.

[5] – المرجع نفسه، ص: 23، ويُنظر: محمد رضوان الداية، "في الأدب الأندلسي"، ص: 37 ــ38.

[6] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه "، ص: 30.

[7] – يُنظر: محمد رضوان الداية، "في الأدب الأندلسي"، ص: 38.

2 ــ 6: عصر بني الأحمر (635 هــ / 1237 مــ ــ 898 هــ/ 2 1492 مــ)

مع ضعف الموحدين في المغرب والأندلس ظهر على الساحة عدد من الطامعين من الولاة والقادة وغيرهم، فثار عليهم محمد بن يوسف بن هود الجُذامي (أصله من سرقسطة)، كان في مرسية وأطاعته مدن كثيرة ،مثل مرسية وقرطبة واشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية، وغيرها .[1]

وتصدى لمنافسة ابن هود على حكم بقايا الأندلس رجل من قرطبة هو محمد بن يوسف بن نصر وعُرفوا ببني الأحمر، فاستبد بحكم غرناطة سنة 529 هــ وتنافسا وأضاعا مدنا وحصونا في أيدي العدو؛ الذي استنجدوا به؛"فرديناند الثالث ملك قشتالة وولده **ألفونسو** التاسع ملك ليون."[2]

فكان القرن السابع عصر انهيار حقيقي، وكان عصر بني الأحمر الصحوة العربية الإسلامية الأخيرة في الفردوس الأندلسي، واستمرت دولتهم أكثر من قرنين ونصف قرن من الزمان وكانت مدة حكمهم تجمع بين الجهاد والمقاومة والهجوم والدفاع على امتداد زمانهم من جهة وبين النهضة المجددة في مناحي الحياة العلمية والعملية والثقافية والعمرانية من جهة أخرى[3].

وبعد أن ازدهر بنو الأحمر في حروبهم وعلومهم وفنونهم عدا عليهم الزمان، فأنزل أواخرهم من عروشهم وافقدهم سلطانهم، وماتوا في حسرة على عزهم وسطوتهم وأبهتهم وعظمتهم وكانوا آخر من ملك بالأندلس[4].

وفي سنة 898 هــ / 1492 مــ؛ أي بعد ثمانية قرون من الفتح الإسلامي للأندلس، وفي ثاني ربيع الأول من سنة سبع وتسعين وثمانمائة، استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد أن استوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمائة من الأعيان رهنا خوفا من الغدر [5]. فقد استطاع فرديناند وإيزابيلا أن يهزموا بني الأحمر شر هزيمة وذلك بعد أن هاجموهم في عقر

---

[1] – يُنظر: محمد رضوان الداية،" في الأدب الأندلسي"، ص: 39.

[2] – يُنظر: محمد رضوان الداية، " المرجع نفسه "، ص: 39.

[3] – يُنظر: محمد رضوان الداية، " المرجع نفسه "، ص: 39.

[4] – يُنظر: أحمد أمين، "ظهر الإسلام"، 3/ 35.

[5] – يُنظر: المقري ، " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب"، 525/4

دارهم، وبعدها مباشرة سقطت غرناطة في 21 محرم سنة 898 هـــ / 25 نوفمبر 1492 [1] ، آخر معقل من معاقل الإسلام في الأندلس وسلم أبو عبد الله آخر ملوكها مفاتيح المدينة للغالبين وعلى رأسهم فرديناند قائلا له: هذه المفاتيح هي آخر ما بقي من سلطان العرب في اسبانيا خذها فقد أصبح لك ملكنا وأشخاصنا كما قضت مشيئة الله تعالى[2].

ثم خرج أبو عبد الله من الحمراء باكيا فقالت له أمه: قولتها المشهورة: "ابك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال" وفي سنة 1018 هـــ / 1609 مـــ خرج أو قتل آخر عربي مسلم بقي في تلك الأصقاع .[3]

وهكذا حكَم المسلمون بلاد الأندلس أكثر من ثمانية قرون فتركوا فيها آثارا إسلامية عظيمة وقيمة مادّية وروحية وخلقية واضحة المعاني ولا سيما في المناطق الجنوبية التي استقر فيها المسلمون حتى آخر أيامهم في الأندلس فكانت الأندلس بحق جنة على وجه الأرض ومنهلا عذبا للعلم والمعرفة يتقطر عليها طلاب العلم والثقافة والباحثون من فجّ عميق لينهلوا من مناهلها العذبة، ويرتووا من منابعها التي لا تنضب[4].

3 ــ الحركة الفكرية في الأندلس:

3ــ 1: عصر الإمارة والخلافة: قبل أن أبدأ الحديث عن الحركة الفكرية في بلاد الأندلس المسلمة لا بد من تبيُّن أوّل أثر عربي شهدته الأندلس، وهو الخطبة الشهيرة والبليغة التي نُسِبت إلى طارق بن زياد والتي ألهب بها حماس جنده بعد أن أحرق سفنه وحث أتباعه على الصبر والجلد والاستبسال في ساحة الوغى. [5]

وقد طعن البعض في نسبة هذه الخطبة لطارق زاعمين أن الرجل بربري وبالتالي من أين له بهذه الفصاحة، وهو لا يجيد العربية، على كل حال لن أدخل في مثل هذه التفاصيل؛ لأنّ

---

[1] – يُنظر: المقري ، " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب "، 4/ 525.

[2] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه "، ص: 31.

[3] – يُنظر: قيصر مصطفى، "حول الأدب الأندلسي"، ص: 33.

[4] – يُنظر: علي حسن الشطشاط، "تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة"، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص: 13.

[5] – يُنظر: قيصر مصطفى، "حول الأدب الأندلسي"، ص: 42.

موضوعي لا يتطلب مني ذلك، فسواء أكانت هذه الخطبة لطارق أم لغيره و ذلك مستبعد.[1] فإن ما يهمّ فيها أنها تمثل أول أثر عربي وأدبي يُلقى على أرض الأندلس، وبعد ذلك بدأت شعلة الثقافة الأندلسية تذكو مع قدوم كثير من الأمويين وأشياعهم الذين كانوا على قدر كبير من الثقافة، وليس من شك أيضا في أن وفودهم على الأندلس وطأ للثقافة سبيل الانتشار والذيوع وأضف إلى هذا كله رجوع أول بعثة أندلسية درست بالمشرق، من بينها: **يحي بن يحي الليثي** راوي موطأ مالك رضي الله عنه (ت 234 هـــ)،و**عبد الله بن حبيب السلمي** عالم الأندلس كما يسميه **المقري** (ت 238 هـــ)، وغيرهما من الذين حملوا معهم النفحات الشرقية، فتعرّف الأندلسيون على كتب شرقية في اللغة ككتب **الأصمعي** (ت216هـــ) **والكسائي**(ت189هـــ) إمام المدرسة النحوية الكوفية، و **الفراء**(ت207هـــ) ، والعروض والنقد ككتب **الخليل**(ت175هـــ) **و ابن قتيبة**(ت276هـــ) ، و يجدر بنا في هذا المقام أن نذكر الدور الكبير الذي لعبه الأمراء والخلفاء في هذا العصر حيث عملوا على تشجيع النهضة العلمية والأدبية، بالإضافة إلى ما نقله **أبو علي القالي**(ت356هـــ) من كتب في الأدب للجاهليين والأمويين ،نحو شعر **النابغة الذبياني**(ت18ق.هـــ) و **الأعشى**(ت7ـــ)، وشعر **ذي الرِّمة**(ت117هـــ)،و **الحطيئة**(ت45هـــ)، و **جميل**(ت82هـــ)،و**الأخطل** (ت90هـــ)، ومجموعات شعرية كالمفضليات، كل ذلك كان له أثره العظيم في عقولا المثقفين.[2]

ومهما يكن من أمر فإن الأندلسيين قد استوحوا بيئتهم وعبروا عن حضارتهم خير تعبير ومثّلوا العصر أجمل تمثيل، ونظروا من خلال أنفسهم وأبرزوا شعورهم نحو الحياة بكل ما يمور في رحابها[3]. وهذه الحركة الأدبية لم تبدأ نشاطها في قرطبة [4] إلاَّ بعد أن دخلها الأمير عبد الرحمن بن معاوية واتخذها مقرا لدولة بني أمية في الأندلس، وذلك لانشغال المسلمين في عهد الولاة بالفتوحات فيها، والفتن الداخلية بين العرب من ناحية وبين اليمنية من ناحية ثانية وبين

---

[1] – يُنظر: قيصر مصطفى، " حول الأدب الأندلسي "، ص: 42 .

[2] – يُنظر: محمد المنتصر الريسوني، "الشعر النسوي في الأندلس"، قدم له: عبد الله كنون، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1978، ص: 31.

[3] – محمد المنتصر الريسوني، "الشعر النسوي في الأندلس"، ص: 39.

[4] – كانت قرطبة العاصمة الروحية للأندلس المسلمة، يُنظر: روجيه غارودي، "الإسلام في الغرب: قرطبة عاصمة العالم والفكر"، ترجمة: ذوقان قرطوط، دار دمشق للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 1995، ص: 6.

الشاميين والبلديين من جهة أخرى. لذلك فإن مشاغل الغزو والخلافات الحزبية والانقلابات المتوالية في الرياسة لم تترك المجال لاتجاه الأذهان إلى التفكير والأدب.[1]

لذلك فإنّه لم يوجد في هذا العصر كُتّاب أو شعراء أو مفكرون، وإن وُجدت بعض الآثار الشعرية القليلة؛ التي وردت على ألسنة بعض الولاة أو الزعماء، ويمكن ارجاع الحركة الفكرية الأندلسية إلى عصر عبد الرحمن الداخل (ت172 هـ)، ذلك أن هذا الفتى الأموي هو الذي أنشأ الدولة الأمويّة بالأندلس، وكان أوّل شخصية بارزة ظهرت في ميدان التفكير والأدب والشعر[2].

فبعد أن استقرّ المسلمون في الأندلس وأمّـــــــنوا على حياتهم ومصدر رزقهم بدأوا في الدراسة والبحث، وأوّل شيء اعتمدوه في بحثهم، هو: **الكتاب والسنة**[3]، فكانت أفكارهم مستمدة من هذين **المصدرين**، وكانت علوم الشريعة وعلوم اللغة وما يتصل بتقويم اللسان، وبصناعة البيان كلّ زادهم من الثقافة، ثمّ مسّت الحاجة إلى العلوم الأخرى ،فبحثوا في الفلك والطب والرياضة والفلسفة وغيرها من العلوم.[4]

وكان لطبيعة الأندلس الجميلة الأثر الملموس في صفاء نفوسهم وتوقد قريحتهم وخصوبة ذهنهم، وسرعة بديهتهم فبرعوا نتيجة لذلك في علوم الدين واللغة والأدب [5].وعبّروا عن حضارتهم خير تعبير ومثّلوا الحياة بكل ما يمور في رحابها ،ولا أدلّ على ذلك من شعر الطبيعة تلك الطبيعة التي سلبت لب الأندلسي. فهام في مجراها يتملى روعتها في دوار لذيذ،

---

[1] – سالم عبد العزيز، "قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس: دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي"، دار النهضة العربية، لبنان، بيروت ط1، 1971 مـــ، 167/2 ،ص: 169.

[2] – يُنظر:سالم عبد العزيز "قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس"، 2/ 167 ،169.

[3] – لم يكن اهتمام الأندلسيين باللغة والنحو إلا وسيلة للتعمق في الفقه وعلم الحديث، ولذا ظلّت اللغة بمنأى عن الصفوف الأولى في القرنين الثاني والثالث الهجريين، ولم يَنْزَعْ نجمها إلا في القرن الرابع الهجري.

وأكبر دليل على أن الاهتمام باللغة والنحو في ذلك الوقت وترك الاهتمام بالفقه والحديث كان معيبا ما ذكره الخُشني أنّ اللغوي محمد بن سلام الخشني (ت 286 هـــ) كان قد اُشتهر في أول قدومه من المشرق باللغة والفصاحة، فشق ذلك عليه، وغمه، وترك بعد ذلك قراءة اللغة وانصرف إلى قراءة الحديث، يُنظر: رجب عبد الجواد إبراهيم، "معجم علماء اللغة والنحو في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة (92 هـــ - 898 هـــ)" ، دار الآفاق العربية، ط1، 1424 هـــ، 2004 مـــ، ص: 8 (مقدمة الكتاب).

[4] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوّره وموضوعاته وأشهر أعلامه" ، ص: 43.

[5] – علي محمد سلامة، "المصدر نفسه "، ص: 43.

فرسم اللوحة إثر اللوحة، موزعا الألوان في إبداع مدهش ومن أجل ذلك أتى بمعجز الخيال ورائع التصوير والمعنى **فابن عمار** (ت377هـــ) و **ابن زيدون** (ت463هـــ) و**ابن خفاجة**(ت533هـــ) وشحارير الأندلس شاهد حيّ ناطق على ما ذلك[1]، وأدى ارتباط فن الشعر عندهم بفنون الغناء والطرب إلى ابتكار نوع جديد من الشعر الشعبي يسهُل التغني به، وأعني الموشحات والأزجال، وأقدم من اُشتهر من أدباء قرطبة **أحمد بن عبد ربه**(ت328هـــ) صاحب العقد الفريد الذي يُعتبر ركنا من أركان الأدب الأندلسي ومرآة صادقة لثقافة الأندلسيين في الأدب، ومنهم أيضا عثمان بن ربيعة، وعبد الله بن محمد بن عبد الله الأنصاري، ومن أدباء قرطبة في عصر الطوائف المفكر الكبير **ابن حزم القرطبي**(ت456هـــ) والمؤرخ أبوحيان القرطبي وفي عصر الموحدين ظهر الأديب الكبير أبو الوليد إسماعيل بن محمد الشقندي، إذا فقد كانت قرطبة مركـــــــز الحركة الأدبية والعلمية في الأندلس وقلبها النابض، ولكن هذه النهضة التي اتسم بها هذا العصر اشتقت أصولها من المشرق ثم طرأ عليها تطور تدريجي بحكم البيئة الأندلسية .[2]

إذا، فقد استفاد الأندلسيون من المشارقة من الناحية الأدبية فأخذوا عنهم فنون الأدب، وتعلموا منهم، ثم حاولوا أن يُبدعوا وكان لهم ذلك وكما أخذ الأندلسيون فنون الأدب عن المشارقة، فقد أخذوا عنهم أيضا علوم اللغة فبعد أن فتحت الأندلس من قبل المسلمين راح علماؤها الأجلاء يجمعون بين العلوم الفقهية والدراسات اللغوية؛ لما لها من صلة بالقرآن الكريم، وكان من رواد هذا الاتجاه في الأندلس: أبو موسى الهواري، وهو أوَّل من جمع الفقه في الدين وعلم العرب في الأندلس، ورحل في أول خلافة الإمام عبد الرحمن معاوية رضي الله عنه فلقي مالكا ونظراءه من الأئمة ولقي الأصمعي(ت 216هـــ) وأبا زيد الأنصاري(ت215هـــ) ونظراءهما وداخل الأعراب في مجالها، ولّما صدر عن سفره عطب بنحو تدمير، فذهبت كتبه فكان يقول "ذهب الخرج وبقي ما في الدرج، أنا شعبي زماني"[3]، وكان له

---

[1] – محمد المنتصر الريسوني، "الشعر النسوي في الأندلس"، ص: 31.

[2] - سالم عبد العزيز،"قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس"، 167/2 ، 169.

[3] – الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي (ت 379 هـــ)، "طبقات النحويين واللغويين"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص: 253.

كتاب في القراءات وكتاب في تفسير القرآن، وكانت العبادة أغلب عليه من العلم [1]، بيد أن أول من اختصّ في النحو هو **جودي بن عثمان** (ت 198 هـــ)، والذي قيل عنه بأنه أول من صنّف كتابا في النحو في الأندلس بعدما تتلمذ للكسائي والفراء، وهو أوّل من أدخل كتاب الكسائي، وله تأليف في النحو. [2]

وهكذا شقّ النحو الكوفي طريقه إلى الأندلس، ورسخت قدمه على يد مفرج بن مالك النحوي المعروف **بالبغل**(ت317هـــ)؛ الذي شرح أحد كتب الكسائي مثلما فعل بعد ذلك بنحو قرن أحمد بن أبان النحوي (ت 382 هـــ)[3]، ويرى علال الفاسي أن النحو الكوفي استمر في المغرب كما يشهد لذلك اصطلاحات ابن آجروم (ت 723هـــ) الصنهاجي، واختياراته ويعيد السبب في تأصيله إلى تعلق المغاربة بما ترمز له الكوفة من ولاء لعلي بن أبي طالب وللعترة الشريفة[4]، وفي أواخر القرن الثالث الهجري، أدخل محمد بن موسى بن هشام الأقشتين(ت307هـــ) كتاب سيبويه(ت180هـــ)، وانطلقت حركة قراءته وتوالت عليه التعليقات والشروح، وممن اشتهر بدراسته: هارون بن موسى القرطبي (ت 401 هـــ) [5]؛ الذي شرح عيون الكتاب، وشهد القرن الرابع الهجري تطورا كبيرا في الدراسات النحوية واللغوية في الأندلس؛ امتاز بامتزاج عدّة اتجاهات كان لها الأثر البالغ في تكوين المدرسة الأندلسية، منها: امتزاج بين آراء الكوفيين والبصريين، وتطوير المذهب البغدادي وتقنينه، وتلاق بين المنطق والنحو وتركيز على التحاليل والتدقيق والاستنباط [6]، وبالرغم مما قلناه سابقا من أن الأندلس عرفت نحو الكوفة قبل أن تعرف نحو البصرة، فإن العربية في هذه البلاد كانت من حيث النحو واللغة تقوم على مذاهب أهل البصرة وعلى فكر سيبويه وكتابه على

---

[1] – الزبيدي، " طبقات النحويين واللغويين "، ص: 256 .

[2] – محمد المختار ولد أباه، "تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1429 هـــ/ 2008 مـــ، ص: 223.

[3] – محمد المختار ولد أباه، "تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب"، ص: 223 .

[4] – يُنظر: علال الفاسي، "سيبويه والمدرسة الأندلسية المغربية في النحو" ، "مجلة اللسان العربي"، مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (1395 هـــ/ 1975)، المجلّد:12، 1/ 79 ــ 80.

[5] – السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـــ)، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004 مـــ/ 1425 هـــ، 1/ 318.

[6] – يُنظر: محمد المختار ولد أباه، "تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب"، ص: 244 .

الخصوص؛ بحيث نستطيع أن نقول إنّ أثر الكوفة في الأندلس لا يكاد يكون محسوسا، اللّهم إلاّ عندما يكتب نحاة الأندلس الكبار كتبا موسعة في النحو، فيعنون بإعطاء بعض الأصداء لمسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين، نجد ذلك في كتب **أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي**(ت380هـــ)، وفي استدراكاته على سيبويه، كما نجده في كتاب الأفعال لابن قوطية وشروحه، وفي أعمال **الأعلم الشنتمري**(ت476هـــ)، وأحسن من شرح شواهد كتاب سيبويه، كما يظهر عند كبار نحاة المدرسة الأندلسية: **ابن خروف** (ت609هـــ)**بن عصفور**(ت669هـــ)، و**ابن مالك**(ت672هـــ)[1].

إذا، فقد أصبح سيبويه في الأندلس الإمام الذي ليس قبله ولا بعده، والمرجع الذي ينهل منه كل متخصص في النحو العربي، حتى أنّ **أبا بكر محمد بن الحسن الزبيدي**(ت380هـــ) النحوي قال في مقدمة كتابه "الاستدراك على سيبويه": "فإنني رأيت علماء النحو في زماننا هذا وما قاربه قد أكثروا التأليف فيه، وأطالوا القول على معانيه، فأملّوا الناظرين، وأتعبوا الطالبين بتكرار معان قد بينت، وركوب أساليب قد نهجت، فلم يخل أكثرهم بغير إعادة ما تقدم إليه، والتكثير فيما سبق إلى القول عليه، وقد كان ينبغي لمن همَّ بذلك منهم أن يتصفح كتاب عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه، فينظر إلى مبادئ كتابه، وعناوين أبوابه، ويرى لطائف معانيه، ودقائق حجاجه، إلى الإيجاز في قوله، والايعاب لمراده فيزجره ذلك – إذا كان ذا حجى – عن تكلف ما لا حاجة إليه، ويمنعه الاعتناء بما لا معول عليه "[2].وبذلك يكون الأندلسيون قد قرُّوا قرارهم على منهج سيبويه في دراسة أبنية اللغة.[3]

3 ــ 2: عصر الطوائف: على الرغم من كون عصر الطوائف (422هـــ / 493 هـــ) عصر التمزق السياسي لهذه المملكة الإسلامية، فإنه قد شهد نهضة فكرية لم تبلغها الأندلس في عصورها المختلفة[4]؛ حيث أنّ شجرة الفكر أثمرت في هذا العصر عددا من النوابغ

---

[1] – يُنظر: علال الفاسي، "سيبويه والمدرسة الأندلسية المغربية في النحو" ص: 102.

[2] – يُنظر: علال الفاسي، " المرجع نفسه"، ص: 102.

[3] – يُنظر: علال الفاسي، " المرجع نفسه "، ص: 102.

[4] – محمد إبراهيم البنا، "أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي"، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، ط 1، 1405 هـــ / 1985 مـــ، ص: 13.

في العلوم والآداب[1]، فمن أبرز العلماء الذين حفل بهم هذا العصر: أبو محمد بن حزم (ت 456 هـــ)، وكان إمام الظاهرية في عصره، وأبو الوليد الباجي صاحب "المنتقى في شرح الموطأ"[2].

كما راجت سوق العلوم والفنون والآداب متابعة لما كان، أو محاولة من حكام دول الطوائف لتكون لهم سابقة في هذا الجانب الثقافي، وفي كتب التراجم إشارات كثيرة إلى كتب ألّفت، وأهديت إلى أولئك الحكام، وطرّزت بأسمائهم في الآداب والعلوم والفلسفة [3] والطب والصيدلة، إلى غير ذلك[4].وبعدما كان من المعتاد أن يولّي الأندلسيون وجوههم شطر المشرق، يأخذون عن أعلامه، وهي رحلة الطلب والتلمذة، أصبحت الأندلس في عصر ملوك الطوائف مقصد العلماء والطلاب[5].

3 ــ 3: عصر المرابطين: لم تعرف فيه الأندلس ما عهدته في عصر ملوك الطوائف من لون الحياة الفكرية، وذلك لما عرف به هذا العصر من كثرة الثورات والجهاد المتواصل؛ حيث لم تعرف فيه الأندلس الاستقرار إلا أعواما قليلة[6].

كما تميّز هذا العصر باستبداد الفقهاء الذين أرادوا أن يصبغوا الحياة بصبغتهم، وكانت غايتهم لا تعدوا معرفة الفروع على مذهب الإمام مالك، ومن ثمّ رفضوا الأصول [7]، ولذلك لم يكن "يقرب من أمير المسلمين في عهدهم، ولا يحظى عندهم إلا من عَلِمَ الفروع، فروع مذهب مالك"[8]، فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب وكفّر العلماء من عمل في علم الكلام، وأحرقت كتب الغزالي(ت505هـــ)[9].

---

[1] – علي بن محمد، "النثر الأدب الأندلسي في القرن الخامس: مضامينه وأشكاله"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1990، ص: 93.

[2] – محمد إبراهيم البنا، "أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي"،ص: 13.

[3] – يقول روجيه غارودي: "هذا الإسلام في الغرب قد حمل إلى قرطبة أروع ثماره في الفلسفة من ابن مسرة إلى ابن عربي، ومن ابن حزم إلى ابن ماجة إلى ابن طفيل والى ابن رشد ."، يُنظر: روجيه غارودي، "الإسلام في الغرب: قرطبة عاصمة العلم والفكر"، ص: 07.

[4] – محمد رضوان الداية، "في الأدب الأندلسي"، ص: 41.

[5] – يُنظر: محمد إبراهيم البنا، "أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي"، ص: 14.

[6] – يُنظر: محمد إبراهيم البنا، " المصدر نفسه " نفسه: 18.

[7] – يُنظر: محمد إبراهيم البنا، "أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي "، ص: 18.

[8] – المراكشي " المعجب في أخبار المغرب "، ص: 151.

[9] – يُنظر: المراكشي " المعجب في أخبار المغرب "، ص 151، وينظر: إحسان عباس "تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين"، دار الثقافة، بيروت ــ لبنان، ط6، 1981، ص: 69.

3 ــ 4 : **عصر الموحدين:** كانت سياسة الدولة في هذا العصر تقوم على أساس إطلاق حرية البحث والفكر، على النقيض مما كان متبعا في عصر ملوك المرابطين من تقييد لهذه الحرية وتزمّت مقيت، ومطاردة لكتب الغزالي وغيرها من أمهات الكتب المشرقية؛ التي لا تتفق ونظرهم إليها[1]، لذلك عُدّ هذا العصر من أزهى عصور الأندلس، فقد تكاملت له أسباب الازدهار، وخرجت به الأندلس إلى منطلق الحياة الفكرية بعد الذي عاشته في ظلال المرابطين فترة من الزمن[2].

وكان من نتائج رعاية الموحدين للعلم والعلماء أن تقاطر العلماء على مراكش حاضرة الموحدين، وكان من أعلامهم: الشيخ أبو القاسم السهيلي(ت 581هـــ)، وأقبل الطلاب من المغرب على معاهد الأندلس؛ فانتعشت الحياة الفكرية في هذين البلدين، وسطع في هذا العصر من الفلاسفة: ابن طفيل(ت581هـــ)، وابن زهر(ت557هـــ) وابن رشد(ت 595)وابن الرومية(ت637هـــ)وابن البيطار.واشتهر من الشعراء: الرصافي، وصفوان بن إدريس(ت 598هـــ)وحفصة (ت 586هـــ)شاعرة غرناطة[3]، وشهد عصر الموحدين من العلماء والمحدثين ما لم يشهده عصر آخر[4].

كما نشط العلماء في التدوين والتأليف، وكان للنحو واللغة نصيب وافر وأصيل بين هذه المصنفات[5]، ومن بين الذين برعوا في التأليف في اللغة والنحو عدد لا يستهان به من العلماء، نذكر منهم: "الحسن بن أحمد بن الحصين بن عطاف العقيلي" من أهل جيان، وقد برع في اللغة والأدب، وله شرح لمقصورة "ابن دريد" [6]، ومن هؤلاء العلماء الذين اشتهروا في عصر الموحدين: موسى بن علي بن عامر من أهل اشبيلية، وقد اشتهر بالجزيري، وكان عمدة في النحو، يؤخذ عنه ويؤثر به، وله شرح لكتاب "لحن العامة" للزبيدي، وشرح لكتاب "التبصرة" للصميدي، وكتاب آخر اسمه "الاستيضاح في شرح الإيضاح"[7].

---

[1] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوّره وموضوعاته وأشهر أعلامه "، ص: 53.

[2] – يُنظر: محمد إبراهيم البنا، " السهيلي ومذهبه النحوي "، ص: 30.

[3] – – يُنظر: محمد إبراهيم البنا، " المصدر نفسه "، ص: 33.

[4] – محمد إبراهيم البنا، " السهيلي ومذهبه النحوي "، ص: 33 .

[5] – علي محمد سلامة، " الأدب العربي في الأندلس: تطوّره وموضوعاته وأشهر أعلامه " ص: 55 .

[6] – محمد إبراهيم البنا، "السهيلي ومذهبه النحوي"، ص: 33.

[7] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوّره وموضوعاته وأشهر أعلامه " ص: 55 .

3 ــ 5: **عصر بني الأحمر**: رغم الظروف القاسية التي عرفها الأندلس في هذا العصر سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية، وكذلك الصراعات المدمرة التي سيطرت على سياستها، فهذا كله لم يمنع من وجود ثقافة زاهية وحافلة بأعلام الفنّ والمعرفة، وظلّت غرناطة منار إشعاع فكري وحضاري[1].

وقد ظهر عدد لا بأس به من العلماء؛ بحيث نبغوا في هذه الفترة في صنوف العلوم والصنائع والمعارف والآداب والفنون، وصارت مدينة غرناطة وأخواتها الباقيات منارة علم وأدب وفن، وصنعة متقنة وعمل متقن[2].

ومن أبرز العلماء الذين برزوا في هذا العصر: أبو القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسن، وهو من "سبتة"، ونزل غرناطة، وقد ولد سنة 697 هـــ وتوفي سنة 760 هـــ، وكان فاضلا متقدّما في العلوم والمعارف، وكان قاضيا لغرناطة، وله مؤلفات عدة، منها: شرح على مقصورة حازم القرطاجني سماه "رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة"، وشرح على الخزرجية في العروض[3]. ومن هؤلاء العلماء أيضا: أبو زيد عبد الرحمن المكودي (ت 708 هـــ)، وكان إماما في اللغة والنحو والعروض، وله شرح على الألفية وشرح على الأجرومية، وشرح على المقصور والممدود لابن مالك، وغيرها، واشتهر بمقصورته التي أعـــــدها في مدح النـــــبي ε [4].

ومن علماء الحديث في هذا العصر: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن فرج اللخمي الاشبيلي، وقد ولد سنة 625 هـــ/ 1227 مـــ، وتوفي سنة: 699 هـــ/ 25 مارس 1300 مـــ، وله شرح الأربعين للنواوي[5].

ومنهم: أبو الحسين عبيد الله بن احمد بن أبي الربيع الأموي القرشي، وكانت ولادته في شهر رمضان سنة 599 هـــ/ مايو سنة 1202 مـــ، وتوفي باشبيلية سنة 688 هـــ/ 1289 مـــ، ومن كتبه: "الملخّص في النحو" و"القوانين النحوية" و"الإفصاح في شرح الإيضاح"[1].

---

[1] – يُنظر: علي محمد سلامة، " المصدر نفسه "، ص: 58.

[2] – محمد رضوان الداية، " في الأدب الأندلسي"، ص: 40.

[3] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوّره وموضوعاته وأشهر أعلامه "، ص: 58 .

[4] – المقري،" نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ين الخطيب "، 5/ 28 ، و ينظر: السيوطي،"بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 117/2 .

[5] – علي محمد سلامة، " الأدب العربي في الأندلس: تطوّره وموضوعاته وأشهر أعلامه "، ص: 58 .

ومن اللغويين الذين برزوا في هذا العصر: أبو سعيد فرج بن لب التغلبي، وكان عالما في الفقه وعارفا بالعربية واللغة، ومعرفة التوثيق والقيام على القراءات والتبريز في التفسير، وقد ولي الخطابة بجامع غرناطة، وقعد للتدريس، وأقرأ بالمدرسة النصرية [2]، بالإضافة إلى علماء آخرين يطول ذكرهم، لذلك سأكتفي بما ذكرته حتى لا أطيل.

كانت هذه لمحة تاريخيّة وفكريّة عن بلاد الأندلس، حيث حاولت من خلالها أن أقف على مراحل الحكم العربي في هذه البلاد والحركة الفكرية التي ميّزت كلّ مرحلة ، أما فيما يخصّ الفصل الأوّل فسأنتقل فيه إلى الحديث عن نشأة المدرسة الأندلسيّة وكيفيّة استفادتها من المدارس النحويّة السابقة لها .

---

[1] – يُنظر: السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 2/ 152.

[2] – يُنظر: المقري ، "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ين الخطيب "، 5/ 509 ،511.

رأيت أنّه لا بدّ لي في بداية هذا الفصل أن أتحدّث بإيجاز عن تاريخ النحو العربي، وعن نشأة المدارس النحويّة و بخاصة مدرستي: البصرة و الكوفة، ثمّ بغداد؛ وذلك لما لهذه المدارس من تأثير كبير في نشأة النحو الأندلسي.

1 – النحو النشأة و التطوّر:

1 –1– سبب وضع النحو:

ذهب المصنفون الأوائل إلى أنّ ظهور النحو كان بسبب شيوع اللّحن في العربية حين اتسعت دائرة المجتمعات العربية القديمة لِمَا كان من الفتوح الإسلامية التي نشرت هذه اللغة في المجتمعات الإسلامية التي اعتنقت الإسلام فأقبلت على العربية تتعلمها[1].

يقول **أبو الطيب اللغوي** (ت 351 هـ): "واعلم أن أول ما اختلَّ من كلام العرب فأحوج إلى التعليم الإعرابُ؛ لأن اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعرِّبين من عصر النبي ε "[2].

ولكن هذه المصنفات نفسها تذكر بأن اللحن لم يكن مقصورا على هؤلاء الأعاجم الحديثي العهد بالإسلام بل تجاوز ذلك إلى العرب أنفسهم، فها هو ذا **الحجاج بن يوسف الثقفي**(ت95هـ) وهو من أهل الفصاحة والبلاغة ورغم ذلك لم يسلم لسانه من اللحن[3].فكيف يكون حال جمهرة من الرجال ممن اشتهروا بالعلم ممن يرجعون إلى أصول غير عربية كـ **الحسن البصري**(ت21هـ) مثلا، وطائفة أخرى من هؤلاء لم تنجوا من غائلة اللحن .[4]

كما أن ألسنة العرب الذين سكنوا المدينة لم تسلم هي الأخرى من آفة اللحن والذي ازداد انتشارا على ألسنة أبنائهم الذين نشأوا بعيدا عن البادية فحُرموا من الاستفادة من ينابيعها الفصيحة؛ لأنهم ترعرعوا في الحاضرة حيث اختلطوا بالأعاجم اختلاطا أدخل الضيم والوهن على ألسنتهم[5]. مثلما

---

[1] – إبراهيم السامرائي، " المدارس النحوية: أسطورة وواقع"،دار الفكر للنشر والتوزيع،ط1 1987م ص: 09.

[2] – عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط1، 1423هـ/ 2002 مـ، ص17.

[3] –ينظر: الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ)، البيان والتبيين.وضع حواشيه،موفق شهاب الدين دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان ط،1424/2003هـ ،143/1.

[4] – ينظر: الجاحظ ، "البيان والتبيين"، 143/1.

[5] – شوقي ضيف، "المدارس النحوية"، دار المعارف، القاهرة، مصر،ط2، 1972، ص: 12.

عرف عن **الوليد بن عبد الملك**(ت48هـ) الذي كثر جريان اللحن على لسانه[1]. يقول **عبد الرحمن بن خلدون** (ت 808 هـ) : "فلما جاء الإسلام وفارقوا الحِجاز لطلب الـمُلك الذي كان في أيدي الأمم والدول، وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمعُ من المخالفات التي للمستعربين، والسمع أبو الملكات اللسانية، ففسُدَت بما أُلْقِيَ إليها مما يُغايرها لجنوحها إليه باعتياد السمع. وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطّردة شبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه، مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع ثم رأوا تغيّر الدّلالة بتغيّر حركات هذه الكلمات"[2].

كما أن اللحن كان منتشرا بصورة مريعة في أوساط أبناء العرب الذين وُلدوا من أمهات أعجميات فتأثروا بنطقهن[3].

وكل هذه الأسباب مجتمعة دفعت إلى ضرورة وضع رسوم يُعرف بها الصواب من الخطأ خشية دخول اللحن وشيوعه في تلاوة آيات الذكر الحكيم[4].

ومما سبق ذكره نلاحظ أن الباحثين الأوائل قد صبُّوا جل لومهم على الأعاجم الحديثي العهد بالإسلام حيث ألقوا على عاتقهم سبب فساد ملكة اللغة العربية، غير أن هذا لا يمنعنا من أن نكون منصفين ولو قليلا في حق هؤلاء الأعاجم، لذلك يجب أن نقول قولة حق ونعترف بأنه حتى ولو كان البعض من هؤلاء قد كان سببا في هدم ملكة هذه اللغة .فإن آخرين منهم استطاعوا أن يكونوا نِعْم الحافظين والمدافعين عنها فدرسوها وبحثوا في أصولها وقعَّدوا لها؛ حيث عملوا جاهدين غير آبهين بعناء السفر والتنقل بين البوادي و لم تشغلهم العصبية ولا الحقد عن أهدافهم النبيلة.

ومن هؤلاء الأعاجم الذين قدَّموا الكثير للغة القرآن الكريم نجد صاحب الكـــــتاب **سيبويه** (ت180هـ) و**الفارسي** (ت 395 هـــ) من بعده و**الزجاج** (ت337هـ) من بعدهما وكلهم عجم في

---

[1] – "البيان والتبيين"، 1/ 135_136 .

[2] – عبد الرحمن بن خلدون، "المقدمة: المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1424 هـ، 2002مـ، ص: 621.

[3] –الجاحظ" البيان والتبيين"، 138/1

[4] – شوقي ضيف، "المدارس النحوية"، ص: 12.

أنسابهم، لكنهم نشأوا وسط العرب فتعلموا لغتهم وصيَّروا لها قواعد وجعلوها فنا يستفيد منه مَن بعدهم، وكذا حملة الحديث الذين حفظوا على أهل الإسلام، أكثرهم عجم أو مستعجمون باللغة والمربى لاتساع الفن بالعراق وأيضا علماء في أصول الفقه كلهم عجم وأيضا علماء الكلام وكذا أكثر المفسرين[1].

ومصداقا لقول نبيِّنا الكريم ε **"لو تعلق العلم بأكناف السماء لناله قوم من أهل فارس"**. فإنه يظهر جليا بأن تدوين العلم وحفظه لم يكن إلا على أيدي الأعاجم [2]. ولخطورة اللحن وأثره السلبي على لغة القرآن الكريم، وبالتالي على الدين استنكره العرب وذمّوه بالإضافة إلى ذمّ اللاَّحنين [3]. فقد رُوي أن عبد الملك بن مروان قال في ذم اللحن: "اللحن هُجنة على الشريف" [4]، وقيل أيضا أقبحُ من الشّرك[5].

إذا، فقد اُعتبر اللحن الباعث الأول على تدوين اللغة وجمعها، وعلى استنباط قواعد النحو وتصنيفها، فقد كانت حوادثه المتتابعة نذير الخطر؛ لذلك هبّ أولوا الغيرة على العربية و الإسلام إلى محاربته ؛ بوضع النحو و استنباط قواعده . [6] و لا بأس أن نقوم بعرض تاريخي سريع مختصر لبعض أحداث اللحن المتتابعة.

1 – 2 : بوادر اللحن:

لعلّ أقدم هذه الروايات المتعلقة بظهور اللحن بمعناه المعروف لدينا؛ وهو الزلل في اللغة حدث حوالي اثنين ومائة للهجرة وما قبلها، إلاَّ أن ثمة رواية رواها غير واحد من القدماء ترجع إلى عهده ε

---

[1] – يُنظر: ابن خلدون، "المقدمة"، ص: 617.

2 – ابن خلدون، "المرجع نفسه "، ص:617 .

[3] – جميل شامي، "النحو العربي: قضاياه ومراحل تطوره"، دار الحضارة ، عز الدين للطباعة و النشر ، 1418هـ /1997 ، ص: 19.

[4] – الجاحظ، "البيان و التبيين" ، 142/1، وابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي ،"العقد الفريد"،شرح : أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـــ لبنان ، دط ، 1983 ،2/ 479 .

[5] – جميل الشامي، "النحو العربي"، ص: 19.

6 – يُنظر: سعيد الأفغاني ، "من تاريخ النحو "، دار الفكر ، بيروت ـــ لبنان ، ص : 8 ، و يُنظر : عبد الجليل مرتاض ، "بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب" ، مؤسسة الأشراف ، بيروت ـــ لبنان ، 1988 ، ص : 56 .

عندما سمع رجُلا يلحن في كلامه بحضرته [1]. فقال عليه أفضل الصلاة والسلام : « **أرشدوا أخاكم فقد ضلّ** »[2]، ويظهر أن اللحن كان معروفا بهذا الاسم نفسه، وأكبر دليل على ذلك ما نجده عند أبي الطيب اللغوي عندما روى لنا أن الرسول ε قال: "أنا من قريش ونشأت في بني سعد فأنّى لي اللحن"[3]، وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: "**لأن أقرأ فأسقط أحبّ إلي من أن أقرأ فألحن**"[4].

أما في عهد الخليفة **عمر بن الخطاب**(ت23هـ) رضي الله عنه فتتّفق المصادر على أنّ اللحن قد كثرت ملاحظته مقارنة بعهدي الرسول ε وأبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ لأن الدولة في عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت قد اتسعت رقعتها خارج بلاد العرب[5]، فكثُر اختلاط الأجناس بين العرب والعجم؛ لأجل هذا نجد في كتب الطبقات أقوالا كثيرة تُنْسَب لعمر بن الخطاب في الحضّ على تعلم آداب العرب من شعر وخبر وعلم ونسب[6]. ومما يلفت الانتباه في هذه الفترة كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى: "أما بعد؛ فتفقهوا في الدين، وتعلموا السنة، وتفهموا العربية، وتعلموا طعن الدرية، وأحسنوا عبارة الرؤيا، وليعلّم أبُو الأَسْوَد أهل البصرة الإعراب"[7].

ومن بين حوادث اللحن التي وقعت في عهد سيدنا عمر رضي الله عنه ماُ روي من أنّ الخليفة عمر رضي الله عنه مرَّ على قوم يسيئون الرمي فقرعهم، فقالوا: "إنّا قومٌ متعلّمين" فأعرض مغضبا

---

[1] – عبد الجليل مرتاض، "بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب"، ص: 68.

2 –ابن جني" الخصائص "، 1/ 313 ، و القرطبي ، أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد الأنصاري المغربي (ت 461 هـ) ، الموضح في التجويد ، ضبط : أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، 2006 ، ص : 13. ذكر الألباني أنّه حديث ضعيف ؛ لأنّه روي عن سعد بن عبد الله بن سعد عن أبيه ، و والد سعد وهو الأيلي غير معروف ، و لم يترجموا له ، و لم يذكروا له رواية عن أبيه ، ينظر : محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني ، سلسلة الأحاديث الضعيفة الموضوعة و أثرها السيئ في الأمة ، دار المعارف ، الرياض ــ المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1992 ، 315/2 .

[3] – أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، ص: 19.

[4] – أبو الطيب اللغوي، "المصدر نفسه"، ص: 19.

[5] – يُنظر: عبد الجليل مرتاض، "بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب"، ص: 69.

[6] – يُنظر: عبد الجليل مرتاض، "المرجع نفسه "، ص: 71.

[7] – القفطي ، الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (ت 624 هـ)، "انباه الرواة على أنباه النحاة"، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ، 2004مـ،51/1.

وقال: " **والله خطؤكم في لسانكم أشدّ عليّ من خطئكم في رميكم** "[1] ، ولما كتب كاتب[2] **لأبي موسى الأشعري**(ت33هـ) كتابا إلى عمر وفتحه بقوله: "من أبو موسى الأشعري" فكتب عمر لأبي موسى: "سلام عليك، أما بعد فاضرب كاتبك سوطا واحدا وأخّر عطاءه سنة"[3].

و لم يقتصر اللحن على أحاديث الناس ومُكاتباتهم بل تسرب إلى القرآن الكريم [4] أيضا؛ حيث تروي أمهات الكتب أنّ أحد الأعراب قدم المدينة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال "من يقرئني شيئا مما أنزل الله على محمد ؟ فأقرأه رجل من سورة براءة: ﴿ ﴾ [5] (بكسر اللام) عطفا على المشركين، فقال الأعرابي: أن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه، فبلغ عمر مقالة الأعرابي، فصحح له الآية وأمر ألا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة، وأمر **أبا الأسود**(ت68هـ) أن يضع النحو.[6]

وأما في عهد **علي بن أبي طالب**(ت40هـ) رضي الله عنه فإن الأمر أضحى مختلفا تمام الاختلاف عن العهود السابقة الأربعة؛ لأن الدرس اللغوي أخذ ينمو وأخذت الفكرة ترنو إليه لإنمائه وخلقه، وفي هذه الفترة أيضا روايات مضطربة، ولكن جوهرها يفيد بتردد العرب في الإقدام على وضع النحو لغير العرب، ولأن الحاجة أصبحت تشتد إليه أكثر مما مضى، وأبرز ما ذُكِر أنّ الإمام علي هو أحد الأبطال الذين دارت ولا تزال تدور حولها الملحمة النحوية والبادرة الأولى في وضع أوائل علم النحو. ولعلّ أفظع لحن حدث في هذه الفترة لحن بنت أبي الأسود الدُّؤَلِيّ وهي تخاطب أباها[7] قائلة: "يا "يا أبت ما أشدُّ الحرّ! في يوم شديد الحرّ، فقال لها: إذا كانت الصقعاء من فوقك، والرمضاء من تحتك،

---

[1] – يُنظر: سعيد الأفغاني، "من تاريخ النحو"، ص: 9.

[2] – هو أبو الحسين بن أبي الحر الحنبري كما في وفيات الأعيان 5/ 99وكان أبو موسى قد استكتبه بعد زياد.

[3] – أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، ص: 19.

4 – يُنظر: عبد الجليل مرتاض، "بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب"، ص: 72.

5 ــ جزء من الآية : 03 من سورة التوبة .

6 – ابن الأنباري ، نزهة الألباء ، تحقيق : إبراهيم السامرائي ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، ط2 ، دت ، ص: 19-20 وتُروى هذه الحادثة كذلك مع عمر و تكرّرت مرات مع أبي الأسود وزياد ، و غيرهم ،ابن جني ، الخصائص ، ص : 8/2 ، وابن النديم ،محمد ابن اسحق ، الفهرست ، تحقيق ز تقديم : مصطفى الشويمي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، ه1405/ 1985، ص: 190.

7– عبد الجليل مرتاض ،" بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب "، ص 75

فقالت: إنما أردت أن الحرّ شديد. فقال: فقولي إذن ما أشدَّ الحرّ! وقيل إنه دخل إلى مترله فقالت له بعض بناته: ما أحسنُ السماء! قال: أي بنيّة، نجومها، فقالت: إني لم أرد أي شيء منها أحسن؟ وإنما تعجّبت من حسنها فقال: إذا فقولي: ما أحسن السماء! فحينئذ وضع كتابا[1].

ثم شاع اللحن في العصر الأموي حتى تطرق إلى البلغاء من الخلفاء والأمراء كعبد الملك والحجاج، والناس يومئذ تتعاير به، وكان مما يقلّل من شأن الرجل في المجتمع أن يلحن حتى قال عبد الملك وقد قيل له: " أسرع إليك الشيبُ": فقال: "شيبني ارتقاء المنابر مخافة اللحن"[2].

والحجاج على أنه من الفصحاء والبلغاء، كان في طبعه تقزز من اللحن أن يقع منه أو من غيره، فإذا وقع منه حرص على ستره وإبعاد من اطّلع عليه عنه، فعن يونس بن حبيب (ت182 هـ) أن الحجاج سأل يحيى بن يعمر الليثي (ت 129 هـ): " أتسمعني ألحنُ على المنبر؟ قال: الأمير أفصح. فألحّ عليه فقال: حرفا، قال أيًّا؟ قال: في القرآن. قال الحجاج: ذلك أشنع له، فما هو؟ قال: تقول **[إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ]** [3] إلى قوله عز وجل [أحبَّ] فتقرؤها أحبُّ بالرفع، والوجه أن تقرأ بالنصب على خبر كان، قال: لا جرم ألا تسمع لي لحنا أبدا، فألحقه بخراسان[4].

1 –3 أوّل من وضع النحو العربي:

تعددت الروايات واختلفت في قضية المؤسس الأول للنحو العربي وواضعه بين القدامى أنفسهم، وتباينت وتضاربت أيضا بين الباحثين والدارسين المحدثين [5]، يقول **عبد الجليل مرتاض** :إن أخوف وأرهب باب يمكن أن يطرقه باحث في اللغة العربية هو هذا الباب – يعني باب وضع النحو – لما في هذا الموضوع من تشعب واضطراب فكلما تعمّق الباحث فيه زاد غموضا وظلاما لا وضوحا وضياء[6].

---

[1] – القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 1/ 51.

[2] – إبراهيم عبود السامرائي، "المفيد في المدارس النحوية"، دار المسيرة ، عمان، الأردن، ط1، 1427هـ، 2007م، ص: 19.

[3] – الآية 24 من سورة التوبة .

[4] – الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي (ت 379 هـ)، "طبقات النحويين واللغويين"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت، ص: 28.

[5] – أحمد جميل الشامي، "النحو العربي: قضاياه ومراحل تطوره ، ص: 50.

[6] – يُنظر: عبد الجليل مرتاض، "بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب"، ص: 103.

فالناس قد اختلفوا كثيرا في أول من وضع النحو، فذهب بعضهم إلى أنه أَبُو الأَسْوَد الدُّؤَلِيّ[1]، وآخرون إلى أنه **نصر بن عاصم**(ت89هـ)[2] وآخرون قالوا **عبد الرحمن بن هرمز**(ت117هـ)[3]، وأكثر الناس أجمعوا على أنه أبو الأسْوَد الدُّؤَلِيّ. وتضطرب الروايات أيضا حول أبي الأسْوَد نفسه، فمنها ما يجعل وضع النحو من عمله وحده ومنها ما يذكر أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هو الذي طلب منه وضع النحو.

ونقل الزبيدي في طبقاته روايات تثبت بأن أبا الأسود هو الذي وضع النحو حيث نجده يقول: " وهو أول من أسس العربية ونهج سُبُلها، ووضع قياسها وذلك حين اضطرب كلام العرب، وصار سُراة الناس، ووجوههم يلحنون فوضع باب الفاعل والمفعول به والمضاف، وحروف النصب والرفع والجر والجزم"[4].

وقال أبو العباس محمد بن يزيد: سُئل أَبُو الأَسْوَد الدُّؤَلِيّ عمن فتح له الطريق إلى الوضع في النحو وأرشده إليه، فقال: تلقيته من علي بن أبي طالب رحمه الله. وفي حديث آخر قال: ألقى إلي علي أصولا احتذيت عليها[5]. وقيل لأبي الأسود: من أين لك هذا العلم؟ ــ يعنون النحوــ فقال: لقِنت حدوده من علي بن أبي طالب. وكان أَبُو الأَسْوَد من القراء، فقرأ على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه[6].

وقد اختلفت الروايات في سبب وضع النحو، فمن ذلك ما رواه بن عبيدة أن أبا الأسود أخذ النحو عن علي بن أبي طالب، وكان لا يُخرج شيئا مما أخذه عن علي كرّم الله وجهه إلى أحد حتى بعث إليه زياد أن اعمل شيئا يكون للناس إماما، ويُعرف به كتاب الله، فاستعفاه من ذلك حتى سمع أَبُو الأَسْوَد قارئا يقرأ: ﴿ ﴾

---

[1] – يُنظر: أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، ص: 20، والزبيدي ، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 21.

[2] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 27.

[3] – الزبيدي،" المصدر نفسه "، ص: 26.

[4] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 21، و ابن سلام الجمحي ، محمد (ت231هـ)، "طبقات الشعراء مع مقدمة تحليلية للكتاب و دراسة نقدية منذ الجاهلية إلى عصر ابن سلام ، دار النهضة العربية، بيروت ــ لبنان، 1969، دط، ص05 .

[5] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 21.

[6] – القفطي، "انباه الرواة على أنباه النحاة"، 50/1.

[1] بكسر (رسول)، فقال: ما ظننت أن أمر الناس آل إلى هذا، فرجع إلى زياد وقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير فليُبغني كاتبا لَقِنًا يفعل ما أقول، فأُتي بكتاب من عبد القيس، فلم يرضه، فأُتي بآخر. قال أبو العباس المبرد: أحسبه منهم، فقال أبُو الأَسْوَد: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانْقُط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممت فمي فانْقُط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف فهذا نقط أبي الأسود[2]، وتَذْكُر بعض المصادر الأخرى أن أبا الأسود دخل على الإمام علي فوجد في يده رقعة فيها شيء من أبواب النحو؛ لأن عليا أقدم على ذلك لما رأى فساد اللسان العربي بمخالطة العرب للأعاجم، وفي هذه الرقعة تقسيم للكلمة (الكلام كله اسم وفعل وحرف...) ثم وضع أبو الأسود بابي العطف والنعت، ثم بابي التعجب والاستفهام إلى أن وصل إلى أن وأخواتها، وكان كلما وضع بابا من أبواب النحو عرضه على الإمام علي، حتى قال له: "ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوت؛ فلذلك سمي النحو"[3].

وقيل أن ابنةً لأبي الأسود قعدت معه في يوم قائظ شديد الحر، فأرادت التعجب من شدة الحر، فقالت: "ما أشدُّ الحرّ!" فقال أبوها: "القيظ، وهو ما نحن فيه يا بنية"، جوابا عن كلامها لأنه استفهام، فتحيرت وظهر لها خطؤها، فعلم أبو الأسود أنها أرادت التعجب، فقال لها: قولي يا بنية: " ما أشدَّ الحرَّ!" فعمل باب التعجب، وباب الفاعل والمفعول به وغيرها من الأبواب[4].

وذكر بن أبي سعد (ت 274 هـــ) عن عمر بن شبة (ت 202 هـــ) عن أبي بكر بن عياش (ت 173 هـــ) عن عاصم بن أبي النجود (ت 127 هـــ) قال : أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي جاء إلى زياد بالبصرة، فقال: إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم، وتغيرت ألسنتهم أفتأذن لي أن أضع للعرب كلاما يقيمون به كلامهم؟ قال: لا، فجاء رجل إلى زياد فقال: أصلح الله الأمير!

---

1 ــ جزء من الآية : 03 من سورة التوبة .

[2] – يُنظر: ابن النديم، "الفهرست"، ص: 190-191، وينظر: انباه الرواة، 1/ 40. وجاء في مراتب النحويين: فإن أتبعت شيئا من ذلك غنّة فاجعل النقطة نقطتين، ص: 23.

[3] – ابن الأنباري ،"نزهة الألباء"، ص: 18 – 19، و عبد الجليل مرتاض ،"بوادر الحركة اللسانية"، ص: 104.

[4] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 21 – 22.

توفي أبانا وترك بنون، فقال زياد: توفي أبانا وترك بنون! أُدع لي أبا الأسود، فقال: ضع للناس الذي كنت نهيتك أن تضع لهم[1].

وفي رواية أخرى يذكرها الزبيدي في طبقاته أن أبا سعيد قال: ويُقال أن السبب في ذلك أيضا أنه مرّ بأبي الأسود سعد، وأن رجلا فارسيا قدم البصرة مع أهله، فمر سعد هذا بأبي الأسود، وهو يقود فرسه فقال: مالك يا سعد لما لا تركب؟ فقال: "إنَّ فرسي ظالِعٌ" أراد " ظالِعًا" [2]، فضحك به بعض من حضره، فقال أبو الأسود، هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام، ودخلوا فيه فصاروا لنا إخوة، فلو علمنا لهم الكلام: فوضع باب الفاعل والمفعول[3].

وهناك بعض الروايات التي تنسب وضع النحو العربي إلى نصر بن عاصم الليثي وعبد الرحمن بن هرمز، غير أن هذه الروايات قليلة جدا، ولقلّتها تكاد لا تُذكر[4].

وعن أول واضع للنحو العربي يقول العلامة ابن خلدون: إنّ أول من كتب في النحو أبو الأسود الدؤلي من بني كنانة، ويُقال بإشارة من علي كرم الله وجهه؛ لأنه رأى تغيّر الملكة فأشار عليه بحفظها ففزع إلى ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرأة، ثم كتب فيها الناس من بعده إلى أن انتهت إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي أيام الرشيد[5].

ولن أطيل الحديث بنقل كلام كل العلماء القدامى عن موضوع وضع النحو، بل أكتفي ببعض الآراء القليلة فقط.

فإذا رجعتَ إلى المراجع الحديثة وجدتَهَا هي الأخرى تذكر هذه الروايات التي اِطَّلَعَتْ عليها ودرَسَتها وناقشتها، لتخرج في آخر الأمر بآراء مختلفة إلى حد ما؛ حيث تُجمع غالبيتها على أن أول

---

[1] – الزبيدي، " طبقات النحويين واللغويين "، ص: 21 ــ 22.

[2] – ابن النديم، "الفهرست"، ص: 191.

[3] – ابن النديم، "المرجع نفسه "، ص: 192، والزبيدي ، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 22.

4 – عبد الجليل مرتاض ، بوادر الحركة الأولى عند العرب ، ص :105 .

[5] – يُنظر: ابن خلدون، "المقدمة"، ص: 622.

واضع للنحو هو أبو الأسود الدؤلي، والقليلون منهم فقط الذين يرون أن غيره هو الذي أخرج هذا العلم من العدم[1].

2 – المدارس النحوية الأولى:

رأيت أنّه لا بدّ لي في هذا الموضع أن أتقدّم بكلمة قصيرة عن المدارس النحويّة الأولى؛ التي كان لها كبير الأثر في منهج المدرسة الأندلسيّة .

2 –1 المدرسة البصرية:

2 – 1 –1 نشأتها: تُجمع المصادر على أن العراق كان مهدا لنشأة النحو وذلك لعدة أسباب من بينها،أنّ :

1/ العراق كان ملجأ للعجم قبل الفتح الإسلامي، وبعد الفتح أقبل المسلمون عليها عرباوعجما[2]، بالإضافة إلى أنّها كانت تمتاز بأسباب الحياة الناعمة ورغد العيش [3]، فهي قطر غني يتوافر فيه العيش فيجد الناس من أوقاتهم ما يسمح لهم بالعلم[4].

2/كان العراق أكثر البلاد العربية إصابة بوباء اللحن وتعرضا لمصائبه؛ بسبب هذا المزيج بين العرب والعجم.

3/كان العراقيون ذوي عهد قديم بالعلوم والتأليف ولهم فيها خبرة متواترة[5].

أما بالنسبة للنشاط العلمي الذي كان في العراق فمركزه هو مدينتي البصرة والكوفة اللتين أنشئتا في خلافة عمر حوالي أربعة عشر للهجرة [6]، على يدي الصحابي عتبة بن غزوان رضي الله عنه [7]، عنه[7]، وقد كان لكل من المدينتين وجهتها الخاصة بها فيما يخص البحث والاستنباط في علم النحو، ونشأ عن هذا أن كان لكل منهما مذهبه الخاص[8].

---

[1] – يُنظر: أحمد جميل شامي، "النحو العربي: قضاياه ومراحل تطوره"، ص: 55.

[2] – إبراهيم عبود السامرائي، "المفيد في المدارس النحوية"، ص: 23.

[3] – إبراهيم عبود السامرائي ، " المرجع نفسه "، ص: 23.

[4] – ينظر: أحمد أمين، "فجر الإسلام"،دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، ط1 ، 1425هـ / 2004 ، ص: 178.

[5] – التواتي بن التواتي، "المدارس النحوية"، دار الوعي ، الجزائر ، دط ، 2008، ص: 14.

[6] – عبد العزيز عتيق، "المدخل إلى علم النحو"، دار النهضة ، ط2 ، 1974 ، ص: 137.

[7] – التواتي بن التواتي، "المدارس النحوية"، ص: 14.

[8] – يُنظر: عبد العزيز عتيق، "المدخل إلى علم النحو"، ص: 137.

ومدينة البصرة كما لا يخفى عن أحد كانت أسبق المدن العراقية اشتغالا بالنحو؛ حيث احتضنت النحو زهاء قرن من الزمان قبل أن تشتغل به الكوفة؛ التي كانت بدورها أسبق من بغداد[1].

وترجع أسبقية البصرة على غيرها من المدن العراقية في دراسة النحو والاشتغال به إلى عدة أسباب سأحاول اختصارها في نقاط ثلاثة:

أولا: الموقع الجغرافي: لعب الموقع الجغرافي الذي تحتله البصرة دورا بالغ الأهمية في جعلها تحتل المرتبة الأولى في الدراسات النحوية، فمنها خرج كبار النحويين الذين أسَّسوا للغة العربية أمثال: أبي الأسود،وأبي عمرو بن العلاء (ت 154 هـ) والخليل بن أحمد (ت 175هـ) وسيبويه، فالبصرة تقع على طرف البادية بالقرب من بوادي نجد والبحرين، ونفذ إليها الأعراب من قلب الجزيرة العربية لتعليم أبنائها اللغة الفصحى وأشعارها وأخبار أهلها؛ لذلك لم تلوّث لغة أهلها بعامية الأمصار المفتوحة، فظلّت لغتهم سليمة لاختلاطهم بالعرب الأقحاح الموثوق بفصاحتهم[2]، فالبصرة كانت أقرب مدن العراق إلى العرب الأقحاح، وهذا الأمر سهّل على أهلها الأخذ عن العرب دون تكلّف لعنا ء الرحلة والتنقل[3].

ثانيا: العامل السياسي: كانت البصرة عثمانية أموية، وكانت الكوفة علويّة عباسية[4]، كما كانت مقرّ علي رضي الله عنه وأتباعه، في حين كانت البصرة موئلا لعائشة رضي الله عنها التي أعلنت الحرب ثأرا لعثمان رضي الله عنه، فحدثت معركة الجمل، ثم أعقبها اختلاف عنيف في سياسة البلدين، وتعمَّق هذا الاختلاف، وتفاقم على مر الأيام وسرعان ما اشتد بعد أن ناصر الأمويون أهل البصرة وناهضوا أهل الكوفة، إلى أن قامت دولة بني العباس فعطفت على الكوفيين فعزّ جانبهم بعد ذل وأفل نجم البصريين بعد تألق، وقد أدَّى هذا الاختلاف بين البلدين إلى التباري والمفاخرة، وجرّ السكان فيهما إلى تطاول بعضهم على بعض فتولّد في نفوسهم إيثار المخالفة في المسائل العلمية على الموافقة عليها[5].

---

[1] – يُنظر: إبراهيم عبود السامرائي، "المفيد في المدارس النحوية"، ص: 23.

[2] – يُنظر: أحمد جميل شامي، "النحو العربي: قضاياه ومراحل تطوره"، ص: 153.

[3] – يُنظر: إبراهيم عبود السامرائي، "المفيد في المدارس النحوية"، ص: 25.

[4] – إبراهيم عبود السامرائي، " المرجع نفسه "، ص: 24 .

[5] – يُنظر: أحمد جميل شامي، "النحو العربي: قضاياه ومراحل تطوره"، ص : 153.

ثالثا: سوق المربد: كان المربد سوقا من أسواق البصرة، تقع على ثلاثة أميال من طرفها من جهة الصحراء، يجتمع فيه أهل البادية الذين يجيئون من باديتهم للتجارة فيخرج إليهم أهل البصرة ليشتروا منهم ما جلبوه معهم من سلع.

وكما كانت الأسواق في الجاهلية تُعقد لتبادل المنفعة وفي الوقت نفسه كانت تنشط بحلقات الأدب، كان المربد كذلك يأتي إليه الأعراب، وربما يحضر بعضهم وليس لديه حاجة يقضيها سوى حبه وشغفه للقول والإنشاد، فيجتمع الناس ليستمعوا إليه، فالمربد أنسب مكان للشاعر حتى يُظهر فيه إنتاجه[1]، فهو يمثل عكاظ الإسلام[2].

وقد لعب اللغويون دورا في هذه السوق فيما يرويه أبوعلي القالي عن الأصمعي أنه قال: "جئت إلى أبي عمرو بن العلاء، فقال لي: من أين أقبلت يا أصمعي؟ قلت من المربد، قال هات ما معك، فقرأت عليه ما كتبت في ألواحي فمرّ به ستة أحرف لم يعرفها فخرج يعدو في الدرجة وقال: شمّرت في الغريب أي غلبتني[3].

ويُعدّ سوق المربد ثاني مركز ثقافي مهم في البصرة بعد المسجد الجامع، وقد تعاون كل من المركَزَيْن على نشر الثقافة والدعوة لها، وفي المركزين تلاقت الأفكار وتفاعلت الحضارات وصِيغت العقلية البصرية بصيغة مركبة ليست بالعربية الخالصة، ولا بالأجنبية الخالصة، ولكنها كانت مزيجا من هذه وتلك، إلاَّ أن الطابع العربي هو الغالب؛ لأن العربية لغة القرآن ولغة الدولة[4].

ومن أشهر المجالس التي عرفها مسجد البصرة الجامع: "مجلس الحسن البصري"، والحسن البصري أحد التابعين، وكان من الفقهاء والمحدّثين، ومن الفصحاء الذين كان أبو عمرو بن العلاء يُفضلهم في الفصاحة[5].

---

[1] – يُنظر: عبد الحميد الشلقاني، "رواية اللغة"، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ص: 69.

[2] – سعيد الأفغاني، "من تاريخ النحو"، ص: 64.

[3] – التواتي بن التواتي، "المدارس النحوية"، ص: 16.

[4] – مهدي المخزومي، " عبقري من البصرة"، ص: 13 .

[5] – يُنظر: مهدي العربي المخزومي، "عبقري من البصرة"، دار الرائد، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص: 13.

2 -1- 2 أعلامها:

لقد وضعت البصرة من غير ريب أولى غراس النحو العربي كما سبق وتعهّدته بالري حتى استقام على سوقه، ونما أصولا وفروعا [1]، وكل هذا بفضل أعلام كثيرين تعاقبوا على هذه المدرسة فقدّموا لها وللنحو العربي بصفة عامة الكثير؛ حيث أسسوا المناهج للدرس اللغوي، ووضعوا القواعد للنحو، وما أكثر هؤلاء العلماء الذين لن نستطيع أن نذكرهم كلّهم في هذا الموضع، بل سنكتفي بذكر بعض ممن سبقوا في تأسيس هذه المدرسة فكانوا من روادها الأوائل ، ومنهم:

ـــ **أبو الأسود الدؤلي**: هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حُليس بن نُفاثة بن عدي بن الدّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وكان علويّ الرأي ورجل أهل البصرة، وهو أوّل من رسم للناس النحو[2].

قال ابن النديم: "زعم أكثر العلماء أنّ النحو أُخذ عن أبي الأسود الدؤلي، وأن أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[3]. وتوفي أبو الأسود الدؤلي سنة تسع وستين في طاعون الجارف وهو ابن خمسٍ وثمانين سنة[4].

ـــ **نصر بن عاصم الليثي**: ويُقال الدؤلي المقرئ النحوي البصري، أخذ القراءة عن أبي الأسود الدؤلي، والنحو واللغة عن يحيى بن يعمر، وهو أوّل من وضع العربية، روى عنه القراءة أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وسمع منه قتادة[5].

جعله الزبيدي على رأس الطبقة الثانية، ويعتبر نصر بن عاصم من الرعيل الأول؛ إذ أسهم في الحركة النحوية مع أستاذه أبي الأسود الدؤلي[6].

و صنّفه السيوطي ضمن قدماء التابعين؛ حيث يقول على لسان ياقوت: كان فقيها عالما

---

[1] – عبد الحسين محمد، رشيد عبد الرحمن، طارق عون، "تاريخ العربية"، د.ط، د.ت، دون دار النشر، ص: 17.

[2] – الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين"، ص: 20.

[3] – ابن النديم، "الفهرست"، ص: 189.

[4] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين "، ص: 26.

[5] – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت 817 هـــ)، "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"، مراجعة: بركات يوسف هبّود، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط2، 1422هـــ، 2001مـــ.ص: 190 .

[6] – يُنظر: عبد العال سالم مكرم، "الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي"، منشورات مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ص: 74.

بالعربية من قدماء التابعين وكان يسند إلى أبي الأسود في القرآن والنحو وله كتاب في العربية.[1] وقيل أخذ النحو عن يحيى بن يعمر العدواني، وأخذ عنه أبو عمرو بن العلاء [2]، فنصر بن عاصم كان من الرجال الذين وضعوا للنحو أبوابا وأقاموا له بناء وشيدوا له أسسا[3].

يقول الزبيدي: فكان أول من أصّل ذلك وأعمل فكره فيه – أي النحو العربي – أبا الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو الدؤلي، ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز فوضعوا للنحو أبوابا وأصَّلوا له أصولا فذكروا عوامل الرفع والنصب والخفض والجزم[4].

وقال عمرو بن دينار:" اجتمعت أنا والزهري ونصر بن عاصم، فتكلم نصر فقال الزهري: إنّه ليفلّق بالعربية تفليقا"[5].وتوفي نصر بن عاصم سنة تسعٍ وثمانين .[6]

ـــ **عبد الرحمن بن هرمز** : هو عبد الرحمن بن هرمز بن أبي سعد المديني المقرئ النحوي [7]،

يقول الزبيدي عن ابن أبي سعد قال: حدثنا أحمد بن سعد بن إبراهيم الزهري، قال: حدثنا يحيى بن أبي بكير، قال حدّثنا عبد الله بن لهيعة عن أبي النضر، قال: كان عبد الرحمن بن هرمز من أول من وضع العربية، وكان من أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش[8].

وعن الأنباري قال: قال أهل العلم: إنه أوّل من وضع علم العربية، والسبب في هذا القول إنّه أخذ عن أبي الأسود الدؤلي وأظهر هذا العلم بالمدينة، وهو أول من أظهره وتكلم فيها، وكان من أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش، وما أخذ أهل المدينة النحو إلاَّ منه ولا نقلوه إلاَّ عنه، و إليه أشار ابن برهان النحوي في أول شرحه في كتاب " اللّمع " بأن قال: "النحاة جنس تحته ثلاثة أنواع: مدنيون، بصريون، كوفيون، أراد أن أصل النحو نُتِجَ من أول علماء هذه المدن"[9].

ويُروى أن مالك بن أنس إمام دار الهجرة رضي الله عنه اختلف إلى ابن هرمز عدة سنين

---

[1] – السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـــ)، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004مـــ، 1425هـــ، 312/2.

2 ـــ السيوطي، " بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة "، 312/2 .

[3] – عبد العال سالم مكرم، "الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي"، ص:75.

[4] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحوين واللغويين"، ص: 11.

[5] – الزبيدي، "المصدر نفسه "، ص: 27.

[6] – السيوطيي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، 2/ 312.

[7] – القفطي ، الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت624هـــ)،"إنباه الرواة على أنباه النحاة"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا ـــ بيروت، ط1، 2004، 2/ 172.

[8] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 26.

[9] – القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 171/2.

في علم لم يبثّه في الناس، يَرَوْن أن ذلك من علم أصول الدين وما يردّ به مقالة أهل الزيغ والضلالة[1].

وعبد الرحمن بن هرمز مدني تابعي، أخذ عنه نافع بن أبي نعيم القراءة في جماعة من أهل المدينة، وكان عبد الرحمن قد أخذ القراءة عن عبد الله بن العباس وأبي هريرة، نقل الأنباري عن ابن الجزار القيرواني أن أبا داود عبد الرحمن بن هرمز توفي بالإسكندرية سنة سبع عشرة ومائة، ودُفِن بها[2].

ـــ **عبد الله بن أبي إسحاق** : هو عبد الله بن أبي إسحاق مولى آل الحضرمي، وهم خلفاء عبد شمس بن عبد مناف، أخذ عن الأقرن، وهو أول من بعج النحو ومدّ القياس وشرح العلل، وكان مائلا إلى القياس في النحو [3]. النحو[3]. كما كان عالما بالقراءات، أخذ القرآن عن يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم، وروى عن أبيه عن جدّه عن علي[4]، وتناظر هو وأبو عمرو بن العلاء بالبصرة، قال أبو عمرو: فغلبني ابن أبي إسحاق بالهمز بالهمز يومئذ، فنظرت فيه بعد ذلك وبالغت[5].

نقل الزبيدي في طبقاته قول ابن سلام: "سمعت أبي يسأل يونس عن ابن أبي إسحاق وعلمه، فقال: هو والبحر سواء؛ أي هو الغاية[6]، وتوفي ابن أبي إسحاق سنة سبع عشرة ومائة[7].

ـــ **أبو عمرو بن العلاء:** اسمه زبّان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين التيمي المازني. وهو بصري أخذ عن ابن أبي إسحاق، وكان أوسع علما بكلام العرب ولغاتها وغريبها من عبد الله بن أبي إسحاق، وكان من جِلَّة القراء الموثوق بهم[8]، أخذ القراءة عرضا وسماعا للحروف

---

[1] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 26.

[2] – القفطي، "انباه الرواة على أنباه النحاة"، 2/ 173.

[3] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 31 ويُنظر: الفيروزآبادي، "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"، ص: 96

[4] – يُنظر: السيوطي، "بغية الوعاة"، 83/2.

[5] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 31.

[6] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص:31 .

[7] – الزبيدي، "المصدر نفسه"، ص: 33.

[8] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 35.

عن جماعة[1].قال يونس: لو كان أحد ينبغي أن يُؤخذ بقوله كله في شيء واحد لكان ينبغي لقول أبي عمرو أن يُؤخذ كله، ولكن ليس من أحد إلاَّ وأنت آخذ من قوله وتارك[2].

كان أبو عمرو رأسا في الثقافة العربية، وعَلَمًا من أعلامها الذين تطورت على أيديهم اللغة العربية في مجالاتها المختلفة شعرا ونقدا، ونحوا وصرفا وقرآنا وحديثا 3؛ لذلك استطاع أن يُصبح سيد الناس وأعلمهم بالعربية والشعر ومذاهب العرب4.

يقول أبو الطيب اللغوي: "أخبرنا محمد بن يحيى، قال: حدّثنا المبرد قال: حدثني العباس بن ميمون قال: حدثنا الأصمعي عن سفيان الثوري قا ل: كنا عند الأعمش وعنده أبو عمرو بن العلاء، فحدّث عن أبي وائل عن عبد الله [5]: كان النبي صلي الله عليه وسلم يتخولّنا بالموعظة"، ثم قال الأعمش "يتعاهدنا"[6] فقال له أبو عمرو: "إن كان يتعاهدُنا "فيتخوّننا"، فأما "يتخوّلنا" فيستصلحنا، فقال له الأعمش: وما يدريك؟ فقال: لئن شئت يا أبا محمد أن أعلمّك الساعة أن الله ما علَّمك من جميع ما تدعيه شيئا فعلتُ"[7].

توفي أبو عمرو بن العلاء بالكوفة سنة 154 هـ وعمره ستة وثمانون سنة[8].

ـ **الخليل بن أحمد:** هو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، قال ابن أبي خيثمة أحمد أبو الخليل: أول من سمي في الإسلام بأحمد، و أصله من الأزد من فراهيد[9]. قال محمد بن يزيد: ثم أخذ النحو عن عيسى عيسى بن عمر أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودي، فلم يكن قبله ولا بعده مثله[10].

---

[1] – الفيروزآبادي، "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"، ص: 79.

[2] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 35.

[3] – عبد العال سالم مكرم، "الحلقة المفقودة في النحو العربي"، ص: 195.

[4] – يُنظر: أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، ص: 28.

[5] – هو عبد الله بن مسعود، والحديث بهذا السند في صحيح البخاري، باب ما كان النبي ثلى الله عليه وسلم يتخوّلهم بالموغظة والعلم كي لا ينفروا، "كتاب العلم، رقم الحديث: 68، " ونصه فيه: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوّلنا بالموعظة في الأيام، كراهة السآمة علينا"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1423هـ، 2002مـ، ص" 19 .

[6] – تعاهد وتعهد / تفقد.

[7] – أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، ص: 29.

[8] – الفيروزآبادي، "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"، ص: 79.

[9] – ابن النديم، " الفهرست "، ص: 199.

[10] – أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، ص: 45.

وكان الخليل أعلم الناس وأذكاهم، وأفضل الناس وأتقاهم؛ إذ "لم يكن للعرب بعد الصحابة أذكى من الخليل بن أحمد ولا أجمع، ولا كان في العجم أذكى من ابن المقفع ولا أجمع."[1]

وكان الخليل ذكيا فطنا شاعرا، واستنبط من العروض ومن علل النحو ما لم يستنبط أحد، وما لم يسبقه إلى مثله سابق[2]، وقيل إنه دعا بمكة أن يُرزق علما لم يسبقه إليه أحد، ولا يؤخذ إلاَّ إلاَّ عنه، فرجع من حجه، ففُتِح عليه بالعروض[3].

يقول الزبيدي: كتب إليه سليمان بن علي الهاشمي يستدعيه إلى صحبته، وبعث إليه بطرف وكُسا ومال وفاكهة، فقبل الفاكهة، وصرف ما سوى ذلك وكتب إليه: [4]

أبلغ سليمان أني عنه في سَعَة وفي غنى غير أني لست ذا مال

وفيما نقله أبو الطيب اللغوي:" الخليل أذكى العرب، وهو مفتاح العلوم ومُصَرِّفُها"[5].

حصر الخليل علم اللغة بحروف المعجم وسماه كتاب "العين"، وله علم بالإيقاع وله كتاب فيه، ومعرفته بالنغم ومواقعها أحدث له علم العروض[6]، وهو أستاذ سيبويه، وعامّة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل، وكلما قال سيبويه: وسألته أو قال: من غير أن يذكر قائله فهو الخليل[7].

توفي الخليل بن أحمد سنة سبعين ومائة، وقالوا سنة خمس وسبعين، وهو ابن أربع وسبعين سنة[8].

ـــ **سيبويه:** هو عمرو بن عثمان بن قنبر[9] مولى بني الحارث بن كعب بن عمرو بن علّة بن جَلْد بن مالك بن أُدد. أخذ عن الخليل ولازمه وتتلمذ له وكان قد أخذ شيئا من النحو عن عيسى بن عمر الثقفي وعن يونس،وأخذ عن غيرهما وأخذ اللغة عن أبي الخطّاب الأخفش الكبير وغيره، وعمل كتابه المنسوب إليه في النحو، وهو مما لم يسبقه إليه أحد، وقد قيل إنه أخذ كتاب عيسى بن عمر

---

[1] – أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين "، ص: 45.

[2] – الزبيدي، "طبقات النحوييين و اللغويين "، ص: 74.

[3] – القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 1/ 377.

[4] – الزبيدي، "طبقات النحويين و اللغويين "، ص: 47.

[5] – أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، ص: 46.

[6] – القفطي، "انباه الرواة على أنباه النحاة"، 1/ 378.

[7] – محمد إبراهيم البنا، "دراسات ونصوص لغوية"، دار ابن حزم ، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ، 2006مـ، ص: 63 .

[8] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين و اللغويين "، ص: 51.

[9] – أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، ص: 73.

المسمى بـــ"الجامع" وبسطه وحشّى عليه، من كلام الخليل وغيره، وأنه كان كتابه الذي اشتغل به، فلما استُكمل بالبحث والتحشية نُسِب إليه[1].

قال أبو علي البغدادي: ولد سيبويه بقرية من قرى شيراز يُقال لها البيضاء ، ثم قدم البصرة ليكتب الحديث، فلزم حلقة حصاد بن سلمة، فبينما هو يستملي على حمّاد قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**ليس من أصحابي إلاَّ من لو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء** » فقال سيبويه: "ليس أبو الدرداء" وظنّه اسم ليس، فقال حمَّاد: لحنت يا سيبويه، ليس هذا حيث ذهبتُ، وإنما "ليس" ها هنا استثناء، فقال سأطلب علما لا تلحنّي فيه، فلزم الخليل فبرع[2].

ويقول فيه أبو الطيب اللغوي: "سيبويه أعلم الناس بالنحو بعد الخليل، وألف كتابه الذي سمَّاه الناس قرآن النحو، وعقد أبوابه بلفظه ولفظ الخليل" [3]. ويقول ابن النديم: " قرأت بخط أبي العباس ثعلب: اجتمع على صنعة كتاب سيبويه اثنان وأربعون اِنسانا منهم سيبويه، و الأصول والمسائل للخليل "[4]، ـومن غير خطّ ثعلب ـ" كان المبرد إذا أراد إنسان أن يقرأ عليه كتاب سيبويه يقول له: هل ركبت البحر"؛ تعظيما له واستصعابا لما فيه، وكان المازني يقول: "من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد سيبويه فليستح"[5].

وقال أبو العباس المبرد: جاء الأخفش يناظر سيبويه بعد أن برع، فقال له الأخفش: إنما ناظرتك لأستفيد لا غير، قال: أتراني أشك في هذا! [6]

كانت وفاة سيبويه في سنة ثمانين ومائة بفارس، في أيام الرشيد، وقبره بشيراز، وكان قدِم بغداد وجُمع له النحويون فناظروه، فاستُزِلّ فعاد إلى فارس ومات هناك.[7]

---

[1] – القفطي، "اِنباه الرواة على أنباه النحاة"، 2/ 346 ــ 347.

[2] – الزبيدي، "طبقات النحويين و اللغويين"، ص: 66.

[3] – أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، ص: 73.

[4] – ابن النديم، "الفهرست"، ص: 233.

[5] – ابن النديم، " المرجع نفسه "، ص: 234، ويُنظر:القفطي، " انباه الرواة على أنباه النحاة "، 2/ 348.

[6] – القفطي، "انباه الرواة على أنباه النحاة"، 2/ 353.

7 ــ القفطي، " المرجع نفسه "، 2/ 353.

ـــ **أبو العباس المبرد:** هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عُمير بن حسان بن سُليم بن سعد بن عبد الله بن يزيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبد الله بن بلال بن عوف بن أسلم – وهو ثُمالة – بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث[1].

و فيما نقله ابن النديم:" انتهى علم النحو بعد طبقة الجرمي والمازني إلى أبي العباس محمد بن يزيد الأزدي الثمالي، وهو من ثمالة قبيلة من الأزد[2]. وأخذ النحو عن الجرمي والمازني وغيرهما، وعلى المازني عوّل. ويُقال إنّه ابتدأ كتاب سيبيويه على الجرمي، وختمه على المازني[3].

قال عبد الله بن الحسين بن سعد الكاتب وأبو بكر بن أبي الأزهر: كان أبو العباس محمد بن يزيد من العلم وغزارة الأدب، وكثرة الحفظ، وحسن الإشارة، وفصاحة اللسان وبراعة البيان، وملوكية المجالسة وكرم العشرة، وبلاغة المكاتبة وحلاوة المخاطبة، وجودة الخط وصحة القريحة، وقرب الإفهام ووضوح الشرح، وعذوبة المنطق، على ما ليس عليه أحد ممن تقدَّمه أو تأَخَّر عنه. [4] وعن أبي بكر بن مجاهد:" ما رأيت أحسن جوابا من المبرد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لِمُتقدِّم."[5]

ترك لنا المبرد تصانيف كثيرة مشتهرة منها: "الكامل"، و"المقتضب"، و"الروضة" و"الاشتقاق" و"القوافي"[6]، وعن كتابه " الكامل" مثلا يقول أهل المغرب: "من لم يقرأ الكامل فليس بكامل، ومن لم يقرأ أمالي القالي فهو للأدب قالٍ"[7].

كان مولد المبرد يوم الاثنين في ذي الحجة ليلة لأضحى سنة عشر ومائتين، وتوفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ست وثمانين ومائتين[8].

2 ــ 1 ــ 3: منهجها:

كان علماء البصرة دائمي الترحال إلى البادية والجزيرة يتلقون عن أعرابها، والأعراب أيضا كانوا دائمي التردد على البصرة لقضاء حوائجهم. فقد ضرب في بوادي الجزيرة الأصمعي وأبو عبيدة

---

[1] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 101، ويُنظر: ابن النديم، "الفهرست"، ص: 265 ــ266.

[2] – ابن النديم، "الفهرست"، ص: 266.

[3] – ابن النديم، " المرجع نفسه "، ص: 266 .

[4] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 101.

[5] – محمد إبراهيم البنا، "دراسات ونصوص لغوية"، ص: 117.

[6] – ابن النديم، "الفهرست"، ص: 267.

[7] – الفيروزآبادي، "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"، ص: 177.

[8] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 110.

ويونس وأبو زيد والخليل، وغيرهم، ثم كانوا يتحرُّون في الأخذ، أمّا العربي فيتحرُّون فيه سلامة لغته وسليقته[1]، ومن ذلك ما يحكى أنّ أبا عمرو استضعف فصاحة أبي خيرة لما سأله، فقال: كيف تقول: "استأصل الله عرَقاهم؟"، ففتح أبو خيرة التاء، فقال له أبو عمرو: هيهات أبا خيرة لان جلدك![2] وهذا يعني أنّ اللحن بدأ يسري إلى الأعراب؛ لأن أبا عمرو كان قد سمع أبا خيرة؛ وهو أحد الأعراب الذين أُخِذت عنهم اللغة يروي الشاهد بالكسر، فلم يتردد في مؤاخذته باللحن وذلك لتقدمه في السن وطول مخالطته لأهل الحواضر[3].

والبصريون كما نعلم لا يطمئن بالهم لِلُغة الحواضر؛ والدليل على هذا ما ذهب إليه سيبويه في كتابه إلى أن تحقيق الحجازيين لهمزة "نبيء" رديء فقد قال: وقالوا: نبيٌّ وبرية، فألزمهم أهل التحقيق البدل، وليس كل شيء نحوهما يفعل به هذا، وإنما يؤخذ بالسمع، وقد بلغنا أن قوما من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون " نبيء " و" بريئة" وذلك قليل رديء [4]، وهذا يعني أن سيبويه يحرص على المسموع، فهو يري التحقيق في الهمزة في هاتين الكلمتين ردئ قليل و إن ورد في قراءة جماعة من أهل العلم[5].

وبالتالي نستنتج أن نحاة البصرة وعلى رأسهم أستاذهم سيبويه يتشددون في السماع تشددهم في القياس، فهم لا يأخذون إلاَّ عمن يُوثق بعربيّتهم فصاحة وأصالة، مبتعدين عمن لا يُطَمْأَنُ إليهم بسبب مخالطتهم غير العرب من الذين جاوروهم أو كانوا على مقربة منهم[6].

وأما الشروط التي كان يتطلبها البصريون في الراوي؛ فهي: الصدق والضبط، وعدم الاعتداد بالشاهد إذا لم يُعرف قائله أو لم يروه عربي يوثق بلغته*[7]. ووصفوا كل الشواهد التي خرجت على

---

[1] – يُنظر: سعيد الأفغاني، "من تاريخ النحو"، ص: 65.

[2] – ابن جني، "الخصائص"، 2/ 13.

[3] – يُنظر: إبراهيم السامرائي، "المدارس النحوية: أسطورة وواقع"، ص: 18.

[4] – سيبويه، "الكتاب"، 2/ 170.

[5] - يُنظر: إبراهيم السامرائي، "المرجع السابق"، ص: 18.

[6] – يُنظر: إبراهيم السامرائي، "المدارس النحوية: أسطورة وواقع"، ص: 19.

* – في كتاب سيبويه (1050) شاهدا، خمسون منها لم يعرف قائلوها فاعتذروا أن سيبويه وثق برواتها،ومع هذا كان بين هذه الخمسين ما وضع وضعا، وهو نزر يسير لا يعتد به.

[7] – ينظر: سعيد الأفغاني، "من تاريخ النحو"، ص: 65.

المسموع الشائع في أنها شاذة أو أنها ضرورة، وعلى ذلك لا يمكن أن تكون أساسا في حكم ما[1].فها هو ذا عبد الله بن أبي إسحاق وهو بصري نجده شديد التجريد في القياس [2] سريعا إلى تخطئة المعربين إذا خرجوا عن المألوف في كلام العرب، فقد آخذ على **الفرزدق** (ت110 هـــ) خروجه على العربية[3]، وكذلك النحوي البصري **عيسى بن عمر** (ت 149هـــ)؛ الذي تجاوز هذا الحدّ فراح يتعقّب الجاهليين[4].

إنَّ المطلع على المذهب البصري يجده مذهبا حاول أن يُدخل مسائل النحو في بودقة المنطق بأقيسته وتعليلاته، وفروضه وتأويلاته، قبل الرجوع إلى كلام الله وكلام العرب؛ لعرض هذه المسائل في ضوئهما، ومن هنا كان القياس من أهم ما ارتكز عليه المذهب البصري [5]؛ الذي فضلوه فآمنوا بسلطانه وجروا عليه، وأهدروا ما عداه، وإذا رأوا لغتين: لغة تسير مع القياس، ولغة لا تسير عليه؛ فضّلوا التي تسير عليه، وضعّفوا من قيمة غيرها، فهم – في الواقع – أرادوا أن ينظّموا اللغة ولو بإهدار بعضها، وأرادوا أن يكون ما سُمع من العرب مخالفا لهذا التنظيم، مسائل شخصية جزئية يتسامحون فيها نفسها ولا يتسامحون في مثلها، والقياس عليها حتى لا تكثر فتُفسد القواعد والتنظيم، هذا إذا لم يتمكّنوا من أن يؤوّلوا الشاذ تأويلا يتّفق وقواعدهم ولو بنوع تكلّف[6].وسأحاول الآن حصر المنهج البصري في النقاط التالية:

2 – 1 – 3 – 1: المادة العلمية: اعتمد البصريون في مادة منهجهم العلمي الأفصح من الألفاظ والأسهل منها على اللسان[7]، ولذلك لم يأخذوا اللغة من كل قبيلة يجدونها أمامهم، بل وضعوا شروطا معينة في القبيلة المأخوذ عنها ومن هذه الشروط:

– **عدم تأثر تلك القبيلة بلغات العجم عن طريق الاختلاط أو الجوار**، وبالتالي كانوا يفضّلون القبائل التي تعيش في عزلة تامة؛ حيث تنغلق عليها أبواب الصحراء فكملت لغتها

---

[1] – إبراهيم السامرائي، "المدارس النحوية: أسطورة وواقع"، ص: 17.

[2] – ابن الأنباري ، "نزهة الألباء"، ص: 26.

[3] – ابن الأنباري، " المرجع نفسه "، ص: 27.

[4] – إبراهيم السامرائي، "المدارس النحوية: أسطورة وواقع"، ص: 17.

[5] – عبد العال سالم مكرم، "القرآن وأثره في الدراسات النحوية"، ص: 91.

[6] – أحمد أمين، "ضحى الإسلام"، 2/ 195.

[7] – يُنظر: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو"، تحقيق: أحمد محمد قاسم، القاهرة، مصر، ط1، 1396 هـــ، 1976مـــ، ص: 56، والسيوطي،"المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، 173/1.

وصينت من كل تحريف[1]. وقد اتّكل البصريون على تلك القبائل في الغريب وفي الإعراب [2]، ومن هذه القبائل: قيس وتميم وأسد، فأخذوا أكثر قواعدهم من هؤلاء في اللغة والإعراب والتصريف، ثم أخذوا من هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، و لم يأخذوا عن حضريّ، ولا من سكان البراري الذين جاوروا الأمم الأخرى[3].

– **اختيار سلامة المأخوذ عنهم**: لم يتردد البصريون في اختبار سلامة لغة من يشكّون في أمره ممن سبق ذكره من القبائل الفصيحة مثلما حدث مع أبي عمرو بن العلاء و الأعرابي أبا خيرة؛ الذي أصاب لسانه اللحن في آخر أيامه؛ وذلك بعد مخالطته لأهل الحواضر[4].

– **التأكد من الثقات في صحة المروي** ، فقد كان البصريّون يتحرُّون عن الرواة فلا يأخذون إلاَّ برواية الثقات الذين سمعوا اللغة من الفصحا ء عن طريق الحفظة و الأثبات الذين بذلوا الجهد في نقل المرويات عن قائليها منسوبة إليهم[5]؛ حيث تجدهم لا يطمئنون إلى كل رواية ترد عن العرب الجاهلية إلا إلا بعد تدقيق وتمحيص، فوضعوا مقاييس لتصحيح هذه الروايات الواردة عن العرب، فكان منهجهم في الدقّة والتشدّد كمنهج علماء الحديث أو أشدّ، وكانوا يرفضون كل الروايات الشاذة[6].

– **كمية المقيس عليه المنقول عن العرب**: تمسك البصريون بمبدأ الكثرة و لم يجيزوا القياس إلا على الأكثر المشهور[7]؛لذلك كان تقعيدهم على الأكثر، وإلا فعلى الكثير وإلا فعلى القليل، وإلا فعلى الأقل، وإلا فعلى النادر، وإلا قاسوا الأشباه على الأشباه والنظائر على النظائر؛ إذا لم يتناقض مع الوارد. ولذا اعتبر سيبويه قياس فعولة بفعيلة في النسب إليها بحذف صوت المدّ وقلب الضمة فتحة و إن لم يرد منها إلا شيء في النسب إلى شنوءه؛ لأنه لم يرد ما يخافها [8]، فإذا ما خالف الوارد ما سبق من قياس أولوه أو اعتبروه شاذا يحفظ ولا يُقاس عليه، وقد ينكرونه أو يقولون إنّه ضرورة[9].

---

[1] – يُنظر: عبد العال سالم مكرم، "القرآن وأثره في الدراسات النحوية"، ص: 95.

[2] – أحمد جميل شامي، "النحو العربي: قضاياه ومراحل تطوره"، ص: 100.

[3] – يُنظر: السيوطي، " الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 56، و" المزهر في علوم اللغة و أنواعها"، 1/ 173.

[4] – يُنظر: إبراهيم عبود السامرائي، "المفيد في المدارس النحوية"، ص:30.

[5] – إبراهيم عبود السامرائي، " المرجع نفسه "، ص: 31.

[6] – يُنظر: التواتي بن التواتي، "المدارس النحوية"، ص: 76.

[7] – يُنظر: التواتي بن التواتي، " المرجع نفسه "، ص: 76 .

[8] – إبراهيم عبود السامرائي، "المفيد في المدارس النحوية"، ص: 31 ــ32 .

[9] – إبراهيم عبود السامرائي، " المرجع نفسه "، ص:32

2 – 1 – 3 – 2 : المصادر اللغوية للقياس عند البصريين:

اعتمد البصريون في دراستهم طائفة من المصادر، وهي:

2 – 1 – 3 –2 –1: القرآن الكريم: أقام البصريون نحوهم على القرآن الكريم؛ حيث استشهدوا به في كثير من المسائل، فكان القرآن أحد مصادرهم المهمة والأساسية [1]، ولكنهم ضيَّقوا في هذا أشدّ الضيق؛ بحيث لم يأخذوا بقراءات عدّة، وهي من العربية، ولها أساس في لغات العرب، فقد حملوا على الخطأ قراءة عبد الله بن عامر مقرئ أهل الشام في قوله تعالى: **[وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ]** [2] بنصب "أولادهم" وجرِّ "شركائهم"، والخطأ المزعوم في هذا أنهم أنهم يمنعون الفصل بين المتضايفين في غير ضرورة الشعر، فلم يقبلوا قراءة ابن عامر مع علمهم أن للقراءة سندا متصلا، وأنّ القراءات السبع مما يجب أن يؤخذ به، وهي حجة قائمة[3].

ومن الشواهد المعروفة في تخطئتهم للقراءة ما كان منهم في قراءة حمزة **[وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ]** [4]بجر " الأرحام"، ووجه التخطئة أنهم لا يجيزون العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار ما عدا ما ورد من ذلك ضرورة. وقد قرأ بقراءة حمزة ابن عباس، والحسن البصري. [5]

وإذا كان نحاة البصرة قد تجرأوا على تخطئة قراءات مشهورة؛ لأنها تخالف قواعدهم فإنهم من غير شك لن يترددوا في رد الشواذ منها رغم اتصال سندها وجريها على العربية[6].

2 – 1 – 3 – 2 – 2:الشعر الجاهلي والإسلامي: اعتمد البصريون أشعار العرب الجاهليين؛ حيث اعتبروها أصلا من أصولهم، وقد تجاوزوها أحيانا إلى الشعر الإسلامي، فكان لهم من شعر الفرزدق وجرير وأراجيز العجاج ورؤبة وأبي النجم مادة اعتمدوها في نحوهم، ولا نعدم أن نجدهم استشهدوا بشعر بشار بن برد ،و إن تجاوز عصر الحقبة التي وقفوا عندها في استشهادهم[7].

---

[1] – إبراهيم عبود السامرائي، " المدارس النحوية: أسطورة وواقع "، ص: 33.

[2] ــ الآية 137 من سورة الأنعام .

[3] – إبراهيم السامرائي، "المدارس النحوية: أسطورة وواقع"، ص: 22.

[4] ــ الآية 1 من سورة النساء .

[5] – إبراهيم السامرائي، "المدارس النحوية: أسطورة وواقع"، ص: 22 ــ23.

[6] – إبراهيم السامرائي، " المرجع نفسه "، ص: 23.

[7] – إبراهيم السامرائي، "المدارس النحوية: أسطورة وواقع"، ص: 20 ــ21.

وقد احتج سيبويه في كتابه ببعض شعر بشار؛ تقرّبا إليه ليسلم من هجائه؛ فقد"عاب سيبويه أحرفا على بشار، ونسبه فيها إلى الغلط، كالوجلى من الوجل، وجمع نون حوت على نينان؛ فهجاه بشار، فتوقاه سيبويه بعد ذلك، وكان إذا سئل عن شيء، فأجاب عنه، ووجد له شاهدا من شعر بشار احتج به استكفافا لشره، وتوفي **بشار** سنة (ت 197 هـــ) وقد نيف على التسعين" [1]، ونقل ثعلب عن الأصمعي قال: ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة، وهو آخر الحجج، ومن المعلوم أن ابن هرمة وُلد سنة تسعين للهجرة، وعمّر طويلا حتى تجاوز منتصف القرن الثاني[2].

ولا بد لنا أنّ ندخل في هذا المصدر ما رووه عن الأعراب الجاهليين، وغيرهم ممن انقطعوا إلى البداوة من قيس، وتميم، وأسد، وهذيل، وكنانة وطيء، و لم يتأثّروا بأولئك الذين كانوا في أطراف بلاد العرب؛ الذين تأثروا بلغات الأقاليم المجاورة، على أنّ أوائل البصريين قد اطمأنّوا إلى سلامة لغة جماعة من العلماء ممن ينتمون إلى أصول غير عربيّة، فقد جاء أنّ عمرو بن العلاء قال في الحسن البصري: "ما رأيت أفصح من الحسن البصري والحجاج بن يوسف الثقفي، فقيل له: فأيهما أفصح، قال: الحسن"[3].

وأخيرا يمكننا القول إن لغة القرآن الكريم، والشعر القديم، وما أثر من الأمثال الجاهلية، مثّلت المادة التي احتج بها البصريون في وضع أصول العربية.

2 – 1 – 3 – 2 – 3: الحديث النبوي الشريف: ومما يؤخذ على البصريين أنهم استبعدوا الحديث الشريف في استشهادهم؛ بحجة أن الحديث يشتمل على قدر كبير روي بالمعنى و لم يضبط بلفظه[4]، وقد تداوله الأعاجم والمولّدون قبل تدوينه فرووه بما أدت إليه عباراتهم فزادوا ونقصوا، وقدّموا وقدّموا وأخّروا، وأبدلوا ألفاظا بألفاظ، ولهذا ترى الحديث الواحد في القصة الواحدة مرويا على أوجه شتى [5]، وسيأتي تفصيل هذا في فصل لاحق.

---

[1] – يُنظر: مصطفى صادق الرافعي، "تاريخ آداب العرب"، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1421هـ /2000 ، 279/1.

[2] – يُنظر: السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 70.

[3] –ابن خلّكان، "وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان"،دار صادر ، بيروت ـــ لبنان، دط، 1/ 70.

[4] – إبراهيم السامرائي، "المدارس النحوية: أسطورة وواقع"، ص: 26.

[5] – يُنظر: السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 52.

ويرى البصريون أنّ طائفة كبيرة من المحدّثين لم يكونوا عربا ينتمون إلى أصول عربية وبالتالي لم يكونوا موضع ثقة في عربيتهم، وهذا نظر غير سديد؛ ذلك أنّ رجال الحديث قد تحرّوا التدقيق والضبط وتتشددوا في ضبط الحديث، وأخضعوا هذه اللغة الشريفة إلى ما دعوه "الجرح والتعديل"؛ الذي تناولوا فيه رواة الحديث، فكان لهم فيه موازين دقيقة، ومن هنا لم يكن للنحاة أن يرفضوا هذه اللغة التي بُولغ في نقدها وضبطها، والوصول بها إلى الكمال في الصحة والصواب [1].وبالتالي نلاحظ أن البصريين قد أغفلوا موردا لغويّا كبيرا، وهو الحديث الشريف.ولن نطيل الحديث عن الاستشهاد بالحديث؛ بل سنرجؤه إلى موضعه .

2 – 2 المدرسة الكوفية:

لقد عُرفت الكوفة كما عُرفت البصرة؛ فكلاهما مصران قد مصرهما المسلمون واشتُهر كل منهما طوال التاريخ الإسلامي[2].

2 – 2 – 1 :نشأتها:

أنشئت الكوفة بعد البصرة بحوالي سنتين على يدي الصحابي الجليل سعد بن أبي الوقاص في موضع تخيره لها أسفل من موقع الحيرة و الأنبار اللتين عرفهما العرب قديما [3]، ولقد شغلت الكوفة كنظيرتها البصرة مكانا واضحا في القرنين الثاني والثالث، وكان لكل منهما أثر في السياسة، فقد عرفت الكوفة بعلويّتها كما عرفت البصرة بعثمانيتها[4].

وكانت الكوفة مركزا من مراكز العلم كما كانت البصرة، و لم يثبت للباحثين سواء القدماء أو المحدثين سبق البصريين وانصرافهم إلى العلم على الكوفيين إلاَّ ما كان من ذلك في العلوم اللغوية، فقد عرف النحو في البصرة قبل الكوفة، وإذا قيل النحو فلا بد أن يكون مما اشتمل عليه علوم العربية عامة[5]، فقد تركت الكوفة للبصرة وضع نقط الإعراب في الذكر الحكيم، ووضع نقط الإعجام والأنظار والأنظار النحوية والصرفية الأولى؛ التي تبلورت عند ابن أبي إسحاق والتي أقام عليها قانوني القياس والتعليل؛ إذ كانت في شغل عن ذلك بالفقه ووضع أصوله ومقاييسه وفتاواه، وبالقراءات ورواياتها

---

[1] – إبراهيم السامرائي، "المدارس النحوية: أسطورة وواقع"، ، ص: 26.

[2] – يُنظر: إبراهيم السامرائي، "المدارس النحوية: أسطورة وواقع"، ص: 31.

[3] – التواتي بن التواتي، "المدارس النحوية "، ص: 27.

[4] – يُنظر: إبراهيم عبود السامرائي، " المدارس النحوية: أسطورة وواقع "، ص: 31.

[5] – إبراهيم السامرائي، " المدارس النحوية: أسطورة وواقع "، ص: 31.

رواية دقيقة، مما جعلها تحظى بمذهب فقهي، وهو مذهب أبي حنيفة وبثلاثة من القراء السبعة الذين شاعت قراءتهم في العالم العربي، وهم: عاصم وحمزة والكسائي، وعُنيت بجانب ذلك برواية الأشعار القديمة وصنعة دواوين الشعر، و إن كانت لم تعن بالتحري والتثبيت فيما جمعت من أشعار[1].

إذا، فقد جاءت المدرسة الكوفية بعد نظيرتها البصرية؛ حتى تُشاركها في وضع القواعد النحوية للغة العربية، فكان منهم نحاة وعلماء لغة وأصحاب روايات في القراءات وسائر فنون العربية، وما يتصل بها من أخبار وعلم بالأيام والوقائع[2].

وقد أجمع المعنيّون بدراسة تاريخ النحو القديم على أن بداية النحو الكوفي كانت مع أبي جعفر الرؤاسي؛ الذي كان أستاذا للكسائي (ت 189 هـــ) والفراء(ت207 هـــ) كما عدّ أصحاب التراجم[3] من النحويين الكوفيين الأوّلين معاذ بن مسلم الهراء(ت187 هـــ) وهو أستاذ الكسائي[4]، وكان عالما بالنحو والصرف حتى قيل إنه أول من وضع التصريف[5]؛ غير أن ثمار جهود الرؤاسي ومعاذ لم تظهر إلا بعد أن أخذها الكسائي من معاذ وناقشها مع الخليل، وأغناها برحلته في قبائل العرب، ثم أضاف إليها ما أخذ عن يونس الضبي، وعلى هذا فإنّ إمام المذهب الكوفي في النحو هو الكسائي [6]، أمّا أمّا الفراء فهو الرجل الذي تبلورت على يديه معالم مذهب الكوفة النحوي[7].

كما سبق وذكرت، فالمدرسة الكوفية جاءت متأخرة عند الكسائي، وقد استطاع هو وتلميذه الفراء أن يستحدثا في الكوفة مدرسة نحوية تستقل بطوابع خاصة من حيث الاتساع في الرواية،

---

[1] – شوي ضيف، "المدارس النحوية"، ص: 153.

[2] – يُنظر: إبراهيم السامرائي، " المدارس النحوية: أسطورة وواقع "، ص: 31.

[3] – يُنظر: ابن النديم، "الفهرست"، ص: 294.

[4] – القفطي ، "انباه الرواة على أنباه النحاة"، 3/ 288.

[5] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات النحويين و اللغويين"،2/ 293، ويُنظر: أحمد الحملاوي، "شذا العرف في فن الصرف"، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، ط1، 2004، ص: 19.

[6] – محمد المختار ولد أباه، "تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1429هـــ ، 2008مـــ، ص: 104.

[7] – محمد سالم صالح، "أصول النحو: دراسة في فكر الأنباري"، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط1، 1427هـــ، 2006مـــ، ص: 51.

ومن حيث بسط القياس وقبضه، ومن حيث وضع بعض المصطلحات الجديدة، ومن حيث رسم العوامل والمعمولات. [1]

وتوسّع الفراء خاصة في تخطئة بعض العرب وإنكار بعض القراءات الشاذة، [2] والكسائي هو الذي فتح الباب لتخطئة بعض القراء؛ إذ ترى الفراء يتوقّفه في كتابه "معاني القرآن" ويقول: "كان الكسائي لا يجيز القراءة بهذا الحرف أو ذاك" [3]، كما كان كل من الفراء والكسائي وهما رأسا الكوفة يتوسعان في الرواية عن الأعراب [4].فحاولوا أن يصنعوا مدرسة خاصّة بهم يستقلون بها عن مدرسة البصرة، على الرغم من أنّ أئمتهم الأولين قد أخذوا قواعد النحو وأصوله عن البصريين، كما ثبت عنهم عكوفهم جميعا على كتاب سيبويه، لذلك حاولوا جاهدين أن يميزوا نحوهم بمصطلحات تغاير مصطلحات البصريين والنفوذ إلى آراء خاصة بهم [5].

ومن بعض المصطلحات التي انفرد بها الكوفيون نذكر ما يلي:

ـــ الخلاف: عامل ينصب الخبر في نحو: "زيد أمامك".

ـــ الصرف: عامل ينصب المفعول به في مثل: "جاء زيد وطلوع الشمس".

ـــ التقريب: مثل هذا في "هذا زيد قائما"، ونحوه، فـــ"هذا" في هذا الموضع من أخوات كان. [6]

إضافة إلى مصطلحات أخرى ، نحو:الفعل الدائم، والمكنى أو الكناية، والمجهول، إلى غير ذلك من المصطلحات التي وضعها الكوفيون؛ حتى يميزوا مدرستهم عن المدرسة البصرية. [7] أما بالنسبة لرسمهم لرسمهم للعوامل والمعمولات فمن ذلك: إعراب المبتدأ والخبر، فقد ذهب الكوفيون إلى أن المبتدأ يرفع

---

[1] – يُنظر: شوقي ضيف، "المدارس النحوية"، ص: 06.

2 ـــ شوقي ضيف، " المرجع نفسه "، ص60 .

[3] – شوقي ضيف، " المرجع نفسه "، ص: 157.

[4] – يُنظر: محمد سالم صالح، "أصول النحو: دراسة في فكر الأنباري"، ص: 51.

[5] – يُنظر: شوقي ضيف، " المدارس النحويّة "، ص: 165.

[6] – يُنظر: تمام حسان، "الأصول: دراسة ابستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي: النحو – فقه اللغة – البلاغة"، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط: 1411 هـــ، 1991مـــ، ص: 43.

7 ـــ تمام حسان، " الأصول "، ص43 .

الخبر، والخبر يرفع المبتدأ، فهما مترافعان [1]، ومن ذلك أيضا إعراب الفعل المضارع المرفوع، فقد اضطرب الكوفيون في علة إعرابه والعامل فيه؛ فذهب الكسائي إلى أنه يرتفع بحروف المضارعة، **فأقوم** مثلا مرفوع بالهمزة، ولم يرتض هذا الرأي الفراء فقال إنه مرفوع بتجرده من النواصب والجوازم، وهو بهذا اتجه اتجاه الأخفش الذي يقول إنه مرفوع لتعريه من العوامل اللفظية، ولكن الفراء حاول فقط التغيير والتحريف والتبديل في رأي الأخفش، وهناك آراء أخرى كثيرة فيما يخص رسم الكوفيين للعوامل والمعمولات[2]، لا يتّسع المجال لذكر كلّ ما أمكن الاطلاع عليه.

ولما أخذ علماء الكوفة يبرزون شيئا فشيئا، أقبل طلاب العلم يتهافتون عليهم ليأخذوا عنهم النحو، ويتلقوا عليهم مسائله وأصوله، وبذلك تكوّن للكوفيين منهج خاص بهم تحقق لهم بعد طول النظر وكثرة الجدل، وكان هذا المنهج مغايرا في بعض أسسه للمنهج البصري، الأمر الذي أدى إلى الخلاف بين المدرستين وقد اشتد النزاع بين الطائفتين، وكان لكل مدرسة أنصار وأتباع[3].

2 – 2 – 2 : أعلامها:

سأحاول أن أشير إشارة موجزة لأهمّ أعلام الكوفة، لأن هدفي ليس إحصاء كل الأعلام الذين وضعوا أسس المذهب الكوفي النحوي، بل ذكر بعض من الذين سبقوا في تأسيس هذه المدرسة.

– **أبو جعفر الرؤاسي**: هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن أبي سارة، لقّب بالرؤاسي لعظم رأسه[4]، وكان أستاذ أهل الكوفة في النحو، أخذ عن عيسى بن عمر، وله كتاب في الجمع والإفراد [5]، ويُروى عنه أنه قال: بعث إلي الخليل يطلب كتابي فبعثت به إليه فقرأه ووضع كتابه، وقال:"كل ما في كتاب سيبويه: قال الكوفي،فإنما يعني الرؤاسي"[6].

---

[1] – السيوطي ، جلال الدين(ت911هـ) ، "همع الهوامع في جمع الجوامع"، شرح و تحقيق: عبد السلام محمد هارون، وعبد العالي سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، دط،1421هـ/2001، 08/2.

[2] – يُنظر: شوقي ضيف، "المدارس النحوية"، ص: 168 ــ 169.

[3] – يُنظر: جميل شامي، "النحو العربي: قضاياه ومراحل تطوره"، ص: 159.

[4] – يُنظر: ابن ابن النديم، "الفهرست"، ص: 293، والزبيدي، " طبقات اللغويين و النحاة"، ص: 125، وأبو الطيب اللغوي"مراتب النحويين"، ص: 39.

[5] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 125.

[6] – ابن النديم ،"الفهرست"، ص: 294.

توفي الرؤاسي أيام الرشيد، وله من الكتب: "كتاب الفيصل"، "كتاب التصغير"، "كتاب معاني القرآن" و"كتاب الوقف والابتداء الكبير"، كما له "كتاب الوقف والابتداء الصغير "[1].

ـــ **معاذ الهراء:** وهو معاذ بن مسلم الهراء، وكان يبيع الهروى (من الثياب)[2] فسمي بذلك، وهو نحوي كوفي كما كان أستاذا للكسائي[3].

يقول ابن النديم: معاذ الهراء عمّ الرؤاسي [4]، وعاش معاذ الهراء إلى أيام البرامكة، وولد أيام يزيد بن عبد الملك، ومات في السنة التي نكبت فيها البرامكة سنة سبع وثمانين، ويضيف صاحب الفهرست قائلا: ولا كتاب يُعرف للهراء[5].

ويقول السيوطي: قال ابن النجار في تاريخ بغداد : كان من أعيان النحاة، أخذ عنه أبو الحسن الكسائي وغيره، وصنف كتبا في النحو، وروى الحديث عن جعفر الصادق، وعطاء بن سائب، وروى عنه عبد الرحمن المحاربي والحسن بن الحسين الكوفي[6].

– **الكسائي:**أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي مولى بني أسد، من أهل باحمشا [7]، أخذ عن الرؤاسي، ودخل الكوفة وهو غلام وأدب ولد الرشيد[8]، وهو إمام الكوفيين في النحو واللغة وأحد القراء السبعة المشهورين، وسمي الكسائي؛ لأنه أحرم في كساء، وقيل لغير ذلك[9].

قال الفراء: إنما تعلّم الكسائي النحو على الكبر، وكان سبب تعلمه أن جاء يوما وقد مشى حتى أعيا فجلس إلى الهبَّاريين، وكان يجالسهم كثيرا. فقال: قد عَيَّيْتُ، فقالوا له: تجالسنا وأنت تلحن! قال: كيف لحنت؟ قالوا له: إن كنا أردتَ من التعب، فقل: "أعْييت"، وإن كنت تريد من انقطاع الحيلة فقل: "عَيِيت" (مخففة)، فأنت من هذه الكلمة لحنت، ثم قام من فوره ذلك يسأل عمن يعلِّم

---

[1] – ابن النديم،" الفهرست "، ص: 295.

[2] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 125.

[3] – القفطي "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 3/ 288.

[4] – ابن النديم، "الفهرست"، ص:295.

[5] – ابن النديم، " المرجع نفسه "، ص: 296.

[6] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 2/ 294.

[7] – باحمشا: بسكون الميم.

[8] – الزبيدي، "طبقات اللغويين و النحاة"، ص: 127.

[9] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات الغويين و النحاة"، 2/ 183.

النحو، فأرشدوه إلى معاذ الهراء، فلزمه حتى أنفذ ما عنده [1].ثم خرج إلى البصرة و تتلمذ على الخليل، ثم خرج إلى وادي الحجاز ونجد وتهامة وكتب عن العرب كثيرا[2].

2 –2 –3 – منهجها:

2 –2 – 3 –1 استشهادهم بلهجات عرب الأرياف: استشهد الكوفيّون بلغات سكان الأرياف لثقتهم بها؛ في حين رفض البصريون الاستشهاد بها لضعف فصاحتها [3]، ومن قبائل الأرياف: أهل اليمن الذين لا يُوثق بفصاحتهم في رأي البصريين؛ لاختلاطهم بسكّان الحبشة والهند ، والتجار الذين يَفِدُون إليهم من مختلف الأنحاء[4]، وفي هذا يقول الرياشي البصري (ت 257 هـــ): "نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب، وأكلة اليرابيع وهؤلاء – يعني أهل الكوفة – أخذوا اللغة عن أهل السواد أصحاب الكواميخ[5] وأكلة الشواريز[6] "[7].

ويقول أبو زيد (ت 215 هـــ) عن الكسائي: ثم سار إلى بغداد فلقي أعراب الحليمات[8]، فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن، فأفسد بذلك ما كان أخذه بالبصرة[9].

إذا، فالكوفيون لم يبالغوا في التحري والتنقيب حتى قيل عنهم بأنهم أفسدوا النحو بأخذهم عمن فسدت لغتهم[10].

2–2–3– 2 : قياسهم على القليل النادر : اعتمد الكوفيون القياس على القليل النادر باعتبار أنّ ما ورد في اللغة يُعد قليلا بالنسبة لما ضاع منها، مستندين إلى ما قاله أبو عمرو بن العلاء في

---

[1] – القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 2 /257 ــ258.

[2] – الفيروزآبادي، "البلغة في تاريخ اللغة"، ص: 124 ــ125.

[3] – عبد العال سالم مكرم، "القرآن وأثره في الدراسات النحوية"، ص: 122.

[4] – جميل شامي، "النحو العربي: قضاياه ومراحل تطوره "، ص: 159.

[5] – الكواميخ: جمع كامخ: نوع من الأدم.

[6] – الشواريز: اللبن الرائب المستخرج ماؤه والمفرد " شيراز"، الفيروز آبادي، "القاموس المحيط"،تحقيق : أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ،ط2 ، 2007 ، ص: 537.

[7] – يُنظر: السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو "، ص: 202.

[8] – الحليمات: قوم من زعانق العرب اختل لسانهم.

[9] – إبراهيم عبود السامرائي، "المفيد في المدارس النحوية"، ص:30.

10 – يُنظر: إبراهيم عبود السامرائي، " المرجع نفسه "، ص: 30.

هذا الأمر: "ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلاَّ قلّة، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير"[1]، وقد أشاد الكسائي بالقياس فناط به القاعدة بدون ورود لمطلق شاهد[2].

2-2 -3 - 3 : **قياسهم قواعدهم على كل مسموع والاكتفاء بالشاهد الواحد** : ولو خالف الأصل المعروف المتفق عليه بين الفريقين، فهم لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا، وبوّبوا عليه خلافا للبصريين[3].

2-2 -3 - 4: **لم يشترطوا للقياس كثرة كاثرة** : بل قاسوا على الشاهد الواحد، ولو جاء مخالفا للكثرة المتفق على القياس عليها، فما أوَّله البصريون أو اعتبروه شاذا أو ضرورة قبله الكوفيون وجعلوه مقيسا عليه. [4] لذلك فقد كثرت الأقيسة والقواعد عند الكوفيين، واشتهر البصريون بأنهم أهل السماع، أمّا الكوفيون فاشتهروا بأنهم أهل قياس[5].

2-2 - 3 -5: **التساهل في التثبيت من معرفة القائل**: وربّما استشهدوا بشطر بيت لا يُعرف شطره الثاني، ولا يُعلم قائله؛ كدليلهم على جواز دخول اللام في خبر (لكن)، كقول الشاعر:

..... ولكنني بحبها لعميد[6]

فالكوفيون تساهلوا في التثبّت من صحة المسموع وأمانة راويه وسلامة قائله، فأخذوا عن حماد الراوية(ت 155 هـــ) وخلف الأحمر(ت 180 هـــ)، وكلاهما متَّهم في روايته، يضع الشعر وينسبه إلى غيره من الأقحاح[7]؛ أي أن الكوفيين لم يتحرّوا صحة ما وصل إليهم من موادّ[8].

2-2 - 3 - 6 : **الاستشهاد بالقرآن الكريم وقراءاته**: لقد توسع الكوفيون بكثرة في الرواية؛ حيث جعلوا القراءات مصدرا مهما من مصادر علمهم، لا يرفضون قراءة صحّ سندها، و إن

---

[1] – السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 100.

[2] – جميل شامي، "النحو العربي: قضاياه ومراحل تطوره"، ص: 160.

[3] – السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 202، وجميل شامي، "النحو العربي: قضاياه ومراحل تطوره"، ص: 160.

[4] – السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 202 .

[5] – إبراهيم عبود السامرائي، "المفيد في المدارس النحوية"، ص: 32.

[6] – ينظر: جميل شامي، "النحو العربي: قضاياه ومراحل تطوره"ص: 160.

[7] – يُنظر: محمد الطنطاوي، "نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة"، ص: 141.

[8] – إبراهيم عبود السامرائي، "المفيد في المدارس النحوية"، ص: 31.

تعارضت مع الأصول التي يضعها أهل الصنعة [1]، فكلام الله عندهم" أفصح كلام وأبلغه، ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذه"[2].

وسبق ورأينا أنّ الكوفيين تساهلوا فيما يخص الاستشهاد بلغة عرب الأرياف ففتحوا هذا الباب على مصراعيه، وأخذوا عن كل العرب بدون استثناء على عكس البصريين، لذلك نجدهم في مجال القرآن الكريم أكثر استدلالا بالآيات القرآنيّة واحتجاجا بأساليبه من البصريين؛ ذلك أنّهم يؤمنون أنّ القرآن جاء بلغات مختلفة فصيحة، فهو أحق بالقبول وأجدر بالأخذ عند بناء قاعدة أو تقرير حكم، أو تصحيح أسلوب[3].

2-2 - 3 - 7 :**الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف**: وأمّا فيما يخصّ الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف عند نحاة الكوفة، فإذا أخذنا على سبيل المثال علمين بارزين من هذه المدرسة، وهما: الكسائي وتلميذه الفراء، وليس هناك من يمثل المدرسة النحوية الكوفية أحسن منهما، فإننا نجد أنّ الكسائي وافق البصريين في استبعادهم الاستشهاد بالحديث[4]، وتبعه في ذلك الفراء الذي لم يستشهد في في كتابه "معاني القرآن" بالحديث النبوي إلا ما جاء عرضا وعفوا؛ بحيث لا يصحّ التعميم عنده، وأن يقال إنه كان يستشهد به، فقد كانوا يصطلحون على أنّ روايته بالمعنى، وأنّه رواه أعاجم غير ثقات في العربية[5].

2 – 3 : المدرسة البغدادية:

2 – 3 – 1: نشأتها : نشأت بغداد على يدي أبي جعفر المنصور لتكون حاضرة خلافته، وموطنا لجنده، فلم يكن لها بالعلم في أوّل الأمر سابق عهد[6].

ولكن هذا لم يمنع بغداد من أن تكون سوقا يروج فيه العلم والأدب؛ حيث أن العلماء كانوا يرتحلون إليها من جميع الأقطار، فكل يحمل إليها طابع بلده الخاص، فالتقت هذه الألوان والطوابع المختلفة للعلوم، لتحتكّ وتمتزج فيما بينها لتعطي لنا ألوانا جديدة مطبوعة بالسمة البغدادية العامة،

---

[1] – يُنظر: محمد بن عمار درين، "تأثير الكوفيين في نحاة ألأندلس"، ص: 32 ــ 33.

[2] – "خزانة الأدب"، 9/1.

[3] – يُنظر: عبد العال سالم مكرم، "القرآن وأثره في الدراسات النحوية"، ص: 123.

[4] – يُنظر شوقي ضيف، "المدارس النحوية"، ص: 215.

[5] – يُنظر شوقي ضيف، "المصدر نفسه"، ص: 215.

[6] ينظر: ابراهيم محمد نجا، "المذهب النحوي البغدادي" ، دار الحديث- القاهرة- (دط)-1429هـ/2008م، ص: 18.

وذلك ما حدث في النحو، فقد نشر الكوفيون فيها نحوهم، كما قصدها أيضا نحاة بصريون عملوا على نقل آرائهم إلى هناك، فنشأت طبقة جديدة في بغداد، اختارت من المذهبين، وكوّنت ما عرف بالمذهب البغدادي.[1]

وكان من أهمّ ما هيئ لهذا الاتجاه الجديد أن أوائل النحاة تتلمذوا للمبرد وثعلب، ولذلك نشأ جيل من النحاة يحمل آراء مدرستيهما ويعنى بالتعمق في مصنفات أصحابها والنفوذ من خلال ذلك إلى كثير من الآراء النحوية الجديدة.[2]

وكان من هذا الجيل نحاة يغلب عليهم الميل إلى الآراء الكوفية، وآخرون يغلب عليهم الميل إلى الآراء البصرية[3]. وذلك تبعا لمن تتلمذوا على يديه، ومنهم من أخذ عن البصريين فغلبت عليه النزعة البصرية ومنهم من أخذ عن الكوفيين فغلبت عليه النزعة الكوفية، ومنهم من أخذ عن المدرستين، فاعتمد على المقارنة والترجيح[4]، فأخذوا ما رأوا قوته واضحة لديهم [5]، مما تسبب في اضطراب كتّاب التراجم والطبقات إزاءة، فمنهم من حاول تصنيف أفراده في المدرستين: الكوفية والبصرية مثلما فعل الزبيدي في طبقاته، ومنهم من أفردهم بمدرسة مستقلة كما صنع ابن النديم في الفهرست[6].

وخلاصة القول إنّ المدرسة البغدادية قد اتجهت اتجاهين؛ اتجاها مبكرا عند ابن كيسان (ت299هـ) وابن شقير (ت315هـ) وابن الخياط (320هـ)، نزع فيه أصحابه إلى آراء المدرسة الكوفية وأكثروا من الاحتجاج لها مع فتح الأبواب لكثير من آراء المدرسة البصرية، وأيضا مع فتح باب الاجتهاد لبعض الآراء الجديدة، واتجاها مقابلا عند الزجاجي، ثم عند أبي علي الفارسي وابن جني، نزع فيه أصحابه إلى آراء المدرسة البصرية ، وهو الاتجاه الذي ساد فيما بعد في كل البيئات التي عُنيت بدراسة النحو العربي[7].

---

[1] ينظر سعيد الأفغاني "من تاريخ النحو"، ص:245.

[2] شوقي ضيف "المدارس النحوية"، ص: 245.

[3] ينظر: شوقي ضيف، "المدارس النحوية"، ص: 245.

[4] ينظر: إبراهيم عبود السامرائي "المفيد في المدارس النحوية" ص123.

[5] ـــ ابراهيم محمد نجا، "المذهب النحوي البغدادي" ، ص:28 .

[6] ينظر: شوقي ضيف "المدارس النحوية"، ص 245

[7] شوقي ضيف، " المرجع نفسه "، ص 248.

2 – 3 – 2 :أعلامها:

لقد قسم أصحاب الطبقات علماء هذه المدرسة إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى: وأطلقوا عليها اسم: "أصحاب البصريين"، وتضم النحاة البغداديين؛ الذين غلبت عليهم النزعة البصرية، ومن بينهم نجد الزجاج (ت311هـ) وابن السراج (ت316هـ)،والزجاجي(ت339هـ)،وابن درستويه (ت347هـ) السيرافي (ت368هـ) والفارسي (377هـ) وابن جني[1].

أما المجموعة الثانية : فأطلقوا عليها اسم: أصحاب الكوفيين، وهم الذين غلبت عليهم النزعة الكوفية أمثال ابن الأنباري(ت327هـ) وابن خالويه (ت370هـ)[2]

أما المجموعة الثالثة : فتضم علماء بغداد الذين تحرّروا من قيود العصبية المذهبية، ونجد من بينهم ابن قتيبة (ت267هـ)، وابن كيسان (ت292هـ)، والأخفش الصغير (ت315هـ)[3].

وبما أنني لا أستطيع أن أتحدّث عن جميع نحاة هذه المدرسة، وذلك تفاديا للوقوع في الإطالة التي لا تخدم هذا البحث، رأيت أن أكتفي بالحديث وبإيجاز عن إمامين كبيرين في علم النحو، هما أبو علي الفارسي(ت377هـ)، وتلميذه ابن جني.

ـ **أبو علي الفارسي:** هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان أبو علي الفارسي النحوي، ولد بفارس، وقدم بغداد فاستوطنها، وأخذ من علماء النحو بها، وعلت منزلته في النحو؛ حتى قال قوم من تلاميذته: هو فوق المبرد وأعلم، وصنّف كتبا عجيبة حسنة لم يسبق إلى مثلها، [4] ومن بين هذه الكتب نذكر على سبيل المثال: "الحجة للقراء السبعة"، و"كتاب التذكرة"، "كتاب أبيات الإعراب"، كتاب "مختصر عوامل الإعراب"، "والإيضاح في النحو"، وكتاب "المسائل الحلبيات"، كتاب "المسائل البغداديات" [5]، وأشتهر ذكر هذا العالم في الآفاق، وبرع له غلمانٌ حذاق، مثل عثمان بن جني جني وعلي بن عيسى الشيزازي، وغيرهما [6]، وأبو علي الفارسي من النحاة البغداديين الذين أخذوا من

---

[1] ينظر: إبراهيم عبود السامرائي "المفيد في المدارس النحوية"، ص127،124-139،128.

[2] إبراهيم عبود السامرائي، " المرجع نفسه "، ص: 141، 143.

[3] ينظر: إبراهيم عبود السامرائي "المفيد في المدارس النحوية"، ص144.

[4] القفطي ،"انباه الرواة على أنباه النحاة"، 308/1.

[5] ينظر: ابن النديم، " الفهرست " ، ص291 ــ292.

[6] القفطي، "انباه الرواة على أنباه النحاة"، 308/1 .

المدرستين، حيث كان يأخذ بما يراه أولى في الإتّباع، وإن غلب عليه النزوع إلى المذهب البصري؛ لأنه كان المذهب الذي حرّرت أصوله وفروعه وعلله.[1]

– **عثمان بن جني أبو الفتح النحوي:** من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، وعلمه بالتصريف أقوى وأكمل من علمه بالنحو، [2] صحب أبا علي الفارسي وتبعه في أسفاره، واستملى منه، وأخذ عنه وصنف في زمانه، ووقف أبو علي على تصانيفه واستجادها. استوطن ابن جني دار السلام، ودرس بها العلوم حتى مات[3]، وكانت وفاته ببغداد، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة[4].

ومن مؤلفاته البديعة: "كتاب اللمع"، وكتاب "سر الصناعة"، "المنصف في شرح كتاب المانفي في التصريف" ، وكتاب "الخصائص" و"التلقين في النحو"، و"كتاب التعاقب"، وكتاب "الكافي في شرح قوافي الأخفش" ، و"المحتسب في إعراب الشواذ"[5].

وابن جني ــ على رأي شوقي ضيف ــ بغدادي من طراز آخر، طراز أستاذه أبو علي الفارسي والزجاجي، وطرازكان ينزع إلى البصريين، وهو الطراز الذي عمّ وساد منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وكان هو وأستاذه من أهم الأسباب في شيوعه، إذ كانا ينتخبان من المذهبين: البصري والكوفي، مع نزعة شديدة إلى البصريين، ومع فتح الأبواب على مصراعيه ا للاجتهاد ومخالفة البصريين والكوفيين بقدر ما يؤديهما النظر وتسعفهما الحجة[6].

لقد استطاع أبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني أن يقدّما للعربية أعمالا لا تزال تحتل مكانتها العالية في الدرس اللغوي، كما أن أعمال ابن جني على وجه الخصوص تمثل تقدما كبيرا جدّا في المنهج وفي الأسلوب وفيما وصل إليه من نتائج؛ بحيث إن كثيرا مما قرّره هذا العالم الكبير منذ ألف عام قد وجد قبولا من أحدث مناهج الدرس اللغوي[7].

---

[1] ينظر شوقي ضيف، "المدارس النحوية"، ص 257.

[2] السيوطي، "بغية الوعاة "، 2/ 157.

[3] القفطي، "انباه الرواة على أنباه النحاة"، 336/2.

[4] ينظر: السيوطي، "بغية الوعاة" 158/2.

[5] ينظر: القفطي، "انباه الرواة على أنباه النحاة"، 336/2 ــ337 ، وينظر: السيوطي، "بغية الوعاة"، 157/2.

[6] شوقي ضيف، "المدارس النحوية"، ص: 268.

7 عبده الراجحي، "دروس في المذاهب النحوية"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر– بيروت– لبنان– ط2– 1988، ص 160.

2 – 3 – 3 : منهجها :

بُني منهج هذه المدرسة ـــ كما سبق ورأينا ـــ على الانتخاب من المدرستين:

البصرية والكوفية، فهو يحمل الخصائص المنهجية للمدرستين [1]، مع اجتهاد ومحاولة دائمة من طرف علمائه لأن يخالفوا ويبدعوا كلما أسعفتهما الحجة؛ لذلك نظروا في آراء الفريقين بدون تعصّب نظرة الباحث المحقق، آزره الدليل وقوّاه السماع ،قبلوه عن طيب خاطر؛ غاضّين النظر عمن سواه، لأنّ مهمتهم الاستحسان والاستجادة على أسس قويمة؛ ليخرج البناء قوى الأركان [2]، وبذلك لم يكن منهجهم جديدا من حيث الأسس أو طرائق الاستنتاج، ولكنه مذهب ينبني على الانتقاء من المدرستين البصرية والكوفية[3].

2 – 4 : المدرسة الأندلسية:

2 –4 – 1 : نشأتها :

بحكم تأخّر الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس؛ الذي لم يتم إلاَّ في نهاية القرن الأول الهجري، ثم ما تلا ذلك من أشغال الحكام الفاتحين وسعيهم لتأمين هذا الثغر ضد المتربصين، فإن الدراسات اللغوية وغيرها من فروع الحياة قد تأخرت بدورها عن مثيلاتها في المشرق [4]. فالعرب الفاتحين من عهد موسى بن نصير إلى عهد الخليفة الناصر كانوا ينقلون في البلاد ما عرفوه في الشام من لغة وأشعار ونحوها؛ إذ كان بعضهم من غير شك مثقفين؛ يتناقلون الأشعار وأيام العرب والأخبار في سمرهم، ولكن لم يكن ذلك علما منظما حتى جاء عبد الرحمن الناصر [5]، فطمع أن يُقوِّي مملكته بما قوى به العباسيون دولتهم، وكان من أسباب قوة العباسيين: العلم، والشعر، والأدب [6]، وغير ذلك من العلوم الأخرى مثل: النحو

---

1 ينظر: خديجة الحديثي "المدارس النحوية"، ص: 205، وينظر: ابراهيم محمد نجا "المذهب النحوي البغدادي"، ص 28.

2 ينظر: إبراهيم محمد نجا ،" المذهب النحوي البغدادي "، ص 28.

3 عبده الراجحي "دروس في المذاهب النحوية"، ص 159.

4 – يُنظر: محمد بن عمار درين، "تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس"، 1/ 41.

5 – هو عبد الرحمن الناصر لدين الله ثامن ملوك الأندلس من الأمويين ويُعرف بعبد الرحمن الثالث، وُلد سنة سنة 277 هـــ، وتوفي سنة 350 هـــ، كانت يده بيضاء على العلم والعلماء.

6 – أحمد أمين، "ظهر الإسلام"، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1428هـــ، 2007مـــ، 3/ 64 ،65.

الذي لعب دورا هاما في بناء الفكر الإسلامي؛ لأنه كان من الوسائل الأساسية التي ساعدت على فهم النص القرآني، وقد استقرت مناهجه في المشرق العربي في البصرة والكوفة وبغداد[1].

فأراد الناصر أن يُقلد العباسيين ورأى أن ليس هناك معلمون كبار ينشئون الثقافة العربية بين أهل الأندلس، فقرر أن يندب لذلك بعض أهل المشرق، وبعد تفكير طويل رأى أن أصلحهم أبو علي القالي فاستدعاه إلى قرطبة[2].

وقد كانت طبقة من المعلمين قبل هذه الفترة قد أخذت على عاتقها تدريس اللغة وقواعدها لناشئة الأندلس وكهولها، وكان هؤلاء المعلمون يعلمون أبناء الخاصة كما يعلمون أبناء العامة في المساجد[3] "يلقّنوهم دروسا في مبادئ العربية عن طريق مُدارسة النصوص والأشعار"[4].

وكل هذا الاهتمام باللغة العربية كان لأجل الحفاظ على القرآن الكريم وسلامة لغته وتلاوته، وبذلك كان أكثرهم من قُرَّاء الذكر الحكيم، وكان كثير منهم يرحلون إلى المشرق فيتلقّون هذه القراءات ويعودون إلى موطنهم؛ فيرسموها للناس بجميع شاراتها كما يرسمون لهم العربية بمقوماتها اللغوية[5].

وكانت دروس هؤلاء المعلمين تتناول ألوانا من العلوم كالفقه والحديث والأخبار والأشعار، أكثر مما تتناول علوم النحو والصرف والبلاغة والعلوم اللسانية بصفةعامة[6]، والسبب في ذلك: "أنه لم يكن عند مؤدّبي العربية ولا عند غيرهم ممن عنوا بالنحو كبير علم ... وذلك أن المؤدبين إنما كانوا يعانون إقامة الصناعة في تلقين تلاميذهم العوامل وما شاكلها، وتقريب المعاني لهم في ذلك، و لم يأخذوا

---

[1] – يُنظر: عبده الراجحي، "دروس في المذاهب النحوية"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ط2 1988، ص: 215.

[2] – أحمد أمين، "ظهر الإسلام"، 3/ 64 ــ65.

[3] – يُنظر: عبد الكريم بكري، "ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي"، إشراف: يوسف وراد، رسالة دكتوراه الدرجة الثالثة، جامعة وهران، 1982، ص: 23.

[4] – شوقي ضيف، "المدارس النحوية، ص: 288.

[5] – شوقي ضيف، "المرجع نفسه "، ص: 288.

[6] – يُنظر: ألبير حبيب مطلق، "الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف"، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ص: 51.

أنفسهم بعلم دقائق العربية وغوامضها والاعتلال بمسائلها ثم كانوا لا ينظرون في إمالة ولا إدغام ولا تصريف ولا أبنية ولا يجيئون في شيء منها"[1].

و لم يكن تحصيل هؤلاء المؤدبين (المعلمين) مقصورا على تجوالهم طلبا للعلم في المدن الأندلسية، بل تنقلهم للترحال إمّا إلى القيروان، وهي يومئذ من مراكز العلم المشهورة، وإما إلى المشرق؛ حيث كانوا يسعون للقاء العلماء المشهورين قبل أداء فريضة الحج، وبعد أدائها، ولما أصبح الأندلسي العائد إلى وطنه يُشرف في نظر قومه؛ لأنه غدا يروي عن "الشيوخ" لم تعد الرحلة العلمية أمرا منوطا بالنية الدافعة للحج، بل أصبحت هي نفسها ضرورة لازمة وخاصة لدى الطلبة القادرين على تحمّل أعباء السفر[2].

وتقابل هذه الرحلة الأندلسية إلى المشرق هجرة بعض المشارقة إلى الأندلس ممّن لهم اهتمام باللغة والنحو[3]، ومن هؤلاء العلماء المشارقة نذكر على سبيل المثال:

2 - 4 - 1 - 1: **أبو علي القالي البغدادي** ؛ الذي ـــ كما سبق وذكرنا ـــ جاء إلى الأندلس بدعوة من حاكمها يومئذ، وهو عبد الرحمن الناصر، وكان أبو علي القالي إماما في اللغة وعلوم الأدب، ونظرا لصيته الذائع في هذه العلوم دعاه الخليفة الناصر أشهر ملوك بني أمية بالأندلس لنشر علومه وآدابه، وفي قرطبة عاصمة الأندلس قام القالي بإملاء تصانيفه الممتعة وكتبه القيّمة؛ التي لم يجاريه في تأليفها أحد، بل أعجز بها من بعده وفاق من تقدَّمه [4]. فأقبل عليه علماء الأندلس وأدباؤها ليستفيدوا من محاضراته في اللغة والأدب[5]، ويُعتبر وجودا أبا علي القالي في الأندلس كسبا ثقافيا لتلك البلاد وذلك المكسب يتجلى في تلك الكتب التي جلبها، وفي الأخبار التي رواها وفي المؤلفات التي كتبها في الأندلس وفي جمهور التلامذة الذين تخرّجوا عليه[6].

وفيما يخص الأندلسيين الراحلين إلى المشرق، فمن الطبيعي أن تكون رغباتهم العلمية

---

[1] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 311.

[2] – ألبير حبيب مطلق، "الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف"، ص: 54 ــ55.

[3] – – ألبير حبيب مطلق، "الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف"، ص: 58.

[4] – ففي معجم الأدباء لياقوت الحموي (2/ 352)، قال: قال الزبيدي: "ولا نعلم أحدا من المتقدمين ألف مثله".

[5] – القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي، "الأمالي"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مقدّمة الجزء الأوّل

[6] – يُنظر: ألبير حبيب مطلق، "الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف"، ص: 204.

متنوعة متباينة، فمنهم من يؤثر رواية الحديث، ومنهم من يطلب الفقه، ومنهم من يلقى شعراء المشارقة، كما أن منهم من يطلب اللغة والنحو، وهذا ما يهمنا التركيز عليه في هذا البحث [1].

ومن أولئك العلماء الراحلين إلى المشرق **جودي بن عثمان**(ت 198هـ)؛ الذي رحل إلى بغداد، وأخذ بها عن الكسائي والفراء[2].

وقد كان علماء اللغة والنحو في المغرب والأندلس تلامذة الطبقة الأولى من أمثال:

جودي النحوي؛ الذي أدرك الكسائي والفراء، و**الغازي بن قيس** (ت 199 هـ)؛ الذي أدرك الكسائي ونظراءه[3].وتُجمع المصادر على أنّ الأندلسيين عرفوا نحو الكوفة قبل أن يعرفوا نحو البصرة، وذلك راجع لكون كتاب الكسائي قد وصل إلى الأندلس قبل كتاب سيبويه، ويُقال إنّ جودي كان أوّل من أدخل كتاب الكسائي إلى الأندلس[4]، وأنّ الأفشنيق محمد بن موسى بن هشام (ت 307 هـ) هو أول من أدخل أدخل كتاب سيبويه وأقرأه لطلابه بقرطبة[5].و بالرّغم من اختلاف الدارسين حول أي الكتابين دخل الأندلس أوّلا ، فإنني ارتأيت أن أبدأ الحديث عن كتاب سيبويه لأنّه المعتمد الأوّل في الدراسات النحويّة .

2 - 4- 1- 2: **كتاب سيبويه في الأندلس**: حتى و إن تأخر دخول كتاب سيبويه إلى الأندلس مقارنة بكتاب الكسائي، فالمهم في الأمر هو أنّ أهل الأندلس قد عنوا به عناية فائقة، واغترفوا من معينه، وبالتالي كان لهذا الكتاب أثر كبير في النحو الأندلسي، ولا أدل على ذلك من هذا الاهتمام الفائق بالكتاب، فقد اشتُهر جماعة من النحويين بحفظه، "فمن أقدم من وقفنا عليه ممن حفظوا كتاب سيبويه هو حمدون النحوي المتوفى بعد المائتين، وفي القرن الثالث كان من أشهر حفاظه الأفشين القرطبي (ت 309 هـ)، وقد أخذه في مصر عن أبي جعفر رواية[6].

---

[1] – يُنظر: ألبير حبيب مطلق،: ألبير حبيب مطلق، "الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف "، ص: 55.

[2] – محمد بن عمار درين، "تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس"، 1/ 43.

[3] – يُنظر: الزبيدي، " طبقات النحويين واللغويين "، ص: 256.

[4] – السيوطي، " بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة "، 405/1.

[5] – يُنظر: شوقي ضيف، "المدارس النحوية"، ص: 289.

[6] – الرافعي، مصطفى صادق: "تاريخ آداب العرب"، 3/ 243.

ولمنزلة كتاب سيبويه في نفوسهم، قرّر الأندلسيو ن أنّ من لم يقرأ هذا الكتاب فهو لا يعرف شيئا "وعابوا على أحمد بن عبد النور النحوي (ت 702 هـــ) أنه لا يقرأ الكتاب"[1].

وكيف لا يهتم الأندلسيون بهذا الكتاب؛ الذي سماه القدماء: قرآن النحو[2]، فهذا الكتاب لقي منذ ظهوره حظا سعيدا لدى العلماء، وقديما قالوا: أن الكتب تشقى وتسعد، كما الإنسان يشقى ويسعد، ولكن تلك السعادة في الحظ كانت عن أصالة في البنيان ومتانة في التكوين[3].

فقد استطاع سيبويه أن يوفّق في تسجيل أصول النحو وقواعده تسجيلا تاما في كتابه، كما أنه لم يكد يترك ظاهرة من ظواهر التعبير العربي إلا وأتقنها فقها وعلما وتحليلا[4]، وبذلك أصبح الكتاب الكتاب المصدر الأول للنحو العربي[5]، وذلك منذ تاريخ تأليفه إلى يومنا هذا، فكل ما فعله النحاة الذين جاءوا بعد سيبويه هو شرح غامض أو اختصار مطول أو بسط معضل، أما الأسس التي بنى عليها الكتاب فبقيت كما هي في النحو و الصرف إلى اليوم[6].

ولأهمية هذا الكتاب العظيم اهتم به العلماء بعد سيبويه، فدرسوه وشرحوه ومن بين هؤلاء العلماء نجد علماء الأندلس؛ الذين لم يُدّخروا جهدا لدراسة هذا الكتاب وشرحه لطلاب العلم من مختلف الأعمار والفئات.

2 - 4 - 1 - 3: كتاب الكسائي في الأندلس:

لقد اتّفق أهل التراجم على أنّ كتاب الكسائي سبق إلى البيئة الأندلسية غيره من المؤلفات النحوية[7]، وبالتالي فالنحو في الأندلس قد بدأ كوفي النزعة؛ بسبب اشتهار كتاب الكسائي فيها أولا، واهتمام أهلها به، وبقي الحال كذلك حتى أواخر القرن الثالث هجري عندما جاء الأفشنيق إليها؛ الذي ـــ كما سبق ورأينا ـــ ارتحل إلى المشرق ودرس كتاب سيبويه في مصر، وحمله معه إلى الأندلس،

---

[1] – ينظر: السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 273/1.

[2] – يُنظر: أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، ص: 73.

[3] – عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، "الكتاب"، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1/ 37.(مقدمة المحقق).

[4] – يُنظر: شوقي ضيف، "المدارس النحوية"، ص: 6.

[5] – شرف الدين الراجحي، "في علم اللغة عند العرب ورُؤى علم اللغة"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص: 88.

[6] – يُنظر: أحمد أمين، "ظهر الإسلام"، ص: 85.

[7] – محمد بن عمار درين، "تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس"، ص: 8.

ونشره فيها، فتأثر النحو الأندلسي تأثرا بالغا بالنحو البصري؛ لدرجة أنه طغى على النحو الكوفي الذي سبق ظهوره هناك[1].

كما أنّ هناك إشارات متناثرة في بحوث المتتبّعين للدرس النحوي بالأندلس تتظافر لتأكيد أن النحو الكوفي لم يكن أسبق إلى الأندلس من نظيره البصري فحسب، بل إن تأثيره تواصل وامتدّ حتى بعد أن عرف المذهب البصري واشتهر بالأندلس، ومن هذه الإشارات: ما ذكره صاحب كتاب تاريخ الفكر الأندلسي في قوله: "كانت أذيع كتب النحو على أيام ابن حزم، تفسير الجرفي لكتاب الكسائي"[2].

وكما سبق وذكرنا في هذا المبحث، فأوّل نحوي أندلسي عمل على إدخال كتاب الكسائي إلى بلاد الأندلس هو جودي بن عثمان الذي رحل إلى بغداد، وأخذ بها عن الكسائي والفراء وغيرها، وحمل معه كتاب الكسائي إلى الأندلس، وظل يدرّس بعد رجوعه وأخذ عنه جماعة، وألف كتابا في النحو[3].

إن المتتبع للدرس النحوي في الأندلس ليجد أن المذهب الكوفي النحوي لم يُبعَد في أي فترة من الفترات من ساحة التأثير في الحياة النحوية واللغوية بالأندلس، مع الإقرار بأن هذا التأثير يبرز حينا حتى لكأنه هو المؤثر الأبرز، ويخبو أحيانا حتى يكاد يختفي، مما يغري بعض الدارسين بالحكم بزوال هذا التأثير، ولكن سرعان ما يظهر من العلماء الأندلسيين من يكذّب هذا الزعم[4].

وأولى بوادر التأثّر بالمذهب الكوفي ظهرت مع جودي بن عثمان، ثم تواصلت بعده متمثلة في صور عدة لعل أكثرها جلاء تعاقب بعض النحويين الأندلسيين على شرح كتاب الكسائي، فبالإضافة إلى جودي بن عثمان، نجد نحويين أندلسيين آخرين قاموا بشرح كتاب الكسائي مثل: مفرّج بن مالك

---

[1] – يُنظر: عبد القادر رحيم الهيتي، "خصائص المذهب الأندلسي النحوي خلال القرن السابع الهجري"، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط2، 1993، ص: 40 .

[2] – آنخل جانثلاث بالانثيا، "تاريخ الفكر الأندلسي"، نقله عن الاسبانية: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1427هـ، 2006م.

[3] – اسم الكتاب الذي ألفه جودي بن عثمان "منبه الحجارة"،وليس يُعرف على وجه التحديد اسم كتاب الكسائي، ينظر: الزبيدي ،"طبقات النحويين واللغويين"، ص: 256 والسيوطي،"بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 1/ 405، و ينظر:محمد بن عمار درين، " تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس"، ص: 43.

[4] – محمد بن عمار درين، " المصدر نفسه "، ص: 56 ــ57.

النحوي أبو الحسن المعروف بالبغل؛ والذي ألّف كتابا شرحه فيه [1]، وعبد الله بن سليمان بن المنذر بن عبد الله بن سالم المكفوف الملقب بدَرْوَد (ت 325 هـــ)؛ الذي له شرح على كتاب الكسائي في ستة أجزاء سُمع عليه[2]، وشرحه أيضا أحمد بن أبان بن سيد: وهو أبو القاسم أحمد بن أبان بن سيد اللغوي الأندلسي (ت 382 هـــ)، الملقب بصاحب الشرطة تشريفا وتكريما لعلمه ومنزلته[3]. وقد صاحب القالي[4] وروى عنه سائر كتبه ومصنفاته.

وكخلاصة لما يمكن قوله عن تأثر نحاة الأندلس بالمدارس النحوية السالفة الذكر نقول: إن كتاب سيبويه و إن لم يشتهر في الأندلس أوّل الأمر، وبقي كذلك إلى أن رحل الأفشنيق إلى المشرق وعاد إلى وطنه الأندلس حافظا لهذا الكتاب، فأظهره هناك، اشتُهر منذ ذلك الحين، فإن هذا المؤلف العظيم كما أثبتت بعض المصادر كان قد وجد في الأندلس مع وجود كتاب الكسائي، إن لم يكن قبله.

إن للنحو البصري الأثر الكبير على نحاة الأندلس على مر العصور. ومثله النحو الكوفي؛ الذي اشتهر هناك قبل النحو البصري، واختفى نسبيا بعد ظهور واشتهار النحو البصري، إذ لم يندثر كل الاندثار هناك، بل بقي له أثر على مر العصور حتى في القرن السابع هجري. ومن هنا فإن النحو في الأندلس كان هلال القرنين الثالث والرابع للهجرة نحوا بصريا كوفيا، و لم يخلُص لأحدهما دون الآخر.

اعتنى نحاة الأندلس عناية كبيرة بكتاب سيبويه الممثل للنحو البصري منذ ظهوره واشتهاره هناك، وعلى مدى العصور التالية لذلك[5].

وكما عرف الأندلسيون النحو الكوفي ممثلا في كتاب الكسائي، والنحو البصري ممثلا في كتاب سيبويه عرفوا النحو البغدادي ممثلا في أبي علي القالي [6]؛ الذي كما سبق وذكرنا تخرج علي يديه الكثير من أبناء الأندلس، فأبو علي القالي كان متضلّعا في علوم اللغة؛ حيث نشأ في بغداد وتعلم على

---

[1] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 273، والفيروزآبادي، "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"، ص: 183، و"بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 296/2.

[2] – يُنظر: الزبيدي، "المصدر نفسه"، ص: 298، والسيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 85/2.

[3] – يُنظر السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 1/ 240.

[4] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 85 ــ86 ــ87 ــ88.

[5] – يُنظر: عبد القادر رحيم الهيتي، "خصائص المذهب الأندلسي النحوي"، ص: 41.

[6] – عبد العال سالم مكرم، "القرآن وأثره في الدراسات النحوية"، ص: 164.

شيوخها، وأخذ النحو عن ابن درستويه والزجاج أحد تلامذة المبرد، والأخفش الصغير، وابن السراج وابن الأنباري، أقام القالي في بغداد خمسا وعشرين سنة يحصّل مع الجد حتى أتقن هذه العلوم، ولذلك وقع اختيار عبد الرحمن الناصر على هذا العالم الجليل؛ الذي استدعاه إلى قرطبة ليقوي بها دولته التي أراد أن ينافس بها دولة المشرق[1].

2 – 4 – 2 : أعلامها:

أكيد أنّني لن أستطيع في هذا المبحث الصغير أن أتكلم عن كل أعلام النحو الأندلسيين الذين خدموا اللغة العربية، فعلّموها لسكان الأندلس، وحاولوا تبسيط مسائلها وقواعدها حتى تسهُل عند طلابها ليتمكنوا منها ومن خباياها.لذلك سأكتفي بذكر نماذج من هؤلاء النحاة؛ الذين تركوا بصماتهم في تاريخ النحو العربي الأندلسي.

– **جودي بن عثمان النحوي:** وهو من أعلام النحو الأوائل الذين خدموا اللغة العربية بعد ظهورها بالأندلس، قال عنه السيوطي: جودي بن عثمان العبسى المورورى الطليطلي الأصل،وقال عنه صاحب تاريخ غرناطة "كان نحويّا عارفا، درس العربية، وأدب بها أولاد الخلفاء، وظهر على من تقدمه"[2].

أمّا الزبيدي فقال عنه: "رحل جودي بن عثمان إلى المشرق، وأخذ عن الرياشي والفراء والكسائي، وهو أول من أدخل كتابه إلى الأندلس، وولّي القضاء في إلبيرة، وصنّف كتابا في النحو اسمه: "منه الحجارة".[3]

وقيل عنه بأنه أول مؤدّب أدّب أولاد الأمراء بالأندلس، سكن قرطبة بعد قدومه من المشرق، وقد توفي سنة ثمان وتسعين ومائة.[4]

–**عبد الله بن حرشن:** مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذكره الزبيدي ضمن الطبقة

---

[1] – يُنظر: أحمد أمين، "ظهر الإسلام"، 64/3.

[2] – يُنظر: السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 405/4، ويُنظر: الفيروزآبادي، "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"، ص: 58.

[3] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 256، و السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 1/ 405، والقفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 1/ 306.

[4] ــ القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 1/ 306.

الثانية من نحاة الأندلس، وقال عنه: كان عالما باللغة العربية وأخذ عن جودي بن عثمان النحوي.[1]

عُرف بفصاحته حتى أنّ الناس إذا استفصحوا رجلا قالوا: ما هذا إلا أبو حرشن[2]

– **عبد الله بن سوار بن طارق القرطبي** : كان من أهل العلم باللغة، متفنّنا في علم الأدب، وله رحلة إلى المشرق، سمع فيها من الحسن بن عرفة، ولقي أبا حاتم والرياشي وغيرهما، روى عنه محمد بن جنادة الاشبيلي، ومات سنة خمس وسبعين ومائتين[3].

– **عبد الملك القرطبي المالكي، بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جلهمة بن العباس بن مرداس السلمي أبو مروان الإلبيري:**[4] ذكره الزبيدي في الطبقة الثانية من نحاة الأندلس، فقال: جمع عبد الملك إلى علم الفقه والحديث علم الإعراب واللغة والتصرف في فنون الأدب، وله أوضاع جمّة في أكثر الفنون. منها كتابه في إعراب القرآن، وفي شرح الحديث، إلى غير ذلك من دواوين الفقه والحديث والأخبار، ورُوي عن سحنون بن سعيد أنه قيل له: مات عبد الملك بن حبيب الأندلسي، فقال: مات عالم الأندلس، بل والله عالم الدنيا، وقال عنه محمد بن عمر بن لبابة: فقيه الأندلس عيسى بن دينار، وعالمها عبد الملك بن حبيب، وعاقلها يحي بن يحيى[5] .

أمّا ابن القرطبي فيقول عن هذا النحوي بأنّه بالإضافة إلى كونه نحويّا، فهو أيضا عروضيّ وشاعر، حافظ للأخبار والأنساب والأشعار، متصرّف في فنون العلم، حافظ للفقه، و لم يكن له علم بالحديث، ولا يعرف صحيحه من سقيمه، توفي سنة ثمان وقيل تسع وثلاثين ومائتين[6].

– **الأفشين[7] القرطبي، محمد بن موسى بن هاشم بن زيد النحوي أبو عبد الله، مولى المنذر[8]**: كان متصرّفا في علم الأدب والخبر، رحل إلى المشرق ولقي بمصر أبا جعفر الدينوري، وأخذ

---

[1] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 259، والسيوطي، "بغية الوعاة"، 2/ 101، ويُنظر: محمد بن عمار درين، "تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس"، ص: 44.

2 ــ يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 259

[3] – يُنظر: السيوطي، "بغية الوعاة"، 2/ 85، ويُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 260.

[4] – السيوطي، " بغية الوعاة "، 2/ 138.

[5] - هو يحيى بن يحيى بن كثير أبو محمد الليثي، رحل إلى المشرق، فسمع مالك بن أنس، وكان يسميه عاقل الأندلس، يُنظر ترجمته في "جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر "للحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر ،تقديم: صلاح الدين الهواري ،المكتبةالعصرية ،صيدا – بيروت ،ط1 ،2004/1425، ص: 361.

[6] – السيوطي، "بغية الوعاة"، 139/2.

[7] – في طبقات النحويين واللغويين، الأقشتيق وفي البغية الأفشين.

[8] – وهو المنذر بن محمد بن عبد الرحمن أمير الأندلس، ولي الملك بعد أبيه سنة 273 هـــ، وتوفي سنة 275 هـــ، يُنظر: نفح الطيب، 1/ 300.

عنه كتاب سيبويه رواية[1]، وأخذه عن المازني، وروى كتب ابن قتيبة عن إبراهيم بن جميل [2] الأندلسي، أخذها عنه بمصر، وله كتب مؤلفة في الأدب، منها: "شواهد الحِكم"، وكتاب "طبقات الكتاب". توفي سنة سبع وثلاثمائة[3].

- **دَرْوَد ،عبد الله بن سليمان بن المنذر بن عبد الله بن سالم الأندلسي القرطبي النحوي** :

قال السلفي: معروف بالنحو والأدب، وكان أعمى، شرح كتاب الكسائي، أما صاحب المُغرب فيقول عن دَرْوَد إنّه كان من أهل النحو والشعر والتأليف[4].

وكان له حظ جزيل من العربية، وكان يقرض الشعر، ويمدح الملوك، وله في ذلك قصائد حسان، واستأدبه أمير المؤمنين الناصر لدين الله رضي الله عنه لولده، توفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة[5]. وثلاثمائة[5].

– **الرباحي، محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي أبو عبد الله المعروف** ، أصله من جيان، كان حاذقا بعلم العربية، دقيق النظر فيها، لطيف المسلك في معانيها، غاية في الإبداع والاستنباط، وكان قد طالع كتب أهل الكلام، وتفنّن فيها ونظر في المنطقيات

فأحكمها، إلاَّ أنه لا يتقلّد مذهبا من مذاهب المتكلمين، ولا يعول أصلا من أصولهم،

كما كان قليل المعاناة لدراسة الكتب ومطالعة المسائل، إنما دأبه الغوص على دقيقة يستخرجها ولطيفة يثيرها، وقياس يمدّه، وأصل يفرعه[6].

---

[1] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين و اللغويين"، ص: 281–282. والسيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 1/ 209.

[2] – هو إبراهيم بن موسى بن جميل، مولى بني أمية، أصله من تدمير، ورحل إلى المشرق، ودخل مكة وبغداد، وسكن مصر إلى أن توفي بها سنة 300 ه، ينظر "الحميدي "جذوة المقتبس"،ص155ــ156

[3] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين و اللغويين"، ص: 281–282. و ذكر السيوطي أن الأفشين توفي سنة تسع وثلاثمائة، السيوطي،"بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 1/ 209.

[4] – يُنظر: السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 85/2.

[5] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين و اللغويين"، ص: 298، ويُنظر: السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، 85/2.

[6] – ينظر: الزبيدي، "طبقات النحويين و اللغويين"، ص: 310، والسيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 1/ 216. ويُنظر: القفطي، "اِنباه الرواة"، 229/3 ــ230.

رحل إلى المشرق فلقي أبا جعفر بن النحاس، فحمل عنه "كتاب سيبويه" رواية. وقرئ عليه كتاب "سيبويه" و لم يكن عند الناس علم من العربية، و لم يكن له تدقيق نظر ولا استنباط؛ فلمّا ورد محمد بن يحيى أخذ في التدقيق والاستنباط والاعتراض والجواب، وطرد الفروع إلى الأصول؛ فاستفاد منه المعلمون طريقة، واعتمدوا ما سنّه من ذلك[1]. قام بتأديب أبناء الملوك في الأندلس من بني أمية، ثم ولي أمر الديوان والاستيفاء، فلم يزل على ذلك إلى أن مات في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة[2].

– أبو بكر الزبيدي النحوي، محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج بن محمد بن عبد الله بن بشر: صاحب طبقات النحويين، كان واحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة، تتلمذ لأبي علي القالي والرباحي[3].

أمّا موطنه فهو إشبيلية التي تلقى فيها العلوم عن شيوخه، ثم ترامت بعد ذلك شهرته لتصل إلى قرطبة، فبلغ صيتة الحكم المستنصر الذي استدعاه لتأديب ابنه[4].

وولي الزبيدي قضاء قرطبة، كما قام بتصنيف عدة مصنفات، من بينها: "مختصر العين" و"أبنية سيبويه" و"الموضّح" و"ما يلحن فيه عوام الأندلس" و"طبقات النحويين"، وله كتاب الرد على ابن مسرة وأهل مقالته، سمّاه:" هتك ستور الملحدين"[5]

أما صاحب الإنباه فصنّف الزبيدي ضمن أئمة اللغة والعربية [6]، وهو بحقّ لم يخطئ في تصنيفه هذا. توفي الزبيدي قريبا من الثمانين والثلاثمائة[7].

---

[1] – يُنظر: القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 3/ 230.

[2] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 314، ويُنظر: القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 3/ 230.

[3] – يُنظر: ياقوت الحموي "معجم الأدباء" 18/ 179، وينظر:محمد بن عمار درين "تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس"، 2/ 47.

[4] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 3.

[5] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة "، 1/ 73، والثعالبي أبو منصور عبد الملك النيسابوري(ت429)"يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر"،دار الكتب العلمية،بيروت ــ لبنان،ط 1 ،1420 2هـ /2000/،81/2. و ينظر:ياقوت الحموي، "معجم الأدباء"، 18/180ــ181 .

[6] – القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 108/3.

[7] – يُنظر: " المصدر نفسه "، 109/3.

– مكي بن أبي طالب القيسي النحوي المقرئ، حمّوش بن محمد بن مختار: صاحب الإعراب، وُلد في شعبان سنة خمسٍ وخمسين وثلاثمائة وأصله من القيروان، سكن قرطبة وسمع بمكة ومصر من أبي الطيّب عبد المنعم بن غليون، وقرأ عليه القرآن، وكان من أهل التبحر في علوم القرآن والعربيّة، حسن الفهم والخلق، جيد الدين والعقل، كثير التأليف، مجوّدا للقرآن. [1]

أقرأ بجامع قرطبة، وخطب به وانتفع به جمع، وعظم اسمه، كما اشتهر هذا الرجل بإجابة الدعوة[2].توفي مكّي بن أبي طالب سنة سبع وثلاثين وأربعمائة، ودفن بالربض [3]، تاركا وراءه عدّة مؤلفات، من بينها: "إعراب القرآن" و"الموجز في القراءات"، و"التبصرة فيها"، و"الهداية في التفسير"، و"الوقف على كلا"، وأشياء كثيرة في القراءات على حدّ قول السيوطي[4].

– الأعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي :[5] من أهل شنتمرية الغرب، يكنّى أبا الحجاج، رحل إلى قرطبة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، أقام بها مدة، وأخذ عن ابن الافليلي [6] وطبقته[7].

كان عالما باللغة والعربية ومعاني الأشعار، وحافظا لها، حسن الضبط لها، مشهورا بإتقانها، رحل إلى قرطبة وأخذ عن إبراهيم الإفليلي، وصارت إليه الرحلة في زمانه [8]، صنّف الأعلم عدة مصنفات، من بينها: شرح الجمل[9]، وعاون ابن الإفليلي في "شرح ديوان المتنبي"، و"شرح أبيات الجمل" الجمل" شرحا مفردا. [10]

---

1 ــ ينظر: السيوطي،"بغية الوعاة في طبقات الغويين و النحاة"، 298/2 ــ299، و ينظر : القفطي ، " إنباه الرواة على أنباه النحاة"،313/3 ، و ينطر:الحميدي،"جذوة المقتبس"،ص321 ــ322 .

2 – ينظر: السيوطي،"بغية الوعاة"، 298/2 ــ299، و ينظر : القفطي ، " إنباه الرواة على أنباه النحاة"،313/3

3 – يُنظر: القفطي، "إنباه الرواة على أنباء النحاة"، 3/ 315.

4 – يُنظر: السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 299/2.

5 – الزركلي، "الأعلام"،8/ 233،وياقوت الحموي"معجم الأدباء"60/20.

6 – هو أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري النحوي الأندلسي المعروف بابن الأفليلي، كان عالما بالنحو وهو من أهل قرطبة (ت 441 هـــ) ، يُنظر: القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 1/ 218-219.

7 – يُنظر: القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 4/ 65.

8 – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 2/ 349.

9 – هو كتاب الجمل لأبي القاسم الزجاجي، ذكره ياقوت وابن خلكان وصاحب كشف الطنون.

10 – يُنظر: القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 4/ 66-67، ويُنظر: السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 349/2.

كُف بصر الأعلم الشنتمري في آخر عمره، وتوفي بالأندلس سنة ست وسبعين وأربعمائة بمدينة اشبيلية.[1]

- **ابن سيده الأندلسي، علي بن أحمد وقيل ابن إسماعيل أبو الحسن النحوي اللغوي:** كان إماما في اللغة والعربية، جمع في اللغة كتاب "المحكم"، يُقارب عشرين مجلدا، لم يُر مثله في فنه، ولا يعرف قدره إلاَّ من وقف عليه.

كان ابن سيده نادرة وقته[2]؛ حيث لم يعرف في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها، روى عن أبيه وصاعد بن الحسن البغدادي[3].

وبالإضافة إلى كتابه "المحكم" نجد مؤلفات أخرى لا تقل أهميته عن المحكم، نحو: "المخصص" و"كتاب الأنيق في شرح الحماسة"و" كتاب شرح إصلاح المنطق على الأجناس في غاية الإيعاب"، و كتاب العالم و المتعلم على المسألة و الجواب"، و متاب الوافي في علم أحكام القوافي"، وغير ذلك[4].

كان ابن سيده الأندلسي أعمى بن أعمى، وتوفي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، أو سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وقد بلغ ستين سنة أو نحوها[5].

- **ابن الطراوة، سليمان بن محمد بن عبد الله السبائي المالقي أو أبو الحسين**[6]: المدعوّ بالشيخ الأستاذ، عاش نيفا وتسعين سنة، له مصنفات في النحو مشهورة مذكورة، وكلامه عند الأندلسيين مطلوب مرغوب فيه، يتنافس الطلبة في نقله وجمعه، ولا يُلقَّب أحد ببلد الأندلس بالأستاذ إلاَّ النحوي الأديب، وله شعر كرقة النسيم[7].

وكان ابن الطراوة تلميذا للأعلم الشنتمري؛ الذي سمع عليه كتاب سيبويه وعلى عبد الملك بن سراج، وروى عن أبي الوليد الباجي وغيره، وعنه السهيلي والقاضي عياض وخلائق، وله آراء في النحو تفرّد بها، وخالف فيها جمهور النحاة[8].

---

[1] - يُنظر: القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 4/ 66-67، ويُنظر: السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 2 / 349.

[2] - يُنظر: القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"،225/2.

[3] - السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 2/ 167، وينظر ياقوت الحموي "معجم الأدباء"،232/12.

[4] - القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 2/ 226 ، وينظر ياقوت الحموي "معجم الأدباء"،232/12.

[5] - يُنظر: معجم الأدباء،232/12 ، وينظر: القفطي،"إنباه الرواة على أنباه النحاة" 227/2.

[6] - السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات الغويين و النحاة"، 2/ 44.

[7] - القفطي، "إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 4/ 113.

[8] - السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات الغويين و النحاة"، 2/ 44، وينظر: الفيروزآبادي،"البلغة في تاريخ أئمة اللغة"،ص85.

ومن بين المصنّفات التي صنّفها ابن الطراوة في النحو: "المقدمات على كتاب سيبويه"، ويبدو أنّه كان يقابله كثيرا على كتب الكوفيين والبغداديين، منحازا إليهما، أو بعبارة أدق متوسّعا في الاختيار من آرائهما، وممّا اختاره من مذهب الكوفيين أنّ المعرفة أصل والنكرة فرع، وكان سيبويه والجمهور يذهبون إلى العكس.كما ألّف أيضا "الترشيح في النحو" وهو مختصر ومقالة في الاسم والمسمى و"الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الإيضاح"، و"ردّ الشارد إلى عُقال الناشد"، و"رسالة في منع استثناء الكثير من القليل"[1].وباختصار فإن ابن الطراوة كان بارزا في علوم اللسان من نحو ولغة وأدب.توفي ابن الطراوة في رمضان أو شوال سنة ثمان وعشرين وخمسمائة [2]

-**أبو القاسم السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ بن حبيش بن سعدون بن رضوان بن فتوح الإمام أبو زيد الخثعمي الأندلسي المالقي الحافظ**[3]: فاضل كبير القدر في علم العربية، العربية، كثير الاطلاع على هذا الشأن[4]، بارع في اللغة والقراءات، يجمع بين الرواية والدراية، بالإضافة إلى كونه من النحويين المتقدمين في الأندلس، أديب وعالم بالتفسير وصناعة الحديث، حافظ للرجال والأنساب، عارفٌ بعلم الكلام والأصول، حافظ للتاريخ، واسع المعرفة، غزير العلم، تميز بنباهته وذكائه واختراعاته واستنباطاته، تصدّر للإقراء والتدريس فذاع صيته. [5]

روى عن ابن العربي وأبي طاهر وابن الطراوة، وعنه الرندي وابنا حوط الله وأبو الحسن الغافقي. وتوفي السهيلي ليلة الخميس عشر شوال سنة إحدى وثمانين وخمسمائة [6] تاركا وراءه تصانيف جليلة، من بينها: "الروض الأُنف"، و"كتاب التعريف والأعلام بما أُبهم في القرآن من الأعلام"، و"كتاب شرح آيات الوصية"، و"كتاب نتائج الفكر" وله على الجمل شرح لم يتم[7].

---

[1] – يُنظر: السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغوين و النحاة"، 2/ 45، وينظر:السيوطي جلال الدين "همع الهوامع في شرح جمع الجوامع"، 1/ 189، و ينظر: شوقي ضيف، "المدارس النحويّة"، ص296، وينظر : محمد ين عمار درين،"تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس"، 49/1.

[2] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 45/2.

[3] – السيوطي، " المصدر نفسه "، 2/ 115.

[4] – القفطي،"إنباه الرواة على أنباه النحاة"، 2/ 163.

[5] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 2/ 115.

[6] – ينظر السيوطي، " المصدر نفسه "، 2/ 115.

[7] – يُنظر: الفيروزآبادي، "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"، ص: 106.

ـــ ابن مضاء القرطبي، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد بن حريث بن عاصم اللخمي قاضي الجماعة أبو العباس وأبو جعفر الجياني : قال عنه ابن الزبير: أحد من ختمت به المائة السادسة من أفراد العلماء، أخذ عن ابن الرماك كتاب سيبويه، وسمع عليه وعلى غيره من الكتب النحوية واللغوية والأدبية ما لا يحصى، وكان له تقدّم في علم العربية واعتنا ء وآراء فيها، ومذاهب مخالفة لأهلها.

روى عنه عبد الحق بن عطية، والقاضي عياض وخلائق، وعنه ابنا حوط الله وأبو الحسن الغافقي[1]، وولى قضاء فاس وغيرها[2]، فأحسن السيرة، وعدل؛ فعظم قدره وصار رحلة في الرواية، وعمدة في الدراية. وقال ابن عبد الملك: كان مقرئا مجودا، محدثا مكثرا، قديم السماع، واسع الرواية عارفا بالأصول والكلام والطب والحساب والهندسة، ثاقب الذهن متوقد الذكاء، شاكرا بارعا، كاتبا. [3]

3

كان مولد ابن مضاء سنة ثلاث عشرة وخمسمائة بقرطبة، أما وفاته فكانت باشبيلية في السابع عشر من جمادى الأولى، وقيل ثاني عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين. [4]

صنف هذا النحوي الأندلسي "المشرق في النحو"، "الرد على النحاة"، "تتريه القرآن عما لا يليق بالبيان"، وناقضه في هذا التأليف ابن خروف بكتاب سماه:" تتريه أئمة النحو عما نُسب إليهم من الخطأ والسهو"، ولما بلغه ذلك قال: نحن لا نبالي بالكباش النطاحة، وتعارضنا أبناء الخرفان. [5]

ومن يعود إلى كتاب "الرد على النحاة" يُلاحظ أن صاحب هذا الكتاب ثائر على المشرق، وهي ثورة تعتبر امتدادا لثورة أميره[6] عليه، وأيضا فإنه سيلاحظ نزعة ظاهرية في ثنايا الكتاب، مما يؤكد يؤكد صلة صاحبه بثورة الموحدين على كتب المذاهب[1].

---

[1] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 1/ 266.

[2] – يُنظر: عبد الواحد المراكشي، "المعجب"، ص: 207.

[3] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات الغويين و النحاة"، 1/ 266.

[4] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 1/ 266-267، ويُنظر: الفيروزآبادي، "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"، ص: 40-41.

[5] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبات اللغويين و النحاة"، 1/ 266-267.

[6] – هو أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن من أمراء الموحدين في الأندلس، دام حكمه من سنة 558 حتى سنة 580 هـ.

– ابن خروف الأندلسي النحوي، علي بن محمد بن علي بن محمد نظام الدين، أبو الحسن: حضر من اشبيلية، وكان إماما في النحو واللغة، ومحقّقا مدقّقا ماهرا مشاركا في الأصول، أخذ النحو عن ابن طاهر المعروف بالخَدْبِ.أقرأ النحو بعدّة بلاد، وأقام بحلب مدة ، وله مناظرات مع السهيلي[2].

ويُقال بأنه قد صنف كُتبا في اللغة والنحو والأصول، منها: شرح كتاب سيبويه وسماه:" تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب"، و"شرح كتاب الجمل" لأبي القاسم الزجاجي، وصنّف كتابا في الفرائض، وله ردود في العربية على أبي زيد السهيلي وابن ملكون وابن مضاء[3].

أما بالنسبة لتاريخ وفاته فقد اختلفت حوله الروايات[4]. فقال السيوطي قد وقع في جب ليلا، فمات سنة تسع وستمائة، وقيل خمس وقيل عشر، وقال ياقوت سنة ست باشبيلية عن خمس وثمانين سنة[5].

– ابن عصفور الاشبيلي، علي بن مؤمن بن محمد بن علي، أبو الحسن النحوي الحضرمي: حامل لواء العربية في زمانه بالأندلس، قال عنه ابن الزبير: أخذ عن الدباج والشلوبين،وتصدر للاشتغال مدّة بعدة بلاد، وجال بالأندلس، وأقبل عليه الطلبة، وكان أصبر الناس على المطالعة، لا يمل من ذلك، و لم يكن عنده ما يُؤخذه عنه غير النحو[6].

---

[1] – ابن مضاء القرطبي، "الرد على النحاة"، تحقيق:شوقي ضيف،دار المعارف،ط3،مصر،ص19 .

[2] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 2/216–217، و ينظر: ياقوت الحموي. ،"معجم الأدباء"،15/75ــ76

[3] – يُنظر: الزركلي، "الأعلام"، 5/330، ، ويُنظر: الفيروزآبادي، "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"، ص: 128–129. ويُنظر: محمد خليفة الدناع، "المختار من شرحي ابن خروف والصفار لكتاب سيبويه"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1996، ص: 137

[4] – ذكر يقاوت الحموي أنه توفي سنة 606 هـــ ،"معجم الأدباء"،15/.76

[5] – يُنظر: السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 2/ 217.

[6] – السيوطي، " المصدر نفسه "، 2/222.

لابن عصفور تصانيف حسنة، منها: "المقرّب في النحو"، و"الممتع في التصريف"، و"المفتاح" و"الهلالية" و"الأزهار" و"إنارة الدُّجى" و"مختصر العِزّة"، و"مختصر المحتسب"، وثلاثة شروح على الجمل، "مفاخرة السالف والعَذار". ومما لم يكمله "شرح المقرب"، و"شرح الإيضاح"، و"شرح الحماسة"، و"شرح الستة الجاهلية" و"شرح المتنبي"، و"سرقات الشعراء" و"البديع"، و"شرح الجزولية"[1].

ذكر السيوطي أن ابن عصفور توفي في رابع عشرة ذي القعدة سنة ثلاث وقيل تسع وستين وستمائة، ومولده سنة سبع وتسعين وخمسمائة[2].

– ابن مالك الطائي الأندلسي، جمال الدين محمّد بن عبد الله بن عبد الله الجياني أبو عبد الله: من مواليد سنة ستمائة للهجرة بجيان، أقام فترة بالأندلس، تلقّى فيها العلوم على عدد من الأساتذة[3]، منهم: ثابت بن محمد بن يوسف بن خيار الكلاعي الغرناطي [4]، يقول أبو حيان: بحثت عن عن شيوخ ابن مالك فلم أجد له شيخا مشهورا يعتمد عليه، ويرجع في حل المشكلات إليه، إلا أنّ بعض تلامذته ذكر أنه قال: قرأت على ثابت بن حيان بجيان، وجلست في حلقة أبي علي الشلوبين نحوا من ثلاثة عشر يوما[5].

أما تصانيفه، فقال عنها السيوطي: فرأيت في تذكرة الشيخ تاج الدين بن مكتوم أنّ بعضهم نظمها في أبيات، قال الشيخ تاج الدين: وقد أهمل أشياء أخَر من مؤلفاته فذيّلت عليها. وها أنا أورد نظمها مبينا.

سقى الله رب العرش قبر ابن مالك ... سحـــائب غفران تغاديه هـــطـــلا
فقد ضم شمل النحو من بعد شته ... وبـــيّن أقـــوال النحاة وفـــصّـــلا
بألفية تسمى الخلاصة قد حـــوت ... خلاصة علم النحو والصرف مكملا

---

[1] – الفيروزآبادي، " البلغة في تاريخ أئمة اللغة "، ص: 131.

[2] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، ، 2/ 222.

[3] – محمد بن عمار درين، "تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس"، ص: 52.

[4] ـــ أبو الحسن ثابت بن محمد بن يوسف بن حيان الكلاعي الغرناطي، كان نحويا فاضلا مقرئا ماهرا، معروفا بالزهد والفضل والجودة والانقباض، أخذ عنه ابن مالك، يُنظر: السيوطي، "البغية في تاريخ أئمة اللغة"، 1/ 397.

[5] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة "، 1/ 109، ويُنظر: أحمد محمد المقري التلمساني، "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب"، 2/ 222– 333.

وكافية مشروحة أصبحت تفي لعمري بالعلمين فيها تسهلا
ومختصرٌ سماه عمدة لاقط يضمّ أصول النحو لا غير مجملا
وبين معناه شرح منقح أفاد به ما كان لولاه مهملا
وآخر سماه بإكمال عمدة فزاد عليها في البحوث وعلّلا
وصنف للإكمال شرحا مبينا معانيه حتى غذت ربة أنجلا
ولا سيما التسهيل لو تمّ شرحه لكان كبحر ماج عذبا وسلسلا
ونظم في الأفعال أيضا قصيدة فسهل منها كل وعر وذلّلا
وأرجوزة تحوي المثلث بينا مربعة المصراع عزاء تجتلى
وصنف في المقصور أيضا قصيدة وضمنها الممدود أيضا فكمّلا
واتبعها شرحا لها متضمنا بيان معانيها بها متكفلا
وأعرب توضيحا أحاديث ضمنت صحيح البخاري الإمام وسهلا[1]

ولابن مالك مؤلّفات أخرى في الاطّلاع على الحديث، فكان أكثر ما يستشهد بالقرآن، فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى الحديث، فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى أشعار العرب. توفي ابن مالك ثاني عشر شعبان سنة اثنتين وسبعين وستمائة[2].

- **أبو حيان الأندلسي الغرناطي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الإمام أثير الدين النفزي**، نسبة إلى نفزة قبيلة من البربر،كان أبو حيان نحوي عصره ولغويّه ومفسّره ومحدّثه، ومقرأه ومؤرخه وأديبه، وُلد بمطخشارش، مدينة من حضرة غرناطة في آخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة، وأخذ القراءات عن أبي جعفر بن الطباع، والعربية عن أبي الحسن الأبذي وأبي جعفر بن الزبير وابن أبي الأحوص وابن الصائغ وأبي جعفر اللبلي، وبمصر عن البهاء بن النحاس وجماعة[3].

كانت لأبي حيان مكانة مرموقة في علوم العربية وعلوم أخرى، وذلك راجع لمكوّناته لذاتية واستعداده الفطري، ثم لدأبه ومواظبته وحرصه على التلقي ولقاء الشيوخ والأئمة، حتى بلغ عدد

[1] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 1/ 109 – 110.
[2] – السيوطي، "المصدر نفسه "، 1/ 112.
[3] –السيوطي، " المصدر نفسه "، 1/ 231.

شيوخه نحو: أربعمائة وخمسين شيخا، ولأنه قضى عمره كله (90 عاما) من 645 هـ - 745 هـ في التعلّم والتعليم، والاطّلاع والكتابة[1]. تنقّل أبو حيان في بلاد عدة في الشام والسودان والحجاز،

وعُهد إليه بتدريس النحو في جامع الحاكم بالقاهرة سنة 704 هـ، كما عُهد إليه بتدريس التفسير في قبة السلطان المنصور سنة 710 هـ، وتولى منصب الإقراء بجامع الأقمر الفاطمي، وكان يقول خير الكتب النحوية المتقدمة كتاب سيبويه، وأحسن ما وضع المتأخرون كتاب التسهيل لابن مالك، وكتاب الممتع في التصريف لابن عصفور[2]. وقد ترك أبو حيّان ثروة علمية واسعة ومؤلفات جليلة في علوم العربية وغيرها، ومن أشهرها وأوسعها: تفسيره الجليل "البحر المحيط" وشرح التسهيل واعتنى به، وألّف عليهثلاثة كتب، هي: "التخييل الملخّص من التسهيل" و " التكميل لكتاب التسهيل" و"التذييل والتكميل في شرح التسهيل" و"ارتشاف الضرب من لسان العرب" في النحو، ومؤلّفاته في النحو مهمّة جدّا في تحديد ملامح تفكيره النحوي ومنهجه[3].

كانت وفاة أبي حيان في الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة[4].

2 – 4 – 3 : منهجها وخصائصها:

2 – 4 – 3 –1: اتجاههم إلى تيسير النحو:

اكتمل تأليف النحو العربي على يد **سيبويه** الذي لم تفته فائتة فيما يخص هذا العلم، فألّف لنا كتابا سجّل فيه آراءه وآراء أستاذه **الخليل**[5]، على أنّ سيبويه استفاد من علماء عصره الآخرين من أمثال يونس بن حبيب ويعقوب بن إسحاق الحضرمي وأبي زيد الأنصاري[6].

---

[1] – يُنظر: إبراهيم عبد الله رفيدة، "النحو وكتب التفسير"، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، ط3، 1990، 2/ 906.

[2] – يُنظر: شوقي ضيف، "المدارس النحوية"، ص: 320.

[3] – إبراهيم عبد الله رفيدة، "النحو وكتب التفسير"، 907/2، وينظر: مأمون بن محي الدين الجنان، أعلام الفقهاء و المحدّثين" أبو حيّان الأندلسي منهجه التفسيري"، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، 1414هـ/1993،ص78 .

[4] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 1/ 234.

[5] – يُنظر: محمد الطنطاوي، "نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة"، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، دت ،ص: 43 – 44.

[6] – فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، رسالة تقدم بها الطالب لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين،2006، ص: 19.

ولعظمة هذا الكتاب وأهميته انكبّ العلماء الذين جاؤوا بعد سيبويه عليه بالدراسة والشرح والتعليق، ولكن بعضا من هؤلاء العلماء أوغلوا في تعقيد النحو العربي وأمسك زمام أمر هذا العلم أناس

صعب عليهم أن يضيفوا شيئا جديدا إلى قواعده ، فأصبح علم النحو صعبا على الكثيرين؛ لذلك كان لا بد من التيسير والتقريب لأذهان المتعلمين، وقد اتخذ هذا التيسير عدّة أشكال وصور أهمها:[1]

2- 4- 3-1-1: وضع المتون (تأليف الكتب النحوية المختصرة): لقد أكثر نحاة الأندلس وبخاصة نحاة القرن السابع الهجري[2] من وضع المتون النحوية المتنوّعة: المنثور منها والمنظوم؛ التي جمعت قواعد النحو العربي. وعلى ما يبدو فإن ما دفع هؤلاء النحاة إلى هذا الاتجاه فضلا عن محاولتهم تيسير النحو العربي هو خوفهم على أصول اللغة العربية من الضياع[3].

وعلماء النحو في المشرق والمغرب، بخاصة في الأندلس اتّبعوا طرقا عدة من أجل تقديم النحو العربي بقالب جديد مخفف يصلح لمواكبة الحياة، وبخاصة الأندلسية المترفة، وكانت أوّل تلك الطرق وضع الخطط والمناهج الميسرة، وتصنيف الكتب العلمية المختصرة؛ التي تسهّل على القارئ والمتعلم الوصول إلى هدفه بيسر وسهولة، دون

الحاجة إلى المرور بتعقيدات النحو التي لا حاجة للطالب منها[4]، ومن هذه المؤلفات :

- الـــمقدمة الجزولية: وهي من تأليف أبي موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي البربري النحوي (ت607 هـــ)1 ، وقد ألّفها ليسهل على الطلاب الإلمام بالقواعد النحوية، وعرفت بـــ: "قانون النحو"[2].

---

[1] - فادي صقر أحمد عصيدة، " جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي "، ص: 20.

[2] - ركزت على القرن السابع؛ لأنه في هذا القرن عرف المذهب النحوي الأندلسي تطورا كبيرا واكتملت شخصيته وظهرت سماته.

[3] - يقول ابن منظور(ت735هـــ) : "فلم أقصد سوى حفظ هذه اللغة النبوية وحفظ فضلها؛ إذ عليها مدار أحكام العزيز والسنة النبوية، ولأن العالم بغوا مطه ا يعلم ما توافق فيه النية اللسان ويخالف فيه اللسان النية، وذلك لما رأيته قد غلب في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان، حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يعد لحنا مردودا"."لسان العرب" (1/ 08).

[4] - يُنظر: فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، ص: 36.

– **الذرة الألفية في علم العربية:** ، من نظم العلامة زين الدين أبو زكريا يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي الجزائري النحوي المعروف بابن معط(ت 628 هـــ) [3]، وتعرف بألفية ابن معطي [4]، وقد حظيت هذه لمنظومة باهتمام كبير خال القرنين: السابع والثامن الهجريين؛ إذ تناولها نحاة كثيرون بالدراسة والشرح[5].

– **غاية الإحسان في علم اللسان:** وهي للعلامة بن حيان الأندلسي، أثير الدين أبي حيان محمود بن يوسف بن علي الجياني النفزي (ت 745 هـــ)[6]، وقد ضم هذا الكتاب أبواب النحو والصرف جميعها، مع أنّ حديثه عن تلك الأبواب كان موجزا كل الإيجاز [7]، وقد لفتت هذه المقدّمة أنظار النحاة المعاصرين، فألّفوا كتبا بنفس الاسم وقاموا

بنظم المقدمة كما أن مؤلفها قد قام بشرحها أيضا[8].

2 – 4 – 3 – 1 – 2: اهتمامهم بكتب النحو المشرقية:

ومن الأساليب الأخرى التي اتبعها نحاة الأندلس شرحهم للكتب النحوية المشرقية المليئة بالتعقيد والتعليل والتأويل، وقد جاء هذا الشرح على قسمين اثنين: [9]

– **شرح الكتب الـــمشرقية:** ويعدّ هذا النوع من الشروحات الأشهر والأكثر تداولا بين العلماء في الأندلس، وهو الذي ساعد على تطوير النحو العربي وانتشاره بهذه البلاد، وتسهيله وتيسيره؛ وذلك لأنه لامس أشهر كتب النحو التي ألّفت مثل كتاب سيبويه، وكتاب الجمل، وغيرهما.

---

[1] – ينظر: الزركلي، الأعلام، /104/5، وينظر: القفطي،"انباه الرواة على أنباه النحاة"، 378/2، وينظر: الفيروز أبادي، "البلغة في تاريخ أئمة اللغة،ص:136،

[2] – الزركلي، الأعلام/104/5، ، وينظر: القفطي،"اِنباه الرواة على أنباه النحاة"،379/2(الهامش) .

[3] – السيوطي، "بغية الوعاة غي طبقات اللغويين و النحاة" ، 239/2.

[4] – عبد القادر رحيم الهيتي، "خصائص المذهب النحوي الأندلسي"، ص: 216.

[5] – عبد القادر رحيم الهيتي " المصدر نفسه "، ص: 213.

[6] – عبد القادر رحيم الهيتي " المصدر نفسه "، ص:215.

[7] – عبد القادر رحيم الهيتي، "خصائص المذهب النحوي الأندلسي"، ص: 217.

[8] – عبد القادر رحيم الهيتي، " المصدر نفسه "، ص: 217.

[9] – يُنظر: فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، ص: 78.

– **شرح الكتب الأندلسية المعاصرة في بلادهم:** هذا النوع من الشروح وُجد في الأندلس، ولكنّه كان أقل انتشارا من سابقه من الشروحات، ونجد من بين العلماء الذين اهتموا به: أبو علي الشلوبين؛ الذي شرح الجزولية بشرحين، وشرح الشربشي للذرّة الألفية.

ومن بين الكتب المشرقية التي دخلت بلاد الأندلس وحظيت بكثير من العناية والاهتمام والشرح والتفصيل، وكلّ ذلك من أجل تسهيل حفظها وفهمها وإدراك معانيها، أو حتى تصويب أخطائها أو توضيح شواهدها[1]: **كتاب سيبويه**، وكتاب **الجمل** للزجاجي وكتاب **الإيضاح** لأبي علي الفارسي، و لم يمنعهم ذلك الاهتمام بهذه الكتب من الرد على بعض هؤلاء النحاة والتعقيب على بعض آرائهم، وترجيح آراء بعضهم على بعض[2]، و لم يكن شرح علماء الأندلس لهذه الكتب المشرقية بدافع التسلية أو إضاعة الوقت ، بل كان هذا الشرح و ذلك التوضيح ذا قيمة عظيمة، فهم رأوا أنّ هذه الكتب فيها من الصعوبة والتعقيد ما يكفي لتعسير فهمها على ناشئة الأندلس وطلابهم؛ لأنّهم حديثو العهد بهذا العلم؛ لذلك وقفوا عاجزين أمام لغة هذه الكتب النحوية القديمة المعقّدة وطريقتها الملتوية، مع أنّ هذه المتون لا أحد يستطيع إنكار فضلها وعظمة شأنها في علم النحو، فهي مناسبة لأهل البصرة والكوفة؛ لأنهم كانوا قريبين من العلماء الذين وضعوها؛ فيرجعون إليهم كلّما استصعب عليهم أي أمر فيسألونهم ويناقشونهم في مواضيع هذه المتون، ولكن لما انتقلت هذه اللغة إلى الأندلس ظهرت صعوبتها؛ لذلك كان لا بد لعلماء هذه البلاد أن يشمّروا عن سواعدهم ليُزيلوا عنها غبار التعقيد[3].

ومن أشهر الكتب النحوية المشرقية التي انكب عليها الأندلسيون:

– **شرح كتاب سيبويه** : انكبّ عدد كبير منن النحاة على دراسته، فمنهم من قام بشرحه، ومنهم من قام باختصاره، و لم يكن هذا الجهد المبذول من طرق العلماء في سبيل فهم الكتاب أو تيسيره لمريديه مقصورا على جهة دون أخرى، بل نجد أنّ العلماء من مختلف الأمصار:مشارقة ومصريون ومغاربة وأندلسيون قد اهتموا به[4]، ومن أهم علماء الأندلس الذين اهتموا بشرح كتاب سيبويه:

---

[1] – يُنظر: فادي صقر أحمد عصيدة، "المصدر نفسه "، ص: 78 ــ 79 .

[2] – فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي "، ص: 79 .

[3] – يُنظر: فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، ص: 79 ــ 80 .

[4] – ينظر: سيبويه ،"الكتاب"، 1/ 23، والصفحات: 24 ــ 25 ــ26 ــ27 ــ28 ــ 29 .

– **الأعلم الشنتمري**: هو يوسف بن سليمان (ت 476 هـــ)، له على كتاب سيبويه شرح الشواهد، وله أيضا النكت في كتاب سيبويه، وهما مطبوعان ومتداولان[1].

– **أبو القاسم الصفار** (ت 630 هـــ)، ذكر شرحه للكتاب عدد من العلماء[2]، من بينهم السيوطي في قوله: "شرح كتاب سيبويه شرحا حسنا، يُقال عنه أنه من أحسن ما وضع عليه"[3].

– **أبو علي الشلوبين**: أبو علي عمر بن محمد الاشبيلي المعروف بالشلوبين الكبير (ت 645 هـــ) ذكر شرحه للكتاب القفطي بقوله: "قيل إنه صنف شرحا لكتاب سيبويه"[4]، وأكّد السيوطي أيضا أنّ للشلوبين تعليقا على كتاب سيبويه[5].

و قام بشرح الكتاب علماء أندلسيون آخرون ، منهم: الشلوبين الصغير (ت 660هـــ) وابن عصفور(ت 669 هـــ)، وابن الضائع(ت 680 هـــ)، وأبو حيان(ت 745 هـــ) وابن خروف (ت 609 هـــ)، وربما هناك شروحات أخرى لعلماء آخرين قد غابت عن الباحثين فلم يذكروها، وهذه الشروحات الكثيرة تبين لنا مدى اهتمام نحاة الأندلس بكتاب سيبويه[6].

– **شرح كتاب الجمل للزجاجي** : لقد اهتم نحاة الأندلس بكتاب الجمل للزجاجي شأنهم في ذلك شأن من سبقهم من النحاة، فقد قاموا بشرحه والتعليق عليه، وفي هذا دليل على أنه كان من الكتب التي انتفع بها طلاب هذه البلاد، ومن بين العلماء الذين قاموا بشرح هذا الكتاب:

– **ابن الدقاق** (ت 605 هـــ): هو علي بن قاسم المعروف بالدقاق، وقد أشار السيوطي إلى شرحه لكتاب الجمل[7].

– **ابن معط النحوي** (ت 628 هـــ): أشار السيوطي إلى شرحه.[8]

– **الأبدي** (ت 680 هـــ)، هو علي بن محمد بن عبد الرحمن الخشني المعروف بالأبدي وقد أشار إلى شرحه له الفيروزآبادي[1].

---

[1] – فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"ص: 81.

[2] – فادي صقر أحمد عصيدة، " المصدر نفسه "، ص: 81.

[3] – الفيروزآبادي، "البغلة في تاريخ أئمة اللغة"، ص: 142 ــ 143 .

[4] – القفطي، "انباه الرواة على أنباه النحاة"، 2/ 233.

[5] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة "، 2/ 235.

[6] – يُنظر: فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، ص:82- 83.

[7] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 201/2.

[8] – السيوطي، " المصدر نفسه "، 2/ 239.

– **ابن أبي الربيع**(ت 688 هـــ): قال عنه السيوطي إنه شرح الجمل في عشرة مجلدات.

– **اللبلي** (ت 691 هـــ)، وهو أبو العباس أحمد بن يوسف اللبلي، وأشار السيوطي إلى شرحه لكتاب الجمل[2].

– **الـــمالقي**: هو أحمد بن عبد النور بن رشيد المالقي أبو جعفر النحوي، له شرح على كتاب الجمل للزجاجي في النحو[3].

و بالإضافة إلى من ذكرنا ، يوجد نحاة أندلسيون آخرون قاموا بشرح هذا الكتاب، أمثال: القيذاري (ت 630 هـــ)، والأعلم (ت 637 هـــ)، والخفاف (ت 657هـــ) وابن عصفور (ت 669 هـــ)، وابن الناظر (ت 679 هـــ)[4].

– **الإيضاح لأبي علي الفارسي** : يُعدّ كتاب الإيضاح للفارسي من بين الكتب التي نالت إعجاب واهتمام نحاة الأندلس، وخير دليل على ذلك كثرة الشروحات والتعليقات التي وضعت عليه، ومن بين النحاة الأندلسيين الذين اهتموا بهذا الكتاب

– **الزهري** (ت 617 هـــ): وهو محمد بن أحمد بن سليمان الزهري، أشار المقرّي إلى شرحه لكتاب الإيضاح ، كما أشار إليه السيوطي[5].

– **ابن معزوز القيسي** (ت 625 هـــ): وهو أبو الحجاج يوسف بن معزوز القيسي، وقد أشار إلى شرحه لكتاب الإيضاح كل من: ابن الأبار والسيوطي، وغيرهما[6].

– **ابن هشام الخضراوي** (ت 646 هـــ): أثبت المؤرخون أن ابن هشام الخضراوي كان من المهتمين بكتاب الإيضاح للفارسي، وقد ألّف في ذلك كتابين هما: "الإفصاح في فوائد الإيضاح"، و"الاقتراح في تلخيص الإيضاح"[7].

– **ابن الحاج** (ت 651 هـــ) : أشار إلى شرحه لكتاب الإيضاح كل من أصحاب

---

[1] – الفيروزآبادي، " البلغة في تاريخ أئمة اللغة " ، ص: 130.

[2] – "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 1/ 331.

[3] – ينظر: "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"، ص: 43.

[4] – عبد القادر رحيم الهيتي، "خصائص المذهب النحوي الأندلسي"، ص: 227 – 228.

[5] – "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، 1/ 413، و السيوطي،"بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 1/ 28.

[6] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة" ، 2/ 353، والزركلي ،"الأعلام" 9/ 334.

[7] – "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة "، 244/2.

كشف الظنون والبلغة والبغية[1].

– **أبو بكر الخفاف** (ت 657 هـــ): وقد أشار السيوطي إلى شرحه لكتاب الإيضاح[2].

– **ابن الضائع** (ت 680 هـــ): أشار إلى شرحه لكتاب الإيضاح السيوطي بقوله: "أملى علي إيضاح الفارسي، وردّ اعتراضات ابن الطراوة علي الفارسي"[3].

– **ابن أبي الربيع** (ت 688 هـــ): أشار السيوطي لشرح ابن أبي الربيع لكتاب الإيضاح . وشرح ابن الربيع هذا هو الوحيد من شروح الإيضاح السابقة الموجود منه جزء في دار الكتب المصرية، أما بقية الشروح فلم يبق منها إلا الاسم فقط[4].

إذاً كانت تلك بعض مجهودات علماء الأندلس في شرح الكتب النحوية المشرقية المختلفة؛ التي طبع شرحها بسمة واضحة ومميزة لعلماء الأندلس وقتئذ؛ وهي سمة التسهيل والتيسير والميل إلى الأسلوب التعليمي، فهم لم يؤلّفوا أو يشرحوا شيئا إلا وكان التسهيل والتيسير السمة الغالبة على مؤلفاتهم[5].

2 – 4 – 3 –2: نفورهم من التعليل:

لقد استفادت المدرسة النحوية الأندلسية من المدارس النحوية المشرقية؛ بحيث أن النحو قد وصل إليها ناضجا كما حدث في بغداد[6]، وبحلول القرن السادس أو قبله بقليل استطاعت هذه المدرسة المدرسة بفضل اجتهادات نحاتها واستنتاجاتهم وجهودهم التي تميزوا بها أن تستقل عن المشرق ونحوه، فأظهروا شخصية للنحو الأندلسي لا تقل عن شخصيتة في المشرق[7].

---

[1] ـــ الفيروزآبادي، "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"،ص: 46، و السيوطي،" بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"،296/1.

[2] – السيوطي ، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 12/ 473.

[3] – السيوطي، " بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة "، 2/ 217.

[4] – السيوطي، " المصدر نفسه "، 2/ 125.

[5] – فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، ص: 108.

[6] – فتحي عبد الفتاح الدجني، "ظاهرة الشذوذ في النحو العربي"، وكالة المطبوعات الكويت، ط1، 1974، ص: 391.

[7] – يُنظر: عبد القادر رحيم الهيتي، "خصائص المذهب الأندلسي النحوي"، ص: 36.

ومن مميزات المدرسة الأندلسية النحوية المستقلة: نفور أعلامها من كثرة التعليل، والابتعاد عن فلسفة النحو وتعقيده، واتجاههم إلى تيسيره وتقريبه من دارسيه ومتلقيه، وتذليل الصعاب أمامهم بهذا الخصوص[1]، وذلك على مستوى الأدلة والتعليلات الكثيرة لتبسيط مفاهيمه لطالبيه في أسلوب يمكّنهم من فهمه وإدراكه والتفاعل معه، فعلى مستوى الدلالة والتعليل نلاحظ توجّههم إلى رفض التعليلات الكثيرة والمعقّدة، بل رفض عملية العامل التي تعدّ ركنا أساسا في علم النحو. فالأندلسيون نفروا من التعليل وثاروا ضده حتى أن ثورتهم تلك أُعتبرت من أهم مميزات اتجاههم في الدرس اللغوي النحوي في بعض مراحله، خاصة في القرن السابع والثامن وأواخر القرن السادس، وقد ارتبطت هذه الثورة بابن مضاء القرطبي (ت 592 هـــ)[2] صاحب كتاب "الرد على النحاة"؛ الذي نال شهرة كبيرة لما فيه من ثورة عارمة أشعلها عندما طالب في هذا الكتاب بإلغاء نظرية العامل وإلغاء العلل الثواني والثوالث، وإبطال القياس وترك المسائل النظرية، وإسقاط كل ما لا يفيد في النطق[3].

ولقد اعتبر بعض الباحثين صنع ابن مضاء خطوة هامة في تطوير النحو العربي وتحريره من التعليل والتأويل[4]، لما له من دور كبير في عمليّة تيسير النحو وتقريبه من مريديه ومستعمليه[5]، وقد قام ابن مضاء في كتابه هذا بهجوم أراد به أن يلغي نظرية العامل إلغاءً ويهدمها هدمًا، وهي التي تعدّ الأساس والركن الركين الذي بنى عليه النحاة القاعدة النحوية[6].

ولعلّ الغاية التي كان ابن مضاء يريد الوصول إليها عندما دعا إلى إلغاء نظرية العامل والأقيسة هو التنويه بالحركة الإعرابية وما لها من دور وفضل في توجيه المعنى، وكلّ ما عدا ذلك فحَشْوٌ يمكن للقارئ والمتكلم أن يستغني عنه؛ لأن العلامة الإعرابية من عمل المتكلّم، وليست أثرا من آثار العوامل [7]؛ العوامل[7]؛ لذلك نجد ابن مضاء يقول في مفتتح الفصل الأول من كتابه: "قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه، وأنبّه على ما أجمعوا على الخطأ فيه، فمن ذلك: ادعاؤهم أنّ

---

[1] – مصطفاوي عمار، "الجهود اللغوية في المغرب الأوسط من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجريين"، ص: 58.

[2] ـــ مصطفاوي عمار، " الجهود اللغوية في المغرب الأوسط من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجريين "، ص: 53.

[3] – يُنظر: ابن مضاء القرطبي، "الرد على النحاة"، ، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط3،(دت)،ص8 ـــ 9 .

[4] – يُنظر: أحمد أمين، "ظهر الإسلام"، دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان ، ط2،1428/ 2007، 3/ 73.

[5] – يُنظر: مصطفاوي عمار، "الجهود اللغوية في المغرب الأوسط من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجريين"، ص: 54.

[6] – يُنظر: بكري عبد الكريم، "ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي"، رسالة تقدّم بها الطالب لنيل شهادة الدكتراة، جامعة وهران، 1982، ص: 125.

[7] – ابن مضاء، "الرد على النحاة"، ص: 76– 77.

النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي، وأنّ الرفع منها يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي[1]، وعبّروا عن ذلك بعبارات تُوهم في قولنا (ضربَ زيدٌ عمراً) أنّ الرفع الذي في، زيد والنصب الذي في عمرو إنما أحدثه ضرب، ألا ترى أن سيبويه قال في صدر كتابه[2]: وإنما ذكرت ثمانية مجارٍ[3]، لا فرق بين بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدثه فيه العامل، وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه [4]، وبين ما يبنى عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك [5] فيه؟" فظاهر هذا أنّ العمل أحدث الإعراب، وذلك بيّن الفساد[6].

إذا فابن مضاء القرطبي سعى إلى بيان الأسباب التي عقدت النّحو وجرت على إثقال كاهله، يحدوه في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لذا لا يتردد في انتقاد النحاة؛ لأنهم التزموا في صناعتهم – على حد تعبيره – "ما يلزمهم وتجاوزوا فيها القدر الكافي في ما أرادوه منها، فتوعّرت مسالكها ووهنت مبانيها، وانحطت عن الإقناع حجَجُها".[7]

و لم ير ابن مضاء في مساعيهم محاولة في النفاذ إلى أسرار ما يسمى اليوم بنظام اللغة، ولا حرصا على الفوز بمنهج تفسيريّ متكامل، ولكنه عدّ كل ما ليس قواعد بسيطة تكلّفا في علم هو – حسب عبارته – "من أوضح العلوم بُرهانا، وأرجح المعارف عند الامتحان ميزانا، و لم يشتمل إلا على يقين أو ما قاربه من الظنون"[8].

---

[1] – يُشير ابن مضاء إلى رأي البصريين الذين يجعلون الفاعل مرفوعا بالفعل، والخبر مرفوعا بالمبتدأ، في حين يجعلون المبتدأ مرفوعا بالابتداء، يُنظر: الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، 56/1 ــ 82.

2 ــ ينظر: سيبويه، " الكتاب "، 1/ 41 .

[3] – يريد سيبويه بالمجاري حركات أواخر الكلم، وقد اعترض عليه بأن الحركات تجري والمجاري يُجرى فيهن.

[4] – يقصد سيبويه بالحركات الأربع التي يُحدثها العامل: النصب والرفع والجر والجزم.

[5] – يقصد سيبويه هنا الحركات الأربع الأخرى الخاصة بالبناء، وهي: الفتح والكسر والفم والوقف أو السكون.

[6] – ابن مضاء القرطبي، "الرد على النحاة"، ص: 77.

[7] – يُنظر: عبد القادر المهيري، "نظرات في التراث اللغوي العربي"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص: 138.

[8] – عبد القادر المهيري، " المرجع نفسه "، ص: 138.

ويرى عبد العال سالم مكرم أنّ في دعوة ابن مضاء طرافة و تجديد، أمّا طرافتها فهي أنها دعوة لم يألفها النحاة السابقون أو المعاصرون، وأما تجديدها فإنها أخذت على عاتقها هدم النحو القديم وبناء نحو جديد يقوم على أساسٍ جديد[1].

2 – 4 – 3 –2 – 1: إلغاء نظرية العلل الثواني والثوالث:

الحديث عن العلّة موصول الصلات بالظروف التي نشأ فيها النحو العربي وطبيعة اللغة العربية خصوصا، مع إحساس الدارسين بها، فقد ولّدت هذه الأمور فكرا فلسفيا التصق بالنحو حتى دُعي قسيما له[2]، وأصبح حتما مقضيّا على دارس اللغة أن يحيط به خبَرا كما يحيط بقواعد النحو وأحكامه، فكان لهذا أثره الخطير في تنكب الباحثين في اللغة جادة الصواب، فبدل أن ينظروا المادة التي جمعها رواة اللغة ويقوّموها حسب ما هي عليه، وزّعوا جهودهم – إلى ذلك – نواحٍ ثلاث: ما كان ينبغي أن يكون في اللغة ووقع فعلا، وما كان ينبغي أن يكون و لم يكن، وما كان ينبغي ألا يكون وكان، ومضوا يُوَجّهون المجهول أو المعدوم والموجود، ويلتمسون لكل ما قيل وما لم يُقَل وجها من الحكمة، فانقسمت بذلك تعليلاتهم أقساما ثلاثة، ثم انقسمت العلة ذاتها أقساما أخرى [3]، ولما تكامل هيكلها أفردت بالتصنيف والتأليف، وأصبح لها من القداسة حظ وافر ومازالت تفرض وجودها على دارسي النحو وعلى المؤمنين بقلة جدواها[4].

– **بدايات العلة النحوية:** تذكر بعض المصادر التراثية أنّ الحديث في بدايات العلة النحوية يعود إلى عصر النحو الأول؛ حيث أنّ عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي هو أول من نهج العلل وشرحها[5]، وقصة عبد الله بن أبي إسحاق مشهورة مع الفرزدق حين هجاه لأنه اعترض عليه وطلب منه تعليلا لما يقول[6].

---

[1] – عبد العال سالم مكرم، "القرآن وأثره في الدراسات النحوية"، ص: 170 – 180.

[2] – يُنظر: ابن جني، "الخصائص"، 1/ 95.

[3] – محمد إبراهيم البنا، "أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي"، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1405هـ، 1985م،ص281.

[4] – محمد إبراهيم البنا، " المصدر نفسه "، ص: 281.

[5] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 31، و الأنباري، "نزهة الألباء"، ص: 27.

[6] – القصة مذكورة في "نزهة الألباء" للأنباري، ص: 20.

وقد اتبع نهج ابن أبي إسحاق عدد من تلامذته من أمثال: أبي عمرو بن العلاء؛ الذي كان يطلب التعليل حين يسمع كلاما يشكل عليه فهمه [1]، وكذلك عيسى بن عمر؛ الذي كان يضع تعليلا لما سمعه و لم يستطع أن يدركه جيدا.

وقد كانت تلك التعليلات في بداية الأمر بسيطة تدور حول العامل والمعنى المقصود من القول المعلَّل، حتى جاء الخليل ورأى أن كلام العرب لم يكن ليوضع دون علل أو تعليل[2]، فاستنبط من علل النحو ما لم يستنبطه أحد وما لم يسبق إلى مثله سابق[3]، فأطلق الخليل العنان لعقله ليفكّر في العلة القائمة خلف هذا القول أو ذلك المعنى[4]، كما فتح الباب على مصراعيه للنظر في اللغة وتوجيهها، وذلك عندما قال: "فإن سنح لغيري علّة لما علّلته من النحو، هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها"[5].

وبعد أن تطورّت العلّة وأصبحت أداة ووسيلة هامّة لتعلّم النحو وفهمه، وكل ذلك بفضل الخليل، فإن تلك العلّة وجدت أنصارا لها من العلماء اهتموا بها حتى بالغوا في ذلك، منهم: سيبويه الذي ملأ كتابه تعليلا وقياسا[6].

وفي العصور المتأخرة أضحى التعليل من الموضوعات التي كثر الاختلاف حولها بين علماء النحو، ففي الوقت الذي نجد فيه نحاة المشرق [7] يُقدّسون ويبجّلون العلل، نجد نحاة المغرب والأندلس ينكرونها، وذلك راجع لتأثير المذهب الظاهري في الفقه على مذهبهم النحوي، ومن نحاة الأندلس الذين ثاروا على العلة النحوية:ابن مضاء القرطبي وأبو حيان النحوي[8].

---

[1] – ابن الأنباري، "نزهة الألباء"، ص: 29.

[2] – يُنظر: فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، ص: 112.

[3] – الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 47.

[4] – فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، ص: 112.

[5] – الزجاجي، أبو القاسم (ت 337 هـ)، "الإيضاح في علل النحو"، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس ، بيروت ــ لبنان، ط6، 1996، ص: 66.

[6] – فادي صقر أحمد عصيدة، ، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، ص: 113.

[7] – ومن علماء المشرق الذين عمّقوا الاتجاه التعليلي: ابن يعيش؛ الذي نجده في كتابه "شرح المفصل" يشرح للقارئ سبب انقسام الضمير إلى متصل ومنفصل: "والقياس فيها أن تكون كلّها متصلة؛ لأنها أوجز لفظا وأبلغ في التعريف، وإنما تأتي بالمنفصل لاختلاف مواقع الأسماء التي تضمر، فبعضها يكون مبتدأ، نحو: **زيدٌ قائم**، فإذا كنيت عنه قلت: **هو قائم**، أو **أنت قائم** إن كان مخاطبا؛ لأن الابتداء ليس له لفظ يتصل به الضمير؛ لذلك وجب أن يكون ضميره منفصلا. " ابن يعيش، "شرح المفصل"، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 3/ 85، و ينظر على سبيل المثال:86/3 .

[8] – يُنظر: فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، ص:112.

وقد شكّل الاهتمام بالعلّة النحوية مصدرا أساسيا من مصادر الصعوبة والتعقيد في النحو العربي، وهو ما لم يرق لعلماء النحو الأندلسي، أو حتى للفقهاء منهم[1]، فأعلنوا على العلل ثروة بلا هوادة، وطبعا كان من أشهر هؤلاء: ابن مضاء؛ الذي لم يكتف باستفادته من تطبيق مذهب الظاهرية على النحو العربي فيما يخص إلغاء نظرية العامل، بل هناك أشياء أخرى استقاها من هذا المذهب؛ وقد أراد أن يريح الناس عن طريقها من عبث طويل للنحاة، وعلى رأس هذه الأشياء إلغاء العلل[2]، وإلغاء طلبها في الشرع، وقد ذهب ابن مضاء يطلب ذلك في النحو، ولكنه لم يتشبّث بإلغاء العلل جملة، فإن فيها قدرا لا يمكن إلغاؤه، وهو العلل الأُوَل؛ لما لها من فائدة تعليمية[3]؛ وهو ما يتوضّح في قوله:"ومما يجب أن يسقط من النحو العلل الثواني والثوالث، وذلك مثل سؤال السائل عن (زيد) من قولنا: (قام زيد) لم رُفِعَ؟ فيُقال: لأنه فاعل، وكل فاعل مرفوع، فيقول: ولِمَ رُفِعَ الفاعل:؟ فالصواب أن يقال له: كذا نطقت به العرب"[4].

وذلك لأنّ العلل الثواني والثوالث لا تفيدنا في شيء ولا يضرنا جهلها في شيء، كذلك ولو أجبت السائل عن سؤاله (لِمَ رُفِعَ الفاعل؟) بأن تقول له للفرق بين الفاعل والمفعول، فلم يقنعه، وقال: فلم لم تعكس القضية بنصب الفاعل ورفع المفعول؟ قلنا له: لأن الفاعل قليل والمفعولات كثيرة؛ فأعطي الأثقل؛ الذي هو الرفع للفاعل، وأُعطي الأخف؛ الذي هو النصب للمفعول؛ ليقل في كلامهم ما يستثقلون ويكثر في كلامهم ما يستخفون [5]، فلا يزيدنا ذلك علما بأن الفاعل مرفوع [6]، ثم يضيف ابن مضاء قائلا: وهذه العلل الثواني على ثلاثة أقسام: قسم مقطوع به، وقسم فيه إقناع، وقسم مقطوع بفساده، وهذه الأقسام موجودة في كتب النحويين، والفرق بين العلل الأُوَل والعلل الثواني والثوالث،

---

[1] – فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، ص: 113.

[2] – يُنظر: ابن مضاء، "الرد على النحاة"، ص: 35.

[3] – بكري عبد الكريم، "ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي"، ص: 71.

[4] – ابن مضاء، "الرد على النحاة"،ص: 130.

[5] – ابن جني، "الخصائص"، 1/ 95.

[6] – ابن مضاء، "الرد على النحاة" ،ص: 130 – 131.

أنّ العلل الأُول بمعرفتها تحصل لنا المعرفة بالنطق بكلام العرب، والعلل الثواني هي المستغنى عنها في ذلك[1].

فابن مضاء برأيه هذا خالف النحاة القدماء الذين كانت العلل عندهم على ثلاثة أضرب: علل تعليمية، وعلل قياسية، وعلل جدلية نظرية، وإنما قسّموا العلل ليولوا العلة التعليمية الاهتمام الأول[2].

لقد اختلفت دعوة نحاة الأندلس إلى ترك التعليل، فنجدها عمليّة عند بعضهم، ونظريّة عند بعض آخر، فابن مضاء مثلا والزبيدي وغيرهما كانت دعوتهم عملية؛ حيث حاولوا تطبيقها قولا وفعلا، فهم قد جانبوا التعليل والعلل الفلسفية والمنطقية، وهي دعوة نظرية عند السهيلي وابن الطراوة اللذين دعيا بصراحة إلى ترك التعليل، ومع ذلك فقد أخذا به، ورغم ذلك فلا أحد يستطيع أن ينكر الدور العظيم الذي قام به علماء الأندلس لتخليص النحو العربي من بعض علله، فالدعوة النظرية قد تؤتي أكلها بشكل واضح وبيّن، حتى ولو لم يفعل بها صاحبها، فكم من سامع أوعى ممن بلغه نصحه، فنصيحة العلماء الأندلسيين بترك التعليل لا يُمكن إغفالها أو الانتقاص من أثرها، وليس أدلّ على ذلك من هذا الصدى الذي أحدثته هذه الدعوة عند العلماء المحدثين فظهر من نادى بتطبيق رأي ابن مضاء [3] وإعادة تشكيل النحو من جديد[4].

2 – 4 – 3 –3 : الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف: تميّزت المدرسة النحوية الأندلسية فيما يخصّ قضية الاستشهاد اللغوي باعتماد نحاتها الحديث النبوي الشريف أصلا من أصول التقعيد النحوي.وبما أن هذه القضيّة هي لبّ بحثي ارتأيت أن أرجئ الحديث عنها إلى الفصل الموالي؛ حتى تتسنّى لي الفرصة في التفصيل فيها .

يتبين مما تقدّم أنّ النحو في الأندلس بدأ كوفي النزعة، وذلك لأسبقية دخول كتاب الكسائي الذي تعرّف عليه الأندلسيون قبل أن يعرفوا كتاب سيبويه، ولكنّ بالرغم من هذا ، فإنّ كتاب سيبويه كان له أثر عظيم في نفوس نحاة الأندلس؛ حيث انكبّوا عليه بالدراسة والشروح، فلم يتركوا صغيرة ولا كبيرة في هذا الكتاب إلا وتوقّفوا عندها، كما نهل الأندلسيون من معين النحو البغدادي، والفضل في

---

[1] – ابن مضاء، "الرد على النحاة"، ص: 131.

[2] – بكري عبد الكريم، "ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي"، ص: 72.

[3] – يُنظر: فادي صقر أحمد عصيدة، "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، ص: 142.

[4] – ابن مضاء القرطبي، "الرد على النحاة"، ص: 46.

هذا يعود إلى أبي علي القالي الذي اُستدعي إلى الأندلس فتخرّج على يديه كثير من أبنائها . وفي الفصل الموالي سأعرض مصادر الاستشهاد اللغوي المعتمدة عند نحاة الأندلس .

الاستشهاد في علم النحو من الأمور المهمة؛ لأن الشاهد هو الدليل على صحة القاعدة النحوية؛ مما دعا علماء العربية للاهتمام بالشواهد النحوية، وبتحديد القبائل العربية التي يُعتدّ بفصاحتها[1].

فإذا عدنا إلى كتاب سيبويه مثلا ــ بما أنّه يمثل أول عمل نحوي ضخم هُيِّئ للأجيال التي أتت بعده ــ فإننا نجد هذا الكتاب غنيّا بالشواهد المتنوعة والمختلفة من قرآن كريم وشعر ونثر، وبعض الأحاديث النبوية الشريفة، وبعد سيبويه غدا الاستشهاد أمرا تقليديا يمارسه المصنِّفُون في كلّ ما له علاقة مع تأثرهم بما حفظوا من القرآن الكريم ومن الشعر، وبما وعوا من كتب السابقين، فبعضهم أعطى أهمية كبيرة للشواهد القرآنية، وجعلها في الرتبة الأولى مثلما فعل **ابن هشام** (ت761 هـــ) في "شرح شذور الذهب"؛ إذ بلغ عدد الآيا ت التي استشهد بها ست مائة وتسع وخمسين، في حين استشهد بثلاث مائة وتسع وثلاثين بيتا فقط، أما الأحاديث النبوية الشريفة فاكتفى بحوالي ستة وعشرين حديثا فقط، كشاهد على بعض القواعد النحوية التي ناقشها أو أفكاره التي قدّمها، وكما فعل ابن معط في كتابه "الفصول الخمسون"؛ إذ بلغ عدد الآيات مائة وثلاثا وعشرين آية، أما الأبيات الشعرية، فاستشهد بحوالي سبعة وستين بيتا[2]. فقد اعتنى كل من ابن هشام و **ابن معط** (ت 628 هـــ) عناية كبيرة بالشاهد من القرآن وجعلاه في المرتبة الأولى ،وكذلك نجد نحاة آخرين كان هذا منهجهم في الاستشهاد، أما بعضهم الآخر، فكان له وجهة نظر مخالفة؛ حيث أعطى الأولوية للشاهد من الشعر مثلما فعل سيبويه في كتابه؛ إذ بلغ عدد الآيات القرآنية التي استشهد بها أربع مائة وسبع وأربعين آية، وبلغ عدد الأبيات ألفا وخمس مائة بيت[3]. أما الحديث النبوي الشريف، فنجد في الكتاب ثمانية أحاديث فقط، وهي من الأحاديث القصار؛ التي يسهل حفظها ولا يختلف في نقلها الرواة اختلافا بينا[4].

---

[1] – ينظر: ابن مالك أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطائي الجياني (ت 672 هـــ)، "سبك المنظوم وفك المختوم"، تحقيق: عدنان محمد سليمان، وفاخر جبر مطر، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة، دبي، ط 1، 1425 هـــ/ 2004 مـــ، ص: 36 ــ37 .

[2] – يُنظر: لخضر روبحي ، " أهمية الشاهد النحوي في تفسير القرآن الكريم : تفسير جامع البيان لابن جرير الطبري نموذجا"، مجلة الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، جامعة المسيلة ورقلة، الجزائر، العدد:06، ماي 2007، ص: 193.

[3] – لخضر روبحي، "أهمية الشاهد النحوي في تفسير القرآن الكريم : تفسير جامع البيان لابن جرير الطبري نموذجا"، ص: 194.

[4] – يُنظر: أحمد جلايلي، " مراتب النصوص في الاحتجاج النحوي"، مجلة الأثر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد :04، ماي 2005، ص: 31.

إذًا، كما سبق وذكرت فإن النحاة قد اختلفوا في أمر تصنيف النصوص اللغوية التي يُحتجّ بها، وطبعا عملية التصنيف هذه كانت قائمة على أسس واضحة؛ حيث أنه كان لكل عالم اعتباراته الخاصة، فهناك من اعتمد التصنيف الطبيعي؛ أي باعتبار ميلاد النص، وهو اعتبار تاريخي، ثم يأتي تصنيف آخر، وهو التصنيف الديني؛ أي بحسب قدسية النص عند العرب المسلمين، ثم التصنيف العملي؛ أي بحسب تعامل النحاة معها واستخدامها في عملية التقعيد[1].

1 – مناطق وعصر الاستشهاد اللغوي:

1 –1 : ضبط مصطلح الاستشهاد:

عندما وضع النحاة الأوائل قواعد اللغة العربية، كانت هناك دلائل ارتكزوا عليها، وسميت هذه الدلائل بالشواهد، وتضم هذه الشواهد مصادر سماعية، منها: القرآن، والحديث النبوي، وكلام العرب؛ الذي قيل في زمن الفصاحة، فجميع القواعد التي وضعها النحاة استشهدوا على صحتها بما عثروا عليه من شواهد مختلفة، سواء أكانت من القرآن الكريم أم من الحديث الشريف أم من كلام العرب .

وقد أورد أبو هلال العسكري(ت395هـ) في كتابه "الصناعتين" فصلا سمّاه "الاستشهاد والاحتجاج" في سياق حديثه عن الشواهد الشعرية، فقال: "وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن من يتعاطى من أجناس صنعة الشعر ...، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى، وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأوّل والحجة على صحتها"[2].

فأبو هلال العسكري يُذكّرنا بأن الاستشهاد بالشعر خاصة وبغيره عامة، قد كثُر في كلام العلماء القدامى والمحدثين، والغرض منه توليد المعنى، والشاهد عنده أن تأتي بمعنى من المعاني ثم تعقبه بمعنى آخر يؤكد الأوّل ويوضّحه، ويكون دليلا على صحته.

1 - 2: الفرق بين الاستشهاد والتمثيل والاحتجاج:

---

[1] – أحمد جلايلي،" مراتب النصوص في الاحتجاج النحوي "، ص: 23 ــ24 .

[2] – أبو هلال العسكري، الحسين بن عبد الله بن سهل (ت 395 هـــ)، "الصناعتين: الكتابة والشعر"، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1409 هـــ/ 1989 مـــ، ص: 470.

كثيرا ما تتكرر هذه المصطلحات الثلاثة في الكتب، وبخاصة كتب النحو، وهذه المصطلحات تصبّ في معنى واحد رغم الاختلاف البسيط الذي يراه بعض الباحثين موجودا فيما بينها، وسأحاول أن أقف على معنى كلّ مصطلح على حِدة.

يذكر محمّد عيد أنّ التفريق في المادة اللغوية بين ما يندرج تحت الاستشهاد والاحتجاج، وبين ما يندرج تحت التمثيل يعود إلى نوع النص ومن أنتجه، فإذا كان النص من النوع الذي يُعدّ أساسا للقواعد شعرا ونثرا؛ منسوبا إلى شاعر موثوق به في عصر الاستشهاد، أو إلى قبيلة من القبائل التي وثّقت لغاتها، فهو من النوع الأول؛ أي يندرج تحت ما يُعرف بالاستشهاد أو الاحتجاج[1]؛ ولذلك يجب تقديسه واحترامه، أمّا إذا كان النص مصنوعا أو غير موثق بأن ساقه النحوي بنفسه أو ساقه عمن لا يحتج بكلامهم، فهو "تمثيل" للقاعدة، وهو غير ملزم، وهدفه الإيضاح والبيان فقط.[2]

وكخلاصة، فالتمثيل يُطلق على ما ليس من كلام العرب من النصوص – بمصطلح النحاة – متجاوزا عصر التوثيق للغة، أو مصنوعا للبيان والإيضاح. أما ما يرد تحت الاستشهاد والاحتجاج، فيجب أن يكون من كلام العرب الموثّق .

وأضاف محمد عيد: "الاستشهاد في النحو هو الإخبار بما هو قاطع في الدلالة على القاعدة من شعر أو نثر. أما الاحتجاج في النحو، معناه الاعتماد على إقامة البراهين من نصوص اللغة شعرا أو نثرا [3]، أو هو إثبات صحة قاعدة أو استعمال كلمة أو تركيب بدليل نقليّ صح سنده إلى عربي فصيح سليم السليقة[4].

إذا، فكلّ من الاستشهاد والاحتجاج بهذا المعنى السابق يتلاقيان في مجرى واحد، هو سوْق ما يقطع ويُبرهن على صحة القاعدة أو الرأي، إلا أن التقاء كل من الاستشهاد والاحتجاج في معنى واحد لا

---

[1] – محمد عيد، "الرواية والاستشهاد باللغة: دراسة لقضايا الرواية والاستشهاد في ضوء علم اللغة الحديث"، عالم الكتب، القاهرة، 1972، ص: 101.

2 ــ محمد عيد، " المصدر نفسه "، ص:101 .

[3] – يُنظر: محمد عيد، "الرواية والاستشهاد باللغة"، ص: 102.

[4] – سعيد الأفغاني، "من تاريخ النحو"، ص: 17.

يمنع من وجود فرق بسيط جدا بينهما، وذلك لأن في الاحتجاج يجب أن تتوفر الغلبة للحجة التي يقوم على معناها الاحتجاج. [1]

ويُستعمل لفظ الاحتجاج غالبا في المواقف التي تتطلب المغالبة والجدل؛ بقصد التفوق ونصرة الرأي، كما يغلب استعمال هذا اللفظ ومشتقاته للدّلالة على فصاحة عربي أو هجنته، فيُقال عنه مثلا: "يُحتجّ به"، أو "علماء اللغة يجعلونه حجة"، أو "هذا الشاعر يبدو في أكثر زمانه والعلماء يحتجون بشعره". [2] وعليه فالاستشهاد والاحتجاج يصبّان في معنى واحد، فالإخبار بالقاطع الذي عُرف به الاستشهاد هو نفسه البرهان الذي تقيمه الحجة، وكلاهما في النحو يطلق على توثيق النصوص بالنسبة للعصر والقائل[3].

1 – 3: مناطق الاستشهاد:

لم يكن لعلماء النحو أن يأخذوا اللغة إلا من أفواه فصحاء العرب الموثوق بعربيّتهم، وهؤلاء الفصحاء هم أهل الوبر[4]. يقول ابن جني "علة امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخطل ... ،وكذلك أيضا لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها، وانتفاض عادة الفصاحة وانتشارها لوجب رفض لغتها" [5]. فابن جني وضع حدودا مكانية للاستشهاد بكلام العرب، وقام بحصر هذه الحدود بسكان البادية، ولكنه لم يفصل في ذلك، و لم يذكر لنا القبائل البدوية التي يحتج بكلامها[6]؛ لأنّ اللغات على اختلافها كلّها حجة[7].

لقد فرّق النحاة بين لهجات القبائل التي كانت تتمركز في وسط الجزيرة ولهجات تلك التي كانت تقيم على أطرافها، ويُلاحظ أنّ النحاة اعتنوا عناية خاصة بلغة البادية، وعدّوها مصدر دراسة اللسان العربي الفصيح، ولهذا انكبّوا على دراستها واستخراج أصولها، فلطالما عَدّ علماء اللغة البدوَ حجّة لا يعتورها الشك في جميع مسائل اللغة، وكم من خلاف بين علماء اللغة حول التفسير لصاحب بيت من

---

[1] – محمد عيد، "الرواية والاستشهاد باللغة "، ص: 103.

[2] – محمد عيد، " المصدر نفسه "، ص: 103.

[3] – محمد عيد، " المصدر نفسه "، ص: 103.

4 – يُنظر: عبد الكريم مجاهد، "اللسان العربي"، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005، ص: 187.

5 – ابن جني، "الخصائص"، 2/ 5.

6 – عبد الكريم مجاهد، "اللسان العربي"، ص: 188.

7 – ابن جني، "الخصائص"، 2/ 10.

الشعر، أو حول صحة تعبير من التعبيرات رفعه حكم بدوي حاضر عرضا، مثلما حدث مع سيبويه والكسائي عندما اختلفا في المسألة الزنبورية[1].

فمنذ عصر أبي عمرو بن العلاء كان الاهتمام بالغا بلغة البداة،فقد روي عنه أنه كان يقول: "لا أقول: قالت العرب إلا ما سمعت من عالية السافلة وسافلة العالية"[2]، فسكان هذه المنطقة عاشوا في شبه عزلة عن الاحتكاك الدائم بالأمم المجاورة، فسلمت لغتهم من اللحن والدخيل، إلاَّ في القليل النادر الذي لا يُفسد عليهم لغتهم ولا يُغيرها مثل ألفاظ الحضارة التي تتناقلها الأمم فيما بينها.

لقد عدّ علماء اللغة سكّان نجد والحجاز أفصح العرب وأسلمهم لغة، وأبعدهم عن اللحن والضعيف، فلم تتأثر لغتهم بالمجاورة، و لم تفسد ألسنتهم بالمخاطبة؛ لأنهم فيما بينهم عرب أقحاح في العربية يتحدثون لسانا واحدا[3]، ونُقل عن أبي عمروابن العلاء أيضا أنه كان يحرص على أخذ اللغة من "أشياخ العرب حرشة الضباب في البلاد...،وحياة الكمأة في معاني البداة "[4].

كما تذكر الروايات أيضا أن أبا عمرو كان في مكة أثناء الحج وسُئل عن اشتقاق اسم الخيل فلم يعرف، فمر أعرابي محرم، فسأله أبو عمرو، فقال: "اشتقاق الاسم من فعل المسمى". فلم يعرف من حضر ما أراد الأعرابي. فسألوا أبا عمرو عن ذلك، فقال: "ذهب إلى الخيلاء التي في الخيل"5.

فأبو عمرو بن العلاء حتى وهو متواجد بين القرشيين في مكة، فإنّ نفسه لا تترع به إلى أن يسأل قرشيا مكيا بل يُفضل أن يسأل الأعرابي. لأنّ الأعراب أفصح الشعراء ألسنا وأعربهم أهل السروات [6].فأبو السروات[6].فأبو عمرو كانت له حدوده الزمانية، وكذلك المكانية في الاستشهاد .

---

[1] – يُنظر: يوهان فك (Johan Fuck)، "العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب"، ترجمة: عبد الحليم النجار، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص: 79.

[2] – محمود عكاشة، "علم اللغة: مدخل نظري في اللغة العربية"، دار النشر للجامعات، مصر، ط1، 2006، ص: 137.

[3] – ينظر:محمود عكاشة، "علم اللغة: مدخل نظري في اللغة العربية"، ، ص: 137.

[4] – المعري، أبو العلاء (ت449 هـــ)، "رسالة الغفران"، وضع حواشيه: علي حسين فاغور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001، ص: 161.

[5] – محمد خير الحلواني، "أصول النحو العربي"، ص: 56.

[6] – ينظر: السيوطي، "المزهر في علوم اللغة و أنواعها"، 2/ 366.

ثمّ سار على درب أبي عمرو خلفاؤه من بعده، كيونس بن حبيب(ت182هـ) الذي كان متعلّقا بالأعراب وملازما لرؤبة بن العجاج(ت145هـ)،ومثله فعل الخليل و الكسائي (ت189هـ)، والفراء (ت207هـ) ، وغيرهم من النحاة المتقدمين.

وبعد هذا الجيل صار الأخذ عن البداة مفخرة اللغوي، والأخذ عن غيرهم سبّة تلحق بمنهج الدارس، ولهذا كثيرا ما نجد في المصادر القديمة معلومات تفيد بأن البصريين كانوا دائمي الفخر على نظرائهم الكوفيين. وذلك لكونهم أخذوا اللغة عن الأعراب حرشة الضباب وأكلة اليرابيع، بينما أخذ الكوفيون عن أكلة الشوارىز وباعة الكواميخ[1].أما عن أحوال هؤلاء البداة المحتج بلغتهم، فخيرهم من كان أعمق في التبدي وألصق بعيشه البادية، ولعل أحسن من قدّم وصفا لهؤلاء البداة وأحوالهم، هو أبو نصر الفارابي (ت339هـ)؛ الذي يقول :"وكانت صنائع هؤلاء التي بها يعيشون الرعاية والصيد واللصوصية، وكانوا أقواهم نفوسا وأقساهم قلوبا وأشدّهم توحشا، وأمنعهم جانبا، وأشدهم حمية، وأحبهم لأن يغلبوا ولا يُغلبوا، وأعسرهم انقيادا للملوك، وأجفاهم أخلاقا، وأقلهم احتمالا للضيم والذلة"[2].

كما يفضل الفارابي أن تؤخذ اللغة عن البداة الغارقين في بداوتهم؛ وذلك لالتصاق هؤلاء بالموروث وتمسكهم به، في حين يجنح أهل المدر إلى التملّص من القديم والخوض في كل جديد، ويبدو هذا في قوله: "ولما كان سكان البرية في بيوت الشعر أو الصوف والخيام والأحسية من كل أمّة أجفى، وأبعد من أن يتركوا ما قد تمكن بالعادة فيهم، وأحرى أن يحصنوا نفوسهم عن تخيّل حروف سائر الأمم وألفاظهم وألسنتهم عن النطق بها، وأحرى أن لا يُخالطهم غيرهم من الأمم للتوحش والجفاء الذي فيهم. وكان سكّان المدن والقرى وبيوت المدر منهم أطبع، وكانت نفوسهم أشد انقيادا لتفهم ما لم يتعودوه، ولتصوره وتخيّله، وألسنتهم للنطق بما لم يتعوّدوه، كان الأفضل أن تؤخذ لغات الأمة عن سكان البراري منهم، متى كانت الأمم فيها هاتان الطائفتان"[3].

ونظرا للحرص الشديد الذي عُرف به نحاتنا القدماء فيما يخص اللغة المحتج بها، فقد قاموا بتقسيم لغة البادية إلى أقسام؛ أي راعوا القبائل المأخوذ عنها تبعا لمواقعها الجغرافية، وذلك لأنهم رأوا أنّ لغة سكان وسط أو قلب شبه الجزيرة العربية، مثل: هوازن، هذيل، كنانة، ثقيف، تميم وأسد وطيء وقيس، هم الذين أوتوا من جفاء الطبع وتوحّش النفس، وغلظ البيئة ما يجعلهم منعزلين أو كالمنعزلين، لذلك فإن

---

[1] – يُنظر: سعيد الأفغاني، "في أصول النحو"، ص: 24، وينظر: محمد خير الحلواني، "أصول النحو العربي"، ص: 57.

[2] – يُنظر: السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 57 .

[3] – أبو نصر الفارابي، "الحروف"، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت ــ لبنان، ص: 146.

لغتهم بدون شك ستبقى محافظة على فصاحتها وبنائها وإعرابها، وأما سكان الأطراف الذين يعيشون على تخوم أمم أعجمية فإنّ لغتهم قد تأثرت بلغة تلك الأمم، وبالتالي لم يأخذ النحاة منها مادتهم[1].

وقد أخذ الفارابي على عاتقه أمر تحديد القبائل البدويّة الفصيحة التي حصرها بقوله: "متى تأمّلت أمر العرب في هذه الأشياء، فإنّ فيهم سكّان الأمصار، وأكثر ما تشاغلوا بذلك من سنة تسعين إلى سنة مائتين، وكان الذي تولى ذلك من بين أمصارهم أهل الكوفة والبصرة من أرض العراق، فتعلّموا لغتهم، والفصيح منها من سكّان البراري منهم دون أهل الحضر، ثم من سكان البراري من كان في أوسط بلادهم، ومن أشدّهم توحّشا وجفاء وأبعدهم إذعانا وانقيادا، وهم: قيس، وتميم، وأسد، وطيّ، ثم هذيل، فإنّ هؤلاء هم معظم من نُقل عنه لسان العرب، والباقون فلم يؤخذ عنهم شيء؛ لأنهم كانوا في أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم المطيّفة بهم من الحبشة والهند والفرس والسريانيين، وأهل الشام و مصر"[2].

وبعد الاطلاع على نص الفارابي يمكنني أن أقف على نقطتين مهمتين، وهما:

أولا: إنّ اللغة قد أُخذت عن مجموعة من القبائل، واعتمدت في كشف غريب اللغة وفي التصريف، وقيس على مسموعها في الإعراب، وهذه القبائل هي: تميم وقيس وأسد، وبعض كنانة، وبعض الطائيين.[3]

ـــ ثانيا: تمّ استثناء باقي القبائل، و لم يُؤخذ بلغتها، فبعضها كانت متاخمة لأمم أجنبية أحاطت بجزيرة العرب، منها: الفرس،الأنباط والبيزنطيين، والأحباش، وبعضها خالطت الأجانب بواسطة التجارة أو المجاوَرة، ومنها: بنو حنيفة، وسكان اليمامة، وثقيف والطائف، فقد كانت لديهم تجارة مع أهل اليمن المقيمين عندهم، ومنها كذلك أهل الحجاز؛ الذين اختلطوا بغيرهم من الأجانب في المواسم المشهورة عندهم.[4]

وهكذا فإن قائمة القبائل التي حدّدها الفارابي قُيّدت بحسب إيغالها في البداوة وابتعادها عن العجمة، أما ابن خلدون فأضاف قيدا آخر، و هو اقتراب القبيلة من قريش، فقال:" ولهذا كانت لغة

---

[1] – يُنظر: عبد الجليل مرتاض، "اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي"، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص: 45.

[2] – الفارابي، "الحروف"، ص: 147.

[3] – مرتاض عبد الجليل، "الفوارق النحوية بين اللهجات العربية الفصيحة"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 1982، ص: 70.

[4] – مرتاض عبد الجليل، "الفوارق النحوية بين اللهجات العربية الفصيحة"، ص: 70.

قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم، ثمّ من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني أسد وبني تميم، وأما من بَعُد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وإياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الأعاجم، وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية[1].فعلماء العربية أسسوا فصاحة القبيلة على دعامتين:

الأولى: مقدار قرب مساكنها من مكة وما حولها، والثانية مقدار توغّلها في البداوة؛

لذلك نجدهم يعتزّون بلغة القبائل الحجازية بوجه عام، وقبائل نجد ووسط الجزيرة، ويرفضون الأخذ عن القبائل التي كانت مساكنها في أطراف الجزيرة وعلى حدودها، كما وجدناهم يعتزون اعتزازا كبيرا بلغة القبائل المتوغّلة في البداوة، ونلحظ هذا في احتكامهم في مسائل اللغة إلى الأعراب الوافدين إلى الأمصار أيا كانت ثقافتهم أو مركزهم الاجتماعي؛ اعتقادا منهم أنّ هؤلاء الأعراب قد انعزلوا عن البيئات المتحضرة التي فسدت لغتها، وبالتالي قد حافظوا على سلامة لسانهم من كل ما يمكن أن يلحق به من عجمة أو لحن، أمّا الأعرابي الذي كان يبتعد عن قبيلته ليعيش في الحضر لبعض الوقت، ثم يُسأل في مسألة لغوية ويجيب بما يعرف أو بما يخالف ما يتوقّع منه، كان السائل من العلماء يقول له: هيهات أبا فلان لان جلدك، مثلما حدث مع ذلك الأعرابي الذي يدعى أبا خيرة حينما جاءه أبو عمرو بن العلاء سائلا عن أمر نحويّ[2]، أو ربما كما تذكر بعض المصادر لم يكن غرض أبي عمرو بن العلاء من وراء سؤاله لأبي خيرة أن يحصل منه على معلومة يجهلها، وإنما كان يريد أن يمتحن لسانه العربي الفصيح، ومدى سلامته بعد اختلاطه بأهل الحضر[3].

وإذا عدنا إلى "الكامل في اللغة و الأدب"، فإنّنا نجد كلاما يُفهم منه بعض الشروط التي تواضع عليها علماء العربية واتفقوا على وجوب توفّرها في القبائل المأخوذ عنها: قال المبرد: " قال معاوية يوما: من أفصح الناس؟ فقام رجل من السماط فقال: قومٌ تباعدوا عن فراتية العراق، وتيامنوا عن كشكشة[4] تميم، وتياسروا عن كسكسة[5] بكر، ليس فيهم غمغمة[6] قضاعة ولا طمطمانية[1] حمير، فقال معاوية: من

---

[1] – ابن خلدون، "المقدمة"، ص: 631.

[2] – سبق ذكر هذه القضية في موضع سابق.

[3] – يُنظر: إبراهيم أنيس، "في اللهجات العربية"، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، ص: 45-46.

[4] – الكشكشة: كانت تميم تبدل كاف المؤنث شينا. ابن عبد ربه الأندلسي، "العقد الفريد ، 2/ 477.

[5] – الكسكسة: كان بعض البكريين يبدلون الكاف سينا كما فعل التميميون في الشين، ابن عبد ربه، "العقد الفريد"، 2/ 477.

[6] – الغمغمة: هي صوت من لا يفهم تقطيع حروفه، ينظر: ابن عبد ربه، "المرجع نفسه"، 2/ 476.

أوليك؟ فقال: قومي يا أمير المؤمنين، فقال معاوية: من أنت؟ قال: أنا رجل من جَرْمٍ، قال الأصمعي، وجرم من فصحاء الناس"[2].

ويبدو أنّ الشروط والحدود الموضوعة التي حدّدت القبائل المأخوذ عنها من وضع البصريين، وأنّها خاصّة بالنثر من كلام العرب، و لم يفرّقوا بين اللغة الأدبية واللهجات الخاصة [3].أما الكوفيون فلم يكن لهم قائمة محدّدة، فاللغات على اختلافها كلها حجة ، فكأنهم سبقوا ابن جني في مقولته تطبيقا[4]، فالكسائي "كان يسمع الشاذّ الذي لا يجوز إلاَّ في الضرورة، فيجعله أصلا ويقيس عليه، فأفسد بذلك النحو"[5].وهذا ما أكّده سعيد الأفغاني بقوله: "جعلوا من عدم المنهج في سماعهم منهجا خاصا لهم، فسمعوا الشاذ واللحن والخطأ، وأخذوا عمن فسدت لغته من الأعراب وأهل الحضر، حتى أصبحت لهم قواعد بعدد ما جمعوا من الشواهد"[6]، فكان الشاهد أو المثال هو الأصل الذي يبنون عليه بغضّ النظر عن قائله[7].

إذا، فكل ما تقدم ذكره كان يخص النحاة الأوائل؛ الذين أصلوا وقعدوا للغة العربية، أما فيما يخص النحاة المتأخرين فقد تمسكوا بتصنيف الفارابي وعدّوا الخروج عنه عيبا، من ذلك أن ابن مالك عندما اعتمد لغات لخم وجذام وغسان تعقّبه أبو حيان باللوم والنقد، فقال في شرح التسهيل: "ليس ذلك من عادة أئمة هذا الشأن"[8].

1 – 4: عصر الاستشهاد:

قضية الزمان والمكان في موضوع الاستشهاد باللغة من أخطر وأصعب القضايا، وهي جديرة بالنظر والاعتبار لما ترتب عليها من آثار في الدراسة، فالمعروف عن علماء العربية أنهم قاموا بوضع علامتين فاصلتين في مسار اللغة، بحيث تقف كل من هاتين العلامتين حدّا يحجز أمامه نشاطا لغويا سمح له

---

[1] – الطمطمانية: أن يكون الكلام مشابها لكلام العجم، ابن عبد ربه، "المرجع نفسه"، 2/ 477.

[2] – المبرد، أبو العباس بن محمد بن يزيد (ت 285 هـ)، "الكامل في اللغة والأدب"، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2/ 238، و الخبر نفسه نقله لنا صاحب العقد الفريد ولكن برواية مختلفة، ابن عبد ربه، "العقد الفريد"، 2/ 475 – 476، و ينظر: الجاحظ،" البيان و التبيين"، 3/135 ــ 136.

[3] – يُنظر: عبد الكريم مجاهد، " علم اللسان العربي"، ص: 190.

[4] – يُنظر: عبد الكريم مجاهد، "المرجع نفسه"، ص: 190.

[5] – السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، 2/ 184.

[6] – يُنظر: سعيد الأفغاني، "من تاريخ النحو"، ص: 71.

[7] – عبد الكريم مجاهد، "علم اللسان العربي"، ص: 190.

[8] – السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 57 .

بالدخول إلى مجال الدراسة، كما يجيء بعده نشاط آخر لم يسمح له بذلك. وبهذا العمل يكون العلماء قد قاموا بتقييد عصر الاستشهاد[1]. فدرسوا اللغة العربية في القرن الثاني الهجري، وما تلاه دراسة دقيقة ومنظّمة، والمشهور عن هؤلاء العلماء أنهم قد توقّفوا مرتين أمام مادة الدراسة، كانت أولاهما حول منتصف القرن الثاني الهجري، فقبلوا كل ما كان قبل ذلك، سواء أكان شعرا أم نثرا، عن البدو أم عن الحضر، فرغم طول هذا العصر الذي يمتد قرنا ونصف قرن في الإسلام، وربما امتد قرونا[2]، قبل ذلك في الجاهلية اعتبرت المادة المروية منه كلها وسيلة صالحة للدراسة، ومن الواضح أن معظم ما روي عن هذه الفترة الطويلة قد عاصره العلماء فعلا، أو نقل إليهم بالمشافهة والكتابة؛ إذ أُخذ في الاعتبار أنّ أوّل من يعتد به من الرواة العلماء: أبو عمرو بن العلاء، وحماد الراوية (ت 155 هـ)، ثم توالى الدارسون والرواة من بعدهما، فإلى نهاية حياتهما تقريبا اعتبر كلّ ما ورد إليهما منقولا عن زمن بعيد سابق[3].

وإذا عدنا إلى الكتب التي تناولت موضوع الاستشهاد ، نجدها تضع له حدودا زمانية وأخرى مكانية، وكلّما تحدّثت هذه المؤلفات عن الفترة الزمنية المحددة للاستشهاد اللغوي إلاَّ ونجدها قد رسمت هذه الحدود الزمانية للشعر فقط دون النثر، كما أنها رسمت الحدود المكانية للنثر أكثر من كونها للشعر؛حيث اهتم اللغويون ببيان أسماء القبائل التي يؤخذ عنها القول، والخطبة، والمثل، والحكمة، بينما اهتموا في الحدود الزمنيّة بتوزيع الشعراء وتقسيمهم إلى طبقات؛ مراعين الفترات الزمنية التي عاشوا فيها دون العناية والاهتمام بذكر القبائل ومواطنها[4]. وربما هذا ماتسبّب في وجود خلط بين اللهجات والعصور والطبقات؛ لذلك نجد النحاة يستشهدون بشعر لشعراء من عدّة بيئات في الجزيرة العربية من جميع جهاتها، فاستشهدوا بشعر امرئ القيس في جنوب الجزيرة، وعمر بن أبي ربيعة(ت93هـ) من المدينة، واستشهدوا بشعر عديّ بن زيد(ت35ق.هـ)؛ الذي عاش في بلاط كسرى، وأبي دؤاد الإيادي؛ الذي كانت تعيش قبيلته على تخوم دولة الفرس في شمال الجزيرة، وكذلك استشهدوا بشعر مجهول القائل.فعلماء العربية استشهدوا بكل نظم من شعر كان قائله ينتمي إلى أيّ رقعة من رقع الجزيرة العربية[5].

---

[1] – يُنظر: محمد عيد، "الرواية والاستشهاد باللغة "، ص: 148.

[2] – يُنظر: محمد عيد، " المصدر نفسه "، ص: 149.

[3] – يُنظر: محمد عيد،" المصدر نفسه "، ص: 149.

[4] – يُنظر: عبد الكريم مجاهد، "اللسان العربي"، ص: 191.

[5] – عبد الكريم مجاهد، "اللسان العربي" ، ص: 191 ــ 192.

وقد حُددت الفترة الزمنية للاستشهاد بـــ 150 هـــ فيما يخص البيئة الحضرية، أو بنهاية القرن الثاني الهجري، أما فيما يخص البيئات البدوية، فقد حُدّدت الفترة الزمنية لها بـــ 350 هـــ، أو بأواخر القرن الرابع الهجري[1]. وعندما قام العلماء بتحديد عصر الاستشهاد، فإنهم قد أجمعوا على عدم الاستشهاد بكلام المولّدين والمحدثين، وأوّل هؤلاء الشعراء المحدثين: بشار بن برد (ت 197 هـــ) ونقل ثعلب عن الأصمعي قال: ختم الشعر **بإبراهيم بن هرمة**(ت152هـــ)، وهو آخر الحجج[2].

وقد قسم العلماء الشعراء إلى طبقات أربع من أجل تحديد المستشهَد بشعره، و سآتي على ذكر هذه الطبقات لاحقا ، أمّا فيما يخص الفترة الزمنية التي يصحّ استقراء لغتها، فقد قرّر أوائل النحاة أنّها تمتدّ من القرن الرابع قبل الهجرة إلى الرابع بعدها؛ لذلك استشهدوا بكلام **الزباء** (ت358هـــ) و**جذيمة الأبرش**(ت366هـــ)، **وأعصر بن سعد**. كما استشهدوا أيضا بكلام **عمارة بن عقيل**(ت239هـــ) **وأبو عبد الله الشجري**، ومن عاصرهما من أعراب القرنين الثالث والرابع .[3]

فمن الطائفة الأولى التي تمثل الجاهلية المتقدمة: آخذ أعصر بن سعد أنموذجا ، فقد استشهد ابن جني ببيت له، وذلك للتدليل على أصالة همزة "أعصر" وإبدال الياء منها في قول القائل: "باهلة بن أعصر ويعصر"، فقال: "وأما أعصر، فهمزته هي الأصل، والياء في يعصر بدل منها [4]، يدل على هذا أنّه إنما سمي بذلك لبيت قاله، وهو[5]:

أَبُنَيَّ إنّ أباك شَيَّبَ رَأْسَهُ كَرُّ الليالي وَاخْتِلافِ الأَعْصُرِ .

فالياء في "يعصر" إذا بدل من همزة أعصر[6].

---

[1] – عبد الكريم مجاهد ، "المرجع نفسه "، ص: 192 .

[2] – يُنظر: السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 70.

[3] – يُنظر: سيبويه، "الكتاب"، 3/ 80، ويُنظر: المبرد، " الكامل في اللغة والأدب "، 77/1، 78، 224، 228، 232، و"المقتضب"، 2/ 381/13.2، وابن جني، "الخصائص"، 1/ 178، 130/2 ،3 / 182، و ابن جني، "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها"، تحقيق: علي النجدي، ناصف عبد الحليم النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، 1415 هـــ، 1994 مـــ ،1/ 134، ويُنظر: محمد خير الحلواني، "أصول النحو العربي"، ص: 60.

[4] – ابن جني، "الخصائص"، 3/ 181.

[5] – ابن جني، المصدر نفسه "، 181/3، والزمخشري، جار الله بن محمود بن عمرو(ت538هـــ)، أساس البلاغة، تحقيق: مزيد نعيم وشوقي المعرّي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1998، مادة: [ع ص ر]، ونسب البيت لمنبِّه بن سعد ين قيس عيلان، ص: 548 .ونسبه ابن منظور لباهلة بن أعصر بن سعد ، لسان العرب، مادة: [ع ص ر]، 581/4 .

[6] – ابن جني، "الخصائص"، 3/ 181.

أما بالنسبة للطائفة المتأخرة من الشعراء المحدثين، فنأخذ كنموذج عمارة بن عقيل ؛ الذي استشهد المبرد بقوله: [1]

فإني امْرُؤٌ مِنْ عُصْبَةٍ خِنْدِقِيَّة أَبَت للأَعادي أَنْ تذيخَ رِقَابُها.

وذلك لبيان المراد من الأعناق في قوله تعالى: **[فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ]** [2]، فرأى المبرّد أنّ المراد بالأعناق الرقاب؛ لأن الخضوع لا يكون إلا بها. ومن ذلك قول الناس "ذلّت عنقي لفلان"، و"ذلّت رقبتي لك". [3]

لا شك في أنّ المطّلع على منهج النحاة في استقرائه م للغة المعتدّ بها يكتشف بوضوح طغيان التقسيم المكاني على التقسيم الزماني، لأن النصوص الجاهلية القديمة، إنما نقلت عن أعراب القرون الإسلامية المعاصرة للنحاة، وكان نقلها عنهم هو الحجة في صحّتها وسلامة لغتها وفصاحتها[4].

وعلى الرغم من طول وامتداد الفترة اللغوية في تاريخ الاستشهاد والاستقراء إلا أنّنا نسجّل ندرة الشواهد المحصل عليها من القرنين المتباعدين في الزمن إذا ما قيس ذلك بالشواهد المجموعة من قرني الوسط،ومن هنا نجد عناية النحاة بلغة الفرزدق(ت110هـ) وجرير (ت 28 هـ) والأعشى وامرؤ القيس تفوق عنايتهم بلغة جذيمة الأبرش وعمارة بن عقيل وأبي عبد الله الشجري5.

ومع هذا نجد النحاة مضطربين في تحديد مرحلة الحداثة، وذلك لكونهم لم يستطيعوا وضع ميزان دقيق يُحدّدون بواسطته هذه الفترة التي لا يجوز الاستشهاد بلغة شعرائها. فأبو عمرو بن العلاء مثلا يُجيز الاستشهاد بشعر عمرو بن أبي ربيعة ويجعله حجّة، ثم يرى أنّ معاصريه أمثال جرير والفرزدق والأخطل محدثون[6]. ونحا نحوه تلميذه الأصمعي الذي عدّ **الطرماح**(ت125هـ) و**الكميت**(ت126هـ) مولّدين غير فصيحين[7].ويعدّ **ابن هرمة وابن ميادة**(ت136هـ) و**طفيل الكناني** فصحاء يصحّ الاستشهاد بلغتهم [8]. إنّ

---

[1] – البيت من بحر الطويل لعمارة بن عقيل ، يُنظر: المبرد ، "المقتضب"،4/ 458.

2 ــ الآية:04 من سورة الشعراء .

3 ــ المبرّد، "المقتضب"، 4/ 458.

[4] – يُنظر: محمد خير الحلواني، "أصول النحو العربي"، ص: 60.

[5] – يُنظر: محمد خير الحلواني، "أصول النحو العربي "، ص: 60.

[6] – الجاحظ، "البيان والتبيين"، 1/ 321، والأصفهاني، "الأغاني"، 8/ 285.

[7] – المرزباني، "الموشّح"، ص: 245.

[8] – محمد خير الحلواني، "أصول النحو العربي"، ص:66 .

هذا الاضطراب في تحديد مرحلة الحداثة مردّه إلى هيمنة المكان على عقل النحاة، فالأعرابي الفصيح في نظرهم هو الذي عاش في البادية، وقلّ اختلافه

إلى المدينة سواء أكان من القرن الأوّل أم الثالث للهجرة؛ لأنّ مئتي سنة في حساب النحوي لا تصنع شيئا مادام الفصيح محافظا على أعراف العربية، وجفاء البادية، أمّا إذا لان جلده للحضارة فإنه سيكون غير جدير بالاستشهاد؛ لأن لين الجلد، والتنعّم بأسباب الحضارة يؤدّيان إلى الاستجابة غير المحمودة للغة الفاسدة في المدن[1].

وقد وقف النحاة بعد سيبويه مواقف متباينة من لغة المرحلة العباسية واختلفوا في

جواز الاستشهاد بالمولّدين أمثال أبي نواس، وأبي تمام، والبحتري. أما سيبويه فنجده قد استشهد بابن ميادة وبأبي حية النميري(ت158 هـــ) وبابن هرمة(ت152هـــ)، ولكنه لم يتعدّ هذه المرحلة؛ لأنه توفي سنة 180 هـــ [2].

إن الذي دفع سيبويه إلى الاستشهاد بلغة هؤلاء البداة هو كون لغتهم بعيدة عن لغة المدينة، فلغتهم تعتبر من الفصحى القديمة؛ التي لم يكن لها من الظروف ما يضعها في امتحان قاس من التعامل مع اللغات الأجنبية كالذي جرّبته الفصحى العباسية، فقد كانت تلك الزيادة في التعامل مع اللغات الأجنبية في العصر العباسي هي التي دفعت النحاة إلى أن يُعلِنوا انقضاءها ومنع الاحتجاج بكلام العرب من بعدها عليها[3]. وأبو نواس (ت 198هـــ) وأبو تمام(ت231هـــ) والبحتري(ت284هـــ) والمتنبي(ت354هـــ) عاشوا في ظل ظل تلك اللغة؛ التي كانت في العصر العباسي؛ لذلك انصرف النحاة عن الاستشهاد بلغة هؤلاء إلا ما جاء في كتبهم عرضا[4]. وهو لا يقرى لما استشهدوا به من لغة الشعراء البداة.

غير أنّ الزمخشري ذهب مذهبا خاصا خالف فيه معاصريه؛ حيث استشهد بشعر أبي تمام، ثم جاء خلفاء الزمخشري فساروا على نهجه، واستشهدوا بشعر أبي تمام والمتنبي، كما نجد في تراث ابن هشام .وهذا يعني أنّ المتأخرين من النحاة كانوا متساهلين في شواهدهم مقارنة بالقدماء، وذلك راجع لا محالة لسبب مهم، وهو بُعدهم عن عصور المشافهة وأيام الفصاحة[5].

---

[1] – محمد خير الحلواني، " المصدر نفسه"، ص: 61.

[2] – محمد خير الحلواني، " أصول النحو العربي "، ص:61.

[3] – يُنظر: تمام حسان، "اللغة بين المعيارية والوصفية"، مكتبة الانجلو مصرية، مصر، (د.ط)، 1958، ص: 189.

[4] – محمد خير الحلواني، "أصول النحو العربي"، ص: 62.

[5] – محمد خير الحلواني، "أصول النحو العربي"، ص: 62.

2: مصادر الاستشهاد عند نحاة الأندلس:

رأيت أن يكون ترتيبي لمصادر الاستشهاد حسب ما يتطلّبه موضوع بحثي، فبدأت بكلام العرب من شعر ونثر، ثم القرآن الكريم من المهم إلى الأهمّ، وجعلت الحديث النبوي الشريف في الرتبة الثالثة حتى يتسنى لي التفصيل فيه بما أنّه المحور الأساس في بحثي .

2 ــ 1:كلام العرب : ويُقصد به كلام من يُستشهد بقوله من العرب الفصحاء:

جاهليين وإسلاميين؛ ممن عُرفوا بفصاحتهم وبيانهم، ويُقسّم كلام العرب إلى نوعين:

كلام منظوم؛ وهو الشعر، وكلام منثور؛ وهو النثر وما يدخل تحته من خطب وأمثال وحكم وأقوال مأثورة، ويدخل فيه أيضا كلام أهل البادية ممن لم يخالطوا الأعاجم و لم يسكنوا الحضر، و لم تضعف ملكتهم و لم تَنْقَد لضعيف اللغة[1].

وقد طرح اللغويون كلام المولّدين جانبا و لم يستشهدوا به في قواعدهم النحوية، يقول أبو حيان النحوي الأندلسي:"وكيف يُستشهد بكلام من هو مولد، وقد صنّف الناس فيما وقع له من اللحن في شعره"[2].وذكر الثقاة أنّ آخر من يُحتج بشعره هو ابن هرمة[3].

لقد استطاع علماء العربية أن يجمعوا تراث الجاهلية ويُدونوه، ولكن هذا التراث لا يصل مداه في الجاهلية أكثر من مائتي عام قبل الإسلام تقريبا، وما قبل ذلك لم يصلنا منه شيء ذو قيمة في البحث اللغوي، فقد ضاع الكثير من هذا التراث، و لم يبق منه إلا ما حُفظ في صدورهم، وتوارثوه حتى دون في الإسلام في القرن الثاني الهجري والثالث وهو قليل جدا قياسا بما فُقِد[4].قال أبو عمرو بن العلاء "ما انتهى إليكم مما قاله العرب إلا أقُلّه"[5] .

2 – 1 – 1: الشعر:

---

[1] – يُنظر: محمود عكاشة، "علم اللغة: مدخل نظري في علم اللغة العربية "، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، 1428 هـــ، 2007 مـــ، ص: 136.

[2] – أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف الغرناطي (ت 745 هـــ)، " تفسير بحر المحيط"، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، زعلي محمد معوّض، دار الكتب العلميّة، بيروت ــ لبنان، ط1، 1413 هـــ، 1993 مـــ، 1/ 91.

[3] – يُنظر: التواتي بن التواتي، "محاضرات في أصول النحو"، دار رويغي للنشر، الأغواط، الجزائر، ط1، (د.ت)، ص: 106.

[4] – محمود عكاشة، "علم اللغة: مدخل نظري في علم اللغة العربية"، ص: 136.

[5] - السيوطي، "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، 1/ 204.

2 -1- 1-1: أهمّية الشعر: لا شك أنّ كل مطّلع على كتب النحو العربي إلا ويلاحظ ظاهرة تتكرّر، وهي اعتماد الشعر، إذ يكاد يكون وحده الشاهد الغالب في دراسات النحاة المتقدمين والمتأخرين، وذلك باستثناء "ابن مالك" الذي اعتمد الحديث، و"أبو حيان النحوي"؛ الذي اهتم بإيراد الكثير عن لغات القبائل في كتابه "ارتشاف الضرب من كلام العرب"، وابن هشام الذي اهتم كثيرا بنصوص القرآن[1].

لقد احتلّ الشعر في القديم مكانة مرموقة في حياة العربي، فقد صنّفه عمر بن الخطاب ضمن أعلى الدرجات في قوله: "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه" [2]وقد قال عنه ابن خلدون: "اعلم أن الشعر كان ديوانا للعرب، فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم وكان رؤساء العرب منافسين فيه"[3].

فقد عرف الشعر في حياة العرب القدامى انتشارا واسعا في حياتهم؛ لسهولة حفظه، وسرعة دورانه بين العرب وقوة تأثيره؛ لما فيه من جزالة اللفظ وإيجازه، وحلاوة موسيقاه وأثرها في النفس[4].فالشاعر في ذلك العصر كان يمثل لسان قبيلته وقومه. والعرب اهتموا كثيرا بالشعر وحفظوه في صدورهم قبل أن يعرفوا عملية الكتابة، فقد رُوي عن المازني أنه قال: قلت للأصمعي: إنك تحفظ من الرجز ما لا يحفظه أحد فقال إنه كان همنا وسدمنا*[5].

ولمكانة الشعر العالية عند العرب نجد الصحابة رضوان الله عليهم يستعينون به إلى جانب كلام العرب المنثور في تفسير القرآن الكريم ، فقد كان الشعر معجمهم الأثير في فهم معانيه [6]. فها هو ذا عمر رضي الله عنه يقرأ في يوم من الأيام على المنبر قوله تعالى: ﴿**أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[7] ، ثم سأل عن التخوّف فذكر له رجل من هذيل قول الشاعر[8]:

---

[1] – يُنظر: محمد عيد، "الرواية والاستشهاد"، ص: 138، ويُنظر: سعيد الأفغاني، "في أصول النحو"، ص: 59.

[2] – ابن رشيق القيرواني،"العمدة في محاسن الشعر وآدابه، 1/ 86، ويُنظر: ابن سلام الجمحي،"طبقات الشعراء"، ص: 10.

[3] – ابن خلدون عبد الرحمن، "المقدمة"، ص: 660.

[4] – يُنظر: محمود عكاشة، "علم اللغة: مدخل نظري في علم اللغة العربية"، ص: 142.

* – سدمنا: حرصناو همّنا.

[5] – يُنظر: أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، ص: 67.

[6] – محمود عكاشة، "علم اللغة: مدخل نظري في علم اللغة العربية"، ص: 143.

[7] – الآية: 46 من سورة النحل .

[8] – القالي، "كتاب الأمالي"، 112/2، وروايته:

تَخَوَّفَ السَّيْرُ مِنْها تامِكا قَرِداً

تَخوَّفَ الرَّجُلُ مِنْها تامِكا قَرِداً كَما تَخوَّفَ عودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ .

فقال عمر: "أيها الناس عليكم بديوانكم لا تضلوا، قالوا: ما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية؛ فإنّ فيه تفسير كتابكم."[1]، وقال ابن عباس (ت 68 هـ): "إذا سألتموني عن غريب القرآن،فالتمسوه في الشعر، فإنّ الشعر ديوان العرب"[2]. وقال سعيد بن جبير ويوسف بن مهران سمعنا ابن عباس يسأل عن الشيء بالقرآن فيقول فيه هكذا وهكذا، أما سمعتم الشاعر يقول كذا كذا[3]. أما ابن فارس (ت 395 هـ) فلا يخالف من سبقه من علماء العربية في رأيهم، فيرى أن "الشعر حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله جل ثناؤه، وغريب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحديث صحابته والتابعين"[4] وتُشير المصادر إلى أن عبد الله بن عباس رضي الله عنه ترجمان القرآن، أوّل من توسّع في الاستشهاد بالشعر في فهم معاني القرآن[5]، وقد نقل لنا السيوطي تلك المناظرة التي جرت بين الصَّحابي الجليل حبر الأمة ترجمان القرآن عبد الله بن العباس وبين نافع بن الأزرق[6].

وقد روى عنه كثير من التابعين بعض المعاني التي فسّرها وتمثل فيها بالشعر، فروى عكرمة بن عباس: "أن رجلا سأله عن قول الله عز وجل **[وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ]**[7] قال: "لا تلبس ثيابك على غَدْر" وتمثل بقول غيلان الثقفي[8]:

ونسب إميل بديع يعقوب البيت لابن مقبل، "المعجم المفصّل في شواهد اللغة العربية "، دار الكتب العلميّة، بيروت ــ لبنان، ط 1، 1996، 117/8 . والبيت لذي الرمة، " الديوان "، شرح الخطيب التبريزي، تقديم: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت ــ لبنان، ط2، 1416هـ/1996هـ، ص: 649 .

[1] – يُنظر: الزمخشري(ت538هـ)، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، مكتبة العيكان ــ الرياض،1998،3/439.

[2] – ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: براجستراسر،لبنان، ط 1، 1427/2006، 2/382، والقرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري،" الجامع لأحكام القرآن"، تحقيق: أحمد البردويني، و إبراهيم الطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384/1964،1/24 .

[3] – القرطبي، " الجامع لأحكام القرآن" ، 1/24 .

[4] – ابن فارس، "الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها"، تحقيق: أحمد حسن شيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص: 212.

[5] – يُنظر: الجاحظ، "البيان والتبيين"، 1/ 84.

[6] – السيوطي، "الإتقان في علوم القرآن"، 1/ 347 ،377.

[7] –الآية: 04 من سورة المدثر .

[8] – محمود عكاشة، "علم اللغة: مدخل نظري في علم اللغة العربية"، ص: 144.

فأني بحمد الله لا ثوب غادر ليست ولا من سوءة أتقنع .

يتبيّن مما تقدّم أنّ الشعر ازدادت أهميته عند العرب بعد نزول القرآن الكريم؛ لأنه سجل لنا كثيرا من اللهجات العربية قبل الإسلام .

2 – 1 – 1– 2 :منزلة الشعر في الاستشهاد:

وقف اللغويون على هذا الشعر الذي اعتبر من أهم الينابيع للشواهد اللغوية والنحوية، ولا خلاف في الاستشهاد به؛ حيث مثلت الشواهد الشعرية غالبية كتبهم ومؤلّفاتهم اللغوية .[1]

وللشعر مزايا كثيرة، من بينها أنه يُعدّ من أهم الشواهد التي يُقاس عليها في بناء القواعد النحوية واللغوية وغيرهما. يقول ابن الأثير: "وأما الذي نقلد العرب فيه من الألفاظ؛ فإنما هو الاستشهاد بأشعارها على ما ينقل من لغتها، والأخذ بأقوالها في الأوضاع النحوية في رفع الفاعل ونصب المفعول وجر المضاف إليه، وجزم الشرط، وأشباه ذلك، وما عداه فلا"[2].

وحالة الشعر لم تكن لتختلف كثيرا عن باقي أصول اللغة كالقراءات والحديث النبوي الشريف، فحين أقبل الدارسون عليه لم يكن كله هيئا لديهم، فقد ضاع أكثره قبل أن يجمع، وذلك كما يبدو في قول ابن سلام الجمحي "كان الشعر علم قوم، لم يكن لهم علم أصح منه، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم، ولهيت عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يئلوا إلى ديوان مدوّن، ولا كتاب مكتوب، فألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقلّ ذلك، وذهب عنهم منه أكثره"[3]. أكثره"[3]. وهذا ما تؤكّده أقوال كثير من العلماء[4].

وعلى الرغم من هذه القلة القليلة التي وصلتنا من الشعر، فإن علماء النحو قد تشددوا فيما يخص هذه المادة اللغوية، فلم يأخذوها كلها، بل وقفوا منها موقفا صارما، إذ اشترطوا في الكلام الذي يُستشهد

---

[1] – يُنظر: حمودي زين الدين عبد المشهداني، "الدراسات اللغوية خلال القرن الرابع الهجري"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص: 20.

[2] – ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الموصلي(ت637هـ)، "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميدالمكتبة العصرية، صيدا ــ بيروت، دط، 1444/1990، 157/1 .

[3] – بن سلام الجمحي (ت 231 هـ)، "طبقات فحول الشعراء: مع مقدمة تحليلية للكتاب ودراسة نقدية منذ الجاهلية إلى عصر بن سلام"، ص: 10، ويُنظر: السيوطي، "المزهر في علوم اللغة"، 1/ 203 ــ204.

[4] – ا بن سلام الجمحي "طبقات فحول الشعراء "،ص10، والسيوطي،"المزهر في علوم اللغة"، 203/1 _ 204، و"الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 62.

به أن يكون متقدّما في العصور والبدواة، وعلم صاحبه بالعربية وبصحة نسبته إليه، وقد خرج عن هذه الشروط أحيانا المتأخرون من اللغويين، كما تفاوت المتقدمون من النحاة في شدة الأخذ بها [1]. والبصريون هم الذين كانوا أكثر تمسكا بهذه الشروط أكثر من غيرهم فوضعوا أسسا منهجية في الاستشهاد به وقد قسم اللغويون الشعراء إلى طبقات[2] سأذكرها فيما يلي.

2 – 1–1–3: تقسيم الشعراء إلى طبقات: الطبقات التي صنّفها علماء اللغة فيما يخص الشعراء هي:

ـــ **الطبقة الأولى:** وتضمّ الشعراء الجاهليين، وهم قبل الإسلام كامرئ القيس والأعشى، والنابغة، وطرفة بن العبد، وعمرو بن كلثوم، وغيرهم، وهؤلاء يُحتج بشعرهم إجماعا، بيد أنّ الأصمعي استثنى منهم عُديّ بن زيد (ت 35 ق.هـــ)؛ لأنه كان يخالط الفرس ونشأ فيهم، كما استثنى أبا دؤاد الإيّادي، وهما شاعران جاهليان، ولا يؤخذ بشعرهما في الاستشهاد، لأنّ ألفاظهما ليست نجديّة، وبها كثير من الدخيل[3].

ـــ **الطبقة الثانية:** المخضرمون، وهم الذين أدركوا الجاهلية والاسلام، ومنهم: حسان بن ثابت الأنصاري، ولبيد بن ربيعة، وكعب بن زهير، وزيد الخيل، والخنساء، وغيرهم، وهذه الطبقة يستشهد بشعرها إجماعا مثل سابقتها[4].

ـــ **الطبقة الثالثة:** المتقدمون، ويُقال لهم الإسلاميون، وهم الذين كانوا في صدر الإسلام كجرير والفرزدق، والراعي النميري، والأخطل، وقيس الرقيات (ت 85 هـــ)، وكثيّر وجميل، والكميت، وذي الرمة، وغيرهم ممن قالوا الشعر في الإسلام، ولم يقولوه في الجاهلية، وهؤلاء لا يصحّ الاستشهاد بشعرهم عند جمهور العلماء، وإن كان بعض العلماء يرفض الاستشهاد بشعرهم مثل: أبي عمرو بن العلاء، وعبد

---

[1] – ينظر: ابن سلام الجمحي "طبقات فحول الشعراء "، ص: 10، ويُنظر: السيوطي، "المزهر في علوم اللغة"، 1/ 203 و204، ويُنظر: "الاقتراح في علم أصول النحو"، ص:65 .

[2] ـابن سلام الجمحي "طبقات فحول الشعراء "، ص: 10، وينظر: السيوطي، "المزهر في علوم اللغة"، 1/ 204 وينظر:"الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 62.

[3] – يُنظر: عبد القادر البغدادي، "خزانة الأدب"، 1/ 6، ويُنظر: محمد سالم صالح، "أصول النحو: دراسة في فكر الأنباري"، ص: 255، ويُنظر: محمود عكاشة، "علم اللغة"، ص: 146.

[4] – يُنظر: عبد القادر البغدادي، "خزانة الأدب"، 1/ 6، ويُنظر: محمود عكاشة، "علم اللغة"، ص: 146ـ 147 .

الله بن إسحاق، والحسن البصري، وعبد الله بن شبرمة لحّنوا: الفرزدق والكميت وذي الرمة، وغيرهم وضعّفوا بعض شعرهم، وهؤلاء لا يبلغون درجة من سبقهم في الاستشهاد. [1].

ـــ **الطبقة الرابعة**: وهم المحدثون أو المولّدون، وهي من بعد طبقة صدر الإسلام حتى زمن بشار وأبي نواس، وهم من شعراء القرن الثاني والثالث الهجريين، منهم: **أبو العتاهية**(ت211هـــ) وبشار، وأبو نواس، والبُحتري، وأبو تمام(ت 231هـــ)، وغيرهم. وهؤلاء لا يُستشهد بكلامهم مطلقا عند جميع علماء اللغة والنحو؛ لأنهم تربّوا في الحاضرة وخالطوا الأعاجم[2].

هذا هو المنهج الذي سار عليه العلماء في استشهادهم بالشعر، وما يُلاحظ هو عدم علميّة المعيار الذي حكم النحاة من خلاله على شعركل طائفة، فهو يقوم على أساس نفسي ذاتي، وخير دليل على صحة هذه الملاحظة ما قاله أبو عمرو بن العلاء في شعر الفرزدق وجرير: "لقد أحسن هذا المولد حتى لقد هممت أن آمر صبياننا برواية شعره" [3].فعلى الرغم من اعتراف أبي عمرو بجودة شعر الفرزدق وجرير، إلا أنه لم يستشهد بشعرهما في القضايا اللغوية والنحوية، بل قصر اهتمامه على شعر الجاهليين، وهذا ما أكّده الأصمعي: "جلست إليه عشر حجج، فما سمعته يحتجّ ببيت إسلامي"[4].

والشيء نفسه فعله مع شعر الأخطل؛ الذي لم يجعله ضمن قائمة الشعراء المستشهد بكلامهم، رغم أن المصادر تذكر بأنّ أبا عمرو أقرّ بجودة شعر الأخطل وفصاحته، حتى أنه قال: "لو أدرك الأخطل

---

[1] – يُنظر: عبد القادر البغدادي، "خزانة الأدب"، 1/ 6، ويُنظر: محمود عكاشة، "علم اللغة"، ص: 146ـــ 147 .

[2] – يُنظر: عبد القادر البغدادي، " خزانة الأدب "، 1/ 6، ويُنظر: محمود عكاشة، "المرجع نفسه "، ص: 146 ـــ147، ويُنظر: محمود سليمان ياقوت، "مصادر التراث النحوي"، دار المعرفة الجامعية، مصر، دط، 2003، ص: 63، ويُنظر: حسام سعيد النعيمي، "الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني"، دار الطليعة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1528هـــ/ 1980 مـــ، ص:35.

[3] – ابن رشيق، "العمدة"، 1/ 197.

[4] – ابن رشيق،" المرجع نفسه "، 197/1.

يوما واحدا من الجاهلية ما فضّلت عليه أحدا" [1]، والمعيار نفسه احتكم إليه الأصمعي في نظرته إلى شعر بشار بن برد، كما يبدو في قوله: "بشار

خاتمة الشعراء، والله لولا أنّ أيامه تأخرت لفضّلته على كثير منهم"[2].

إنّ كلا من أبي عمرو والأصمعي قد درسا شعر الفرزدق وجرير والأخطل،ومن بعدهم بشار، فجعلتهما هذه الدراسة يعترفان بجودة شعر هؤلاء، حتى أنهما لم يجدا مانعا من الاستشهاد بشعرهم سوى المعاصرة.

[1] – الأصفهاني أبو الفرج، "الأغاني"، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2002، 8/ 203.

[2] – الأصفهاني أبو الفرج، " المرجع نفسه "، 3/ 99.

واستقرّ اللغويون والنحاة بعد أبي عمرو بن العلاء على صحة الاستشهاد بشعر الطبقة الثالثة من الناحية النظرية، لكن بعد مراجعة أشعار هذه الطائفة قام اللغويون بدراسة بعض شعراء الطبقتين الأوليين، فتوصلوا إلى نتيجة مفادها أن هناك قسم من الشعراء يتّصف بالضعف في اللغة وعدم الفصاحة، وليونة اللسان، وما إلى ذلك مما يبعدهم عن دائرة الاستشهاد، يقول الأصمعي، عُدي بن زيد وأبو داود الأيادي ، لا تروي العرب أشعارهما؛ لأنّ ألفاظهما ليست نجديّة[1].ونُقل عن أبي عمرو بن العلاء قوله: "كان عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم، يُعارضها ولا يجري مجراها، قال: والعرب لا تروي شعره؛ لأن ألفاظه ليست بنجدية، وكان نصرانيا من عباد الحيرة قد قرأ الكتب[2].

ومما قيل عن **أمية بن أبي الصلت** (ت 5 هـ) قول ابن قتيبة: "كان يحكي في شعره قصص الأنبياء، ويأتي بألفاظ كثيرة لا تعرفها العرب، يأخذها من الكتب المتقدمة وبأحاديث من أحاديث أهل الكتاب. وهذه أشياء منكرة! وعلماؤنا لا يَرون شعره حجة في اللغة"[3].

---

[1] – يُنظر: المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى (ت 384 هـ)، "الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء"، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، ط1، 1415 هـ، 1995 م، ص: 91.

[2] – المرزباني، "الموشح"، ص: 90، ويُنظر: ابن قتيبة، "الشعر والشعراء"، دار صادر، مطبعة بريل المسيحية، 1902، ص: 115.

[3] – يُنظر: المرزباني، "الموشح"، ص: 96، ويُنظر: ابن قتيبة، "الشعر والشعراء"، ص: 479.

وبعض العلماء ضمّوا الأعشى إلى الجماعة التي أُخرج شعرها من دائرة الاستشهاد، وذلك لأنهم رأوا في شعره ما يُبين تأثره بلغات الأعاجم؛ حيث اشتمل شعره على ألفاظ ومصطلحات لم تعرفها العرب في كلامها[1].

بعد الاطلاع على هذه النماذج التي ساقها الدارسون كأدلّة على ما ذهبوا إليه يتضح لنا أمر مهم جدا في قضية الاستشهاد، وهو أنّ الدارسين لم يعطوا أهمية كبيرة لعامل التقدّم في الزمن وحده؛ لأنه برأيهم ليس بالسبب الكافي لعدّ لغة الشاعر حجة يُستشهد بها في قضايا اللغة والنحو، فهذه النماذج التي سبق ذكرها تنتمي إلى الطبقة الأولى من الشعراء، وبالرغم من ذلك أُبعد أصحابها من مجال الاستشهاد بدعوى عدم صفاء لغتهم لمخالطتهم الأعاجم.

وفي مقابل ذلك ذهب فريق آخر إلى الاستشهاد بأعيان الطبقة الرابعة، فصرّح بعضهم بجواز الاستشهاد بلغة الشافعي(150 هـ - 204 هـ)، يقول الإمام أحمد بن حنبل: "كلام الشافعي في اللغة حجّة"[2]. وذلك لسلامة نشأته وتقلبه في البيئات العربية السليمة.

ومن مثل الشافعي أيضا نذكر بشار بن برد، فقد قيل له ذات مرة "ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلا وقد قال فيه شيئا استنكرته العرب من ألفاظهم وشك فيه، وإنه ليس في شعرك ما يُشك فيه"، قال: "ومن أين يأتيني الخطأ؟ وُلدتُ هاهنا، ونشأت في حجور ثمانين شيخا من فصحاء بني عقيل؛ ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطإ، وإن دخلت إلى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم، وأيفعتُ فأبديت إلى أن أدركت، فمن أين يأتيني الخطأ"[3]. وكلام بشار لهو أكبر دليل على وجود بيئات في المدن بقيت تُحافظ على سلامة لسانها في المائة الثانية[4].

و دعا ابن جني إلى العمل بالفكرة نفسها في باب "ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر"، يقول: "ولو عُلم أنّ أهل مدينة باقون على فصاحتهم، و لم يعترض شيء من الفساد للغتهم، لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر، وكذلك أيضا لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها، وانتقاض في عادة الفصاحة وانتشارها، لوجب رفض لغتها، وترك تلقي ما يرد عنها، وعلى ذلك

---

[1] - يُنظر: سعيد الأفغاني، "في أصول النحو"، ص: 25.

[2] - السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 57، ويُنظر: سعيد الأفغاني، "في أصول النحو"، ص: 26.

[3] - الأصفهاني، " الأغاني "، 3/ 103 ــ 104 .

[4] - يُنظر: سعيد الأفغاني، "في أصول النحو"، ص: 26.

العمل في وقتنا هذا"[1].

وبعد هذا العرض لمواقف النحاة من الشعر العربي من الناحية النظرية رأيت أنه لا بدّ لي أن أقف على بعض أعمالهم التطبيقية، لأرى مدى انسجام وتوافق الجانبين: النظري والتطبيقي عندهم،ورأيت أنّ أحسن نموذج أختاره لهذا العمل هو كتاب سيبويه؛ لاحتلال شواهده مكانة عظيمة في تاريخ النحو العربي. فقد بلغ عدد شواهد الكتاب خمسين وألفا (1050) لشعراء جاهليين ومخضرمين وإسلاميين وأمويين وعباسيين، ومعاصرين لسيبويه، وأهمّ الشعراء الذين استشهد بهم: الفرزدق ثم جرير فالأعشى فرؤبة والعجاج فذو الرُّمّة فالنابغة الذبياني، في حين كان حظ بعض الشعراء قليلا في كتابه، وهم مخضرمو الدولتين: الأموية والعباسية، كابن ميادة (ت136 هـ) وأبي حية النميري(ت 158 هـ)، وأبي نخيلة(ت 148 هـ)، وابن هرمة.والمتفحّص لهذه الأسماء يكتشف أنّ شعراء تميم هم أكثر الذين استشهد بهم، وبالإضافة

إلى الفرزدق وجرير ورؤبة والعجاج، هناك خطام المجاشعي، والبعيث، وابن جبناء

(ت91هـ) ولقيط بن زرارة(ت53ق.هـ)، ثم تأتي القبائل البدوية الأخرى،وتكاد تكون متساوية القسمة أو متقاربة[2].

فمن غطفان: النابغة الذبياني وزهير(ت13ق.هـ)، ومن هذيل: **أبو ذؤيب**(ت27هـ) وأبو كبير **وساعدة بن جؤية وصخر الغي**، ومن طيء: **أبو زبيد**(ت62هـ) **وحاتم وعامر بن جوين**، ومن أسد: **عبد الله بن الزبير**، **وبشر أبي خازم**(ت22ق.هـ)، والأقيشر(ت80هـ) **وعبيد بن الأبرص**(ت25ق.هـ) **والكميت بن زيد**(ت126هـ) .

ثم تأتي القبائل التي تسكن الحاضرة، كقريش والأوس والخزرج، فمن قريش استشهد بشعر عمر بن أبي ربيعة، **وابن قيس الرقيات**(ت85هـ)، ومن الأوس والخزرج استشهد بابن الجُلاح وحسان بن ثابت(ت50هـ) **وقيس بن الخطيم**(ت2ق.هـ)، وعمرو بن الإطنابة.كما استشهد بشعراء ظلّوا يعيشون في اليمن بعد ظهور الإسلام، كعبد يغوث الحارثي(ت30ق.هـ) وعمرو بن معديكرب(ت21هـ)، وبشعراء من مصر تتوزعهم قبائل شمالية عُرِفت بالفصاحة.والحقّ أن شواهد سيبويه هي معظم شواهد

---

[1] – ابن جني، "الخصائص"، 2/ 5.

[2] – ينظر: محمد خير الحلواني، "أصول النحو العربي"، ص: 41.

النحو العربي على مرّ العصور[1]، وذلك على الرغم من محاولة المتأخرين من أمثال أبي الحسن الأخفش (ت 225 هـــ)، وغيره إضافة شواهد[2] جديدة كتب لها الذيوع والانتشار.[3]

ومثل الأخفش فعل الكوفيّان: الكسائي والفراء، فقد كان لهما من شواهد الشعر الفصيحة ما سار في كتب النحو المتأخرة، ولكنّها لا تختلف عن شواهد سيبويه من حيث الفصاحة والعناية بالبدواة، ويظهر في كتب الفراء خاصة كـــ"معاني القرآن"، و"المذكر والمؤنث"، و"الأيام والليالي والشهور."[4]

وخير دليل على ذلك ما يوجد في كتاب سيبويه، فقد كان يستشهد بالبيت ولا يذكر قائله، أمّا الأبيات المنسوبة في كتابه فنسبتها حادثة بعده، فقد اعتنى بها أبو عمرو الجرمي(ت255هـــ)؛ لأنّ نسبة الشاهد في ذلك الوقت لم تكن شرطا في قبوله حجة في اللغة، وإنما وُجد ذلك في الدرس اللغوي بعد أن فشا الكذب في رواية الشعر واصطناعه للأغراض التعليمية، والخوف من أن يكون قائله ممن لا يُوثق بعربيته من الشعراء المحدثين[5].

أمّا المتأخرون من النحاة، فقد انقطعت بهم السبل إلى سماع الشواهد من الفصحاء، فلم يجدوا أمامهم من مصادر الشواهد سوى مصدرين، أوّلهما: ما التقطه النحاة من رجال اللغة والرواية، وهو ما لم يحتج به الأسلاف، وثانيهما: ما وقف عليه النحاة من شواهد في كتب النحو نفسها، كالكتاب، ومعاني القرآن للفراء والأخفش، وغيرها[6].

وقد استخرج النحاة المتأخّرون من كتب الأصمعي وأبي زيد وثعلب وابن الأعرابي، وغيرهم، ثروة لا يستهان بها من الشواهد الشعرية، لكنّها لم تضف شيئا جديدا ذا بال إلى الأصول المقرّرة، من

---

[1] – يُنظر: محمد خير الحلواني، " المصدر نفسه "، ص: 41 ــ 42 .

[2] – مثال ذلك بيت عبد الله بن همام السلولي الذي أنشده أبو الحسن:

زِيادَتَنا نُعْمانُ لا تُنْسِيَنَّها تَقِ اللهَ فِينَا والكِتابَ الذي تَتْلو

وقد استشهد به الأخفش ومن ثمَّ ابن جني في باب "في زيادة الحرف عوضا من آخر محذوف"؛ حيث استشهد به على حذف فاء الفعل من اتقى يتقي وتعويضها بتاء افتعل. يُنظر: ابن جني، "الخصائص"، 2/ 275 – 276.

[3] – يُنظر: ابن جني، "الخصائص"، 2/ 276، ويُنظر: الفراء، "معاني القرآن"، 2/ 291، ويُنظر: ابن جني، "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها"، 2/ 372.

[4] – يُنظر: محمد خير الحلواني، "أصول النحو العربي"، ص: 42.

[5] – يُنظر: محمد خير الحلواني، " المصدر نفسه "، ص: 42.

[6] – محمد خير الحلواني، "أصول النحو العربي"، ص: 43.

ذلك أنّ سيبويه كان يمنع أن يجمع بين فاعل نعم وتمييزه، ولكنّ المبرد أجازه؛ لأنه وقف على بيت جرير.[1]

تَزَوَّدّ مِثْلَ زادِ أَبِيكَ فينا فَنِعْمَ الزّادُ زادُ أَبيكَ زادا

ركَّز المتأخرون أيضا على نسبة الشواهد إلى أصحابها، فقال البغدادي إنّه لا يجوز الاستشهاد بشعر أو نثر لا يُعرف قائله؛ مخافة أن يكون ذلك الكلام مصنوعا أو مولّدا، أو لمن لا يوثق بكلامه[2].

2- 1-2: النثر:

مرّت عملية جمع هذه المادة اللغوية ا بمرحلتين: [3]

– جمع المادة عن الأعراب البدو في مواقعهم وأصقاعهم.

– جمع المادة عن هؤلاء أنفسهم، ولكن في حواضرهم لا بواديهم، وهذا ما اعترف به الخليل للكسائي حينما سأله عن علمه من أين أخذه، فأجابه الخليل: "من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج الكسائي وأنفذ خمس عشرة قنّينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه" [4]. فالخليل خرج إلى البادية ليجمع مادّته، ثم قام الكسائي باقتفاء آثار الأماكن التي أخذ منها الخليل؛ لأنّه بعد خروجه إلى البادية غاب فيها مدة طويلة[5]. وتذكر المصادر أنّ النضر بن شميل بالإضافة لما سمعه عن الخليل الخليل وفصحاء العرب الوافدين قضى فترة لا يُستهان بها في البوادي؛ إذ يحكى عنه أنّه قال: "أقمت في البادية أربعين سنة"[6]، وهذا ما تؤكّده كثير من الروايات[7].

---

[1] – المبرد أبو العباس محمد بن يزيد (ت 258 هـ)، "المقتضب"، إعداد: حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1420 هـ، 1999 م، 2/ 442. واستشهد بالبيت أيضا صاحب المقاصد النحوية بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني (ت 855 هـ)، "المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية " المشهور بـ "شرح الشواهد الكبرى"، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426 هـ، 2005 م، 3/ 97، وجرير: " الديوان "، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ط2، 2005، ص:107.

[2] – البغدادي، "خزانة الأدب"، 1/ 15.

[3] – عبد الجليل مرتاض، "الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة: دراسة لسانية في المدونة والتركيب"، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2002، ص: 66.

[4] – ابن الأنباري، "نزهة الألباء"، ص: 78.

[5] – عبد الجليل مرتاض، "الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة"، ص: 68.

[6] – ابن الأنباري، "نزهة الألباء"، ص: 73.

[7] – عبد الجليل مرتاض، "الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة"، ص: 69، وأحمد أمين، "ضحى الإسلام"، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط10، 1/ 298، 256/2.

أمّا المرحلة الثانية للسماع، فتتمثّل في أخذ العلماء عن الأعراب خارج البادية؛ أي الفصحاء الذين رحلوا إلى البصرة والكوفة، وغيرهما من مدن العراق، وكانت لغة هؤلاء البدو سليمة صحيحة، لم تشبها بعد شائبة من الخطل والفساد؛ لقربها من المنبع اللساني الصافي، وكان هؤلاء الأعراب يرحلون إلى الحضر إمّا انتجاعا للكسب أو التماسا للعلم، أو لأمور أخرى[1]، فهناك مثلا من كان ينتقل للأسواق المتواجدة بالمدن لقضاء حاجاته المختلفة، وهناك من كان يهجر البوادي ويفضّل الإقامة في الحواضر، وقد حرص العلماء على اللقاء بهؤلاء الفصحاء في الأسواق، أو الاجتماع إليهم في مجالس العلم التي كانت تدور في قصور الأمراء، أو مساجد المدن، يستمعون منهم ويحكمونهم فيما اختلفوا فيه من كلام العرب.[2]

ومن القواعد النحوية المقرّرة اعتمادا على كلام العرب المنثور: رفع الخبر بعد ليس إذا انتقض نفيها، فهذا عيسى بن عمر يعرف أنّ "ليس" يأتي بعدها اسمان، أوّلهما مرفوع، وثانيهما منصوب، فذاك هو استقراء عيسى بن عمر في البداية، ولكنّه سمع أنّ نحويا آخر هو أبو عمرو بن العلاء يُجيز رفع الاسم الثاني إذا نقض نفي "ليس" بأداة الحصر "إلا"، نحو: ليس الرجل إلا كريمٌ، فأتاه كالمستنكر، وقال له "ما شيء بلغني أنّك تجيزه؟" فقال له أبو عمرو: "وما ذاك؟" قال: "بلغني أنّك تجيز ليس الطيّب إلا المسك" فأجابه أبو عمرو "ذُهب بك يا أبا عمر، نمت وأدلج الناس، ليس في الأرض حجازي إلاّ وهو ينصب، ولا في الأرض تميمي إلاّ وهو يرفع"[3].

فأبو عمرو هنا يستشهد لما أجازه بما وصل إليه استقراؤه من لهجات العرب، وعيسى بن عمر أنكر عليه الظاهرة في بادئ الأمر؛ لأنه لم يسمعها و لم يستقرئها، ولكنه أخذ بها بعد أن أوقفه أبو عمرو على الحقيقة.وقد عالج هذه المسألة ابن مالك أيضا .[4]

ومن الضوابط النحوية التي استقاها النحاة اعتمادا على المنثور من كلام العرب

قولهم: إنّ فعل القول يأتي أحيانا بمعنى الظن، ويعمل عليه، ولكنّ الاستقراء دلّهم على أنّ ذلك مقيّد بثلاثة شروط، هي: أن يكون بصيغة المضارع، وأن يكون متصلا باستفهام، وأن يكون مسندا إلى ضمير المخاطب، نحو: أتقول أخاك قادما علينا. إلاَّ أن النحويين يجيزون أن تختلّ هذه الشروط ولا يختل معنى الظن في فعل القول؛ لأنّ سيبويه نقل عن شيخه أبي الخطاب أنّ "ناسا من العرب يوثق بعربيتهم،

---

[1] – يُنظر: عبد الجليل مرتاض، "الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة"، ص: 74.

[2] – يُنظر: محمد خير الحلواني، "أصول النحو العربي"، ص: 27.

[3] – يُنظر: الزبيدي، "طبقات النحويين واللغويين"، ص: 43.

4 ــ ينظر: ابن مالك،" شواهد التوضيح"، ص: 199.

وهم بنو سُليم، يجعلون باب "قلت" أجمع مثل: ظننت" [1].وهذا ما نجده عند ابن مالك، فقد ذكر أنّ العرب تُجري أفعال القول مجرى ظنّ بلا شرط، وهي لغة سليم. [2]إلى غير ذلك من القواعد النحوية التي استنبطها العلماء الأوائل من كلام العرب .

كانت هذه لـــمحة حول حال النحويين القدماء، وكيفية استقرائهم للقواعد من الكلام المنثور، أما في ما يخص المتأخرين من النحويين فلم يروا في بيئتهم أعرابا فصحاء؛ إذ انقطعت الفصاحة منذ القرن الرابع للهجرة، وكان آخر من استعان بهم المبرد وابن جني [3]، وإن كانا لم يستنبطا ما استنبطه أسلافهما من قواعد اللغة. ولما آل الأمر إلى أمثال الزمخشري وابن الشجري والأنباري وابن مالك ، لم يبق من سبيل إلى هذا المصدر غير ما جمعه القدماء من مادّة لغويّة،وسأذكر بعض الأمثلة من تراث نحاة الأندلس.

2 – 1 – 2–3: استشهاد نحاة الأندلس بكلام العرب:

استفاد النحاة من كلام العرب استفادة كبيرة، فجعلوه أصلا من أصولهم السماعية، ومعتمدا في عملية التقعيد النحوي. وكتب الطبقات والتراجم حفظت أخبارا كثيرة ومتنوّعة عن النحاة واللغويين الأوائل؛ الذين كانوا يقومون برحلات طويلة وشاقّة إلى البوادي وأخبية الأعراب ومضاربهم؛ يشافهونهم ويقيّدون ما يسمعون عنهم.[4]

أما فيما يخصّ النحاة المتأخّرين ، ومن بينهم الأندلسيون، فإن بُعدهم عن مصادر اللغة الأصليّة في المشرق، وأيضا تأخّر ظهور الدرس اللغوي عندهم؛ حيث لم تظهر معالمه في الأندلس إلا في وقت متأخّر حرمهم من فرصة الرواية المباشرة عن العرب المعاصرين لهم [5]،بخاصة وأنّ جمهورا من النحاة كان قد حدّد فترة معيّنة للاستشهاد بكلام العرب، وكان ذلك نهاية القرن الثاني بالنسبة للحضر، ونهاية القرن الرابع للبدو، ونتيجة لذلك انقطع عنهم منبع معين متمثّل في كلام العرب؛ مما جعلهم يعكفون على العلة الشرعيّة عموما، و الاهتمام بالحديث في مجال الدرس اللغوي. [6]

---

[1] – سيبويه، "الكتاب"، 1/ 63، وابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 92.

[2] ــ ابن مالك، " شواهد التوضيح"، ص: 151 .

[3] – يُنظر: المبرد، " الكامل في اللغة والأدب "، 77/1 ــ 78، 381/2، وابن جني، "المحتسب"، 1/ 134، و"الخصائص"، 178/1، 125 ،26/2، 130 ، 180/3 .

[4] ــ ينظر: محمد عمار بن درين، "تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس"، 216/2.

[5] ــ ينظر: مصطفاوي عمار،" الجهود اللغويّة في المغرب الأوسط من القرن السادس إلى القرن السابع الهجريين، رسالة دكتراه في اللغة، جامعة تلمسان، 2006 ــ 2007، ص: 52.

[6] ــ ينظر: مصطفاوي عمار،" المرجع نفسه"، ص: 53 .

ولكن، بالرغم من وجود هذه الأسباب التي أتيت على ذكرها، فإنّ الأندلسيين لم يقصّروا فيما يخصّ الاستشهاد في قواعدهم بكلام العرب، فقد ساروا في ذلك على درب سابقيهم من نحاة المشرق فيما يخصّ التنوّع في الشواهد، فلجأوا إلى كلام العرب لينهلوا منه،وخير دليل على ذلك مصنّفاتهم النحويّة التي لا تخلو من مثل هذه الشواهد. فالسهيلي مثلا استشهد بكثير من أمثال العرب وكلامهم، أمّا النظم، فقد وقف بشواهده عند عصر الاستشهاد، فقد صرّح في "كتاب نتائج الفكر"باعتماده النثر والشعر، يقول:"ويشهد لجميع ما قلناه في هذا الباب من دلالة الحروف المقطّعة على المعاني و الرمز بها إليها كثير من منظوم الكلام ومنثوره." [1] وهو ما تردّد في مواضع كثيرة من الكتاب . [2]ويذكر المتتبّعون لتراثه أنّه قد ارتضى التقسيم الطبقي للشعراء، فأولاهم عنده في الاستشهاد بشعره: الجاهلي، ثمّ من كان أقرب إلى عصره وأبعد من عصر المولّدين[3]وقد استشهد السهيلي بشعر أبي تمام في عدّة مسائل، منها استشهاده به على مجيء الحال من المضاف إليه، يقول:" وهو كثير، فعلى هذا جاء: كأنّ حواميه مُدْبِرا. [4] [4] ومنه قول أبي تمام: [5]

والعلمُ في شهب الأرماح لامعةً

واستشهد به أيضا وهو يذكر إنّ وأخواتها، وما بينها وبين الأفعال من الشبه من حيث كانت حروفهنّ ثلاثة فصاعدا، ولذلك جاز الوقف عليهنّ، فقال:" وقال حبيب. [6]:

عَسَى وَطَنٌ يَدْنو بِهِنَّ وَلَعَلّما

فشواهد السهيلي في النحو لا تعدو عصر الاستشهاد. [7]

---

[1] ــ السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت581هـ)، " نتائج الفكر في النحو"، تحقيق: محمد إبراهيم البنا"، دار الرياض، دت، ص: 224 .

[2] ــ ينظر: السهيلي ، "" نتائج الفكر في النحو"، "، ص: 34، 47، 57، 168، 209، 296، 281، 340(بالنسبة للمنظوم)، وبالنسبة للمنثور، ينظر: ص: 95، 124، 166، 172، 197، 199، 206، 242.

3 ــ ينظر: أحمد البنا، " السهيلي ومذهبه النحوي"، ص: 274 ــ 275 .

4 ــ ينظر: أحمد البنا، " المصدر نفسه "، ص: 274 ــ 275 .

5 ــ ينظر: السهيلي، " نتائج الفكر في النحو "، ص: 317 ، وعجز البيت:

بين الخميسين لا في السبعة الشهب .

ينظر: أبو تمام، " الديوان " ،تقديم و شرح: محي ،الدين صبحي، دار صادر، بيروت، لبنان،ط1، 96/1 .

6ــ ينظر: السهيلي، " نتائج الفكر في النحو "، ص: 342، وعجز البيتكما ورد في " الديوان " ، 121/2.

وَأَنْ تُعْتِبَ الأَيّامُ فيهِم فَرُبَّما .

7 ــ ينظر: أحمد البنا، " السهيلي ومذهبه النحوي"، ص: 274 ــ 275 .

كما استشهد ببعض الأمثال في كتاب "نتائج الفكر ففي النحو"، ففي مسألة الإضافة أورد المثل الآتي: " اِذهب بوقت ذي سلم"[1]؛ أي: ذي سلامتك .

وكذلك فعل ابن مالك؛ الذي استمدّ شواهده من القرآن الكريم، فإن لم يجد فيه شاهدا عدل إلى الحديث النبوي، فإن لم يجد فمن أشعار العرب وكلامهم.[2] وهذا ما

طبّقه في مصنّفاته التي لا تخلو من كلام العرب ، مثل: "شواهد التوضيح" و " تسهيل الفوائد"و"شرح التسهيل".

استشهد ابن مالك بعدد غير يسير من أبيات شعريّة تعود لشعراء من مختلف الطبقات التي صنّفها المشارقة، فمن الطائفة الأولى؛ التي تمثّل شعراء الجاهليّة: امرؤ القيس؛ حيث استشهد بشعره[3]. للتدليل على على أنّ ما يصدّر بـــ:"ربَّ"لا يلزم كونه ماضي المعنى، بل يجوز مضيّه وحضوره واستقباله، ثمّ قال: ومع ذلك فالمضيّ أكثر من الحضور والاستقبال[4].

ومن شواهده، قول امرئ القيس: [5].

أَلا رُبَّ يَوْمٍ صالِحٍ لَكَ مِنْهُما وَلاسِيَما يَوْمٍ بِدارَةِ جُلْجُلِ.

ومثال استشهاده بشعر الطبقة الثانية(طبقة المخضرمين) ما استشهد به أثناء حديثه عن حذف الموصول المستغنى عنه بصلته؛ حيث استشهد ببيت حسان بن ثابت رضي الله عنه، وهو قوله: [6].

أَمَنْ يَهْجو رَسولَ اللهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُه سَواءُ .

والشاهد في البيت قوله: يمدحه، فقال: يريد: سواء؟ حيث حذف الموصول، وهو:من، وذلك لدلالة صلته عليه. [7].

ومثال استشهاده بشعر الطبقة الثالثة(طبقة الإسلاميين)، استشهاده بشعر جرير؛ حيث

---

[1] – السهيلي، " نتائج الفكر في النحو"، ص : 95.

[2] ـــ ينظر: ابن مالك، " تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد"، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة، 1378هـــ/ 1967مـــ، ص: 45.(مقدمة المحقّق.)

[3] – استشهد ابن مالك بشعر امرئ القيس في عدّة مواضع، ينظر:"شواهد التوضيح"، ص: 156، 166، 225 .

[4] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 134.

[5] – امرؤ القيس، " الديوان "، دار صادر، بيروت ـــ لبنان، دط، دت، ص: 32 .

[6] – ورد البيت في الديوان بلفظ فمن بدل أمن، ينظر: حسان بن ثابت الأنصاري، "الديوان"دار صادر، بيروت، دط، دت،ص: 09 .

[7] – ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 134.

أورد ابن مالك الكثير من شعره ليستدلّ بها على القواعد النحويّة، ومثال ذلك ما استشهد به في مسائل"نِعْمَ"؛ حيث استشهد فيها ببيتين لجرير، منه قوله: [1]

تَزَوَّدْ مِثْلَ زادِ أَبيكَ فينا فَنِعْمَ الزادُ زادُ أَبيكَ زادا .

و الشاهد في قوله: "فنعم الزاد زادا"؛ حيث جمع بين الفاعل(الزاد) والتمييز(زادا)، وهذا غير جائز عند البصريين. [2].وقد بلغ عدد الشواهد الشعريّة في كتاب شواهد التوضيح حوالي: مائتين وعشرين شاهدا.

وابن مالك نحا نحو الكوفيين في الرواية عن قبائل لم يستشهد البصريّون بكلامها، كما كان يقيس على ما ورد في أبيات قليلة. [3] فقد أجاز أن يجمع بين الضميرين: المتصل والمنفصل؛ إذا اختلفا إفرادا وتأنيثا، مستشهدا بما نقله الكسائي عن بعض العرب، وهو قولهم: هم أحسن الناس وجوها وأنضرهموما[4].وأيضا في مسألة مطابقة المعنى وحده، قال فيها:" ومن هذا النوع ـــ أي مطابقة المعنى وحده ـــ قول القائل: "بلى وِجاذاً" حين قيل له: " أما في مكان كذا وَجْذٌ"[5].

وقد أكثر ابن مالك اعتماده روايات القدماء؛ حيث أشار إلى رواية يونس بن حبيب والخليل وسيبويه وقطرب[6]، وكان في مواضع كثيرة لا يسمي الراوي، كأن يقول: "كقول بعض العرب: عليه رجلا ليسني"، أو: "ومنها ما روى بعض الثقات من قول العرب "سلامُ عليكم" بضم الميم دون تنوين. [7]

وفي مسألة توحيد الاسم المضاف إلى المثنى وتثنيته استشهد بقول بعض العرب:" أكلتُ رأس شاتين"[8].كما استشهد ابن مالك في " شواهد التوضيح"بعدة أبيات مجهولة القائل[9].

---

[1] – جرير، " الديوان"، ص: 107 .

[2] – ينظر: المبرّد، " المقتضب"، 442/2 .

[3] ـــ ينظر: خديجة الحديثي، " أبو حيان النحوي"، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1385هـ/1966هـ، ص: 334 .

[4] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 81، ويُنظر: ص: 60 ،106 ،215.

[5] – ابن مالك، "المصدر نفسه"، ص: 91، ويُنظر: سيبويه، " الكتاب"، 255/1 ـ 256 .

[6] – ابن مالك، "" شواهد التوضيح "، ص: 55 ،94 ،141 ،148 ،211.

[7] – ابن مالك، " المصدر نفسه "، ص: 80 ،93، 91 .

[8] – ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص:115، 255 ، و ينظر: الفراء، " معاني القرآن"، 308/1 .

[9] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 21،62، 66، 69، 109،110،108، 121، 126، 137، 167، 168، 169، 190، 198، 211.

وبالنسبة لأبي حيان الأندلسي،فقد استشهد بما استشهد به نحاة البصرة، و لم يستشهد بشعر المولّدين[1]. فقد أخذ بما رُوي عن القبائل التي أخذ عنها البصريون واستشهدوا بها،كما رفض القياس على ما قلّ وروده أو جاء في أبيات الشعر القليلة التي لا تُبنى على مثلها القواعد.[2]

ومصنّفاته كغيره من النحاة لم تخل من الشواهد، من قرآن و من حديث نبوي، ومن كلام العرب أيضا، فكتابيه: " البحر المحيط" و " التذييل والتكميل على شرح التسهيل"لا تكاد تخلو من الشواهد المتنوّعة، وضمن هذه الشواهد كلام العرب بقسميه.وعليه، فالسهيلي وابن مالك وأبو حيّان، وغيرهم من نحاة الأندلس قد استدلّوا بكلام العرب من شعر ونثر في مصنّفاتهم على الرغم من اختلافهم في المنهج.

ولابن هشام أيضا شواهد كثيرة أخذها من كتب القدماء، واعتمدها في تثبيت مذهبه النحوي، على أنّه قلّ أن يذكر اسم الراوي.ومن شواهده ما ذكره عند حديثه عن زيادة الصوت للإنكار في الجواب، قال : " سمع سيبويه رجلا يقال له: أتخرج إن أخصبت البادية؟ فقال: أأنا إنيه، منكرا أن يكون على خلاف ذلك"[3]، كما ساق عند كلامه عن (أم) بمعنى (بل)، ما رواه الفراء عن العرب، وهو قولهم: "هل لك قبلنا حق، أم أنت رجل ظالم، يريدون: بل أنت."[4] ولا شك أن ابن مالك وابن هشام يمثلان موقف المتأخرين جميعا من هذا المصدر.

2 – 2: القرآن الكريم وقراءاته:

إنّ موضوع الاستشهاد بالقرآن الكريم والقراءات القرآنية وجعلها مصدرا من مصادر التقعيد النحوي من الموضوعات التي عنى بها الدارسون، ودارت حولها كثير من الدراسات.والذي يهمّ في هذا المجال هو موقف نحاة الأندلس من القرآن والقراءات القرآنية؛ أي بيان مدى اعتمادهم على هذا المصدر في التقعيد النحوي ، وقبل بيان موقف نحاة الأندلس من هذا المصدر علينا أولا أن نوضح الفرق الكائن

---

[1] – ينظر: خديجة الحديثي،" موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، دار الرشيد، الجمهورية العراقيّة، دط، 1981، ص:442 .

[2] ـــ ينظر: خديجة الحديثي، "" أبو حيان النحوي"، ص: 334 .

[3] – ابن هشام الأنصاري، جمال الدين، "مغني اللبيب"، وبهامشه حاشية الشيخ محمد الأمير، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1/ 22.

[4] – جمال الدين بن هشام الأنصاري، "مغني اللبيب"، ص:1/ 43.

بين المصطلحين "قراءة وقرآن" واللذين نجدهما عند بعض الباحثين يستخدمان وكأنهما مترادفان، وأحيانا أخرى على أنهما متباينان.[1]

فقد ذهب الزركشي إلى أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، بقوله:" القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المترل على محمد صلى الله عليه وسلم؛ للبيان والإعجاز، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف وكيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما"[2]، وهي طريقة الأداء النطقي لألفاظ القرآن أو هي كما قال ابن الجزري :" علم بكيفية أداء كلمات القرآن و اختلافها بعزو الناقلة"[3].فالقرآن يمثل الأصل، والقراءات تمثل الفرع أو طرف أداء ذلك الأصل.[4]

وعليه، فليس المقصود من الاستشهاد بالقرآن ذلك النص الشمولي الكلي الموحد المتجانس للكتاب الحكيم؛ لأن النحاة لو فهموا باللفظ هذا المعنى لما كان لأحد منهم أن يجادل في الاستشهاد بآية واحدة من أفصح نص بالعربية، ولا أن يُخضع هذا النص لأقيسة اخترعها النحاة وجرَّدوها تجريدا، وإنما المقصود بالقرآن عدد من القراءات التي قد يكون بين إحداها والأخرى خلاف في صوت أو لفظ أو تركيب نحوي لآية من آيات القرآن[5] ، فالقرآن الكريم هو كلام الخالق العظيم الذي لا يستوي معه أي كلام، ولا يقارَن بفصاحته وبلاغته أي بيان؛ لذلك بلغ من الدقة ما لم يبلغه أي مصدر لغوي آخر؛ نظرا لما أحيط بجمعه من شروط وضوابط [6]جعلت الثقة كاملة لا يشوبها شك في أنه كلام الله الذي لا يأتيه

---

[1] – يُنظر: محمد سالم صالح، " أصول النحو: دراسة في فكر الأنباري"، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط 1، 2006، ص: 166.

[2] – الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله(ت 794هـ)، " البرهان في علوم القرآن "، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم،دار الحديث، القاهرة، 1427هـ/2006مـ، 222/1. و السيوطي، "الإتقان في علوم القرآن"، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 2003 ، 1/ 222.

[3] – ابن الجزري، "منجد المقرئين و مرشد الطالبين "، اعتنى به : عبد الحليم بن محمد قابة ، دار البلاغ ، الجزائر ، ط1 ، 2003 ، ص:17.وينظر: شهاب الدين القسطلاني، "لطائف الإشارات لفنون القراءات"، تحقيق: عامر السيد، لجنة إحياء التراث، القاهرة ــ مصر،د.ط، 1392 هـ، 1971 مـ، 170/1، وينظر: محمد عبد العظيم الزرقاني، "مناهل العرفان في علوم القرآن" ، دار إحياء الكتب العربية،دط، دت، 1/ 405 .

[4] – ينظر: محمد سالم صالح، "أصول النحو: دراسة في فكر الأنباري"، ص: 166 .

[5] – ينظر: تمام حسان، "الأصول: دراسة ابستيمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي: النحو – فقه اللغة – البلاغة"، ص: 103.

[6] - مهمة تدوين القرآن الكريم كُلّف بها كتّاب اتبعوا كل الدقة والتثبت والإتقان، فما أهملوا حركة أو سكونا، ولا زادوا فيه حركة، وكانت حركة التوثيق هذه قد تمت على يد الرسول صلى الله عليه وسلم، والرسول لا ينطق عن الهوى، ينظر: صالح بلعيد، "الاحتجاج

الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولذا فهو أجدر المصادر اللغوية بالاعتماد مستقى للقواعد، وموردا للشواهد[1]. فقد أتى القرآن في غاية من الفصاحة لا يوصل إليها، ونهاية من البلاغة لا يمكن أن يُحام عليها، رُوِيَ عن الوليد بن المغيرة أنه قال لبني مخزم: "والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما، ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إنّ له لحلاوة و إنّ عليه لطلاوة و إن أعلاه لمثمر، و إن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يُعلى، ومع هذا الاعتراف غلب عليه الحسد." [2]و يقول الباقلاني: "فهو على سمت شريف ومرقب منيف، يُبهر إذا أخذ في النوع الربي، والأمر الشرعي، والكلام الإلهي، الدال على أنه يصدر عن عزة الملكوت، وشرف الجبروت، وما لا يبلغ الوهم مواقعه من حكمة وأحكام، واحتجاج، وتقرير واستشهاد"[3] و" تجد فيه الحكمة وفصل الخطاب مجلوة عليك في منظر بهيج، ونظم أنيق، ومعرض رشيق، غير معتاص على الإسماع، ولا مغلق على الإفهام، ولا مستكره في اللفظ، ولا مستوحش في المنظر"[4]

فما إيمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين سمع سورة طه، وما فزع عتبة حين سمع سورة فصلت، وما تردّد بلغاء العرب على الأماكن التي يتعبّد فيها النبي الأمين صلى الله عليه وسلم ليلا؛ ليسمعوا هذه البلاغة خفية، وما عجزهم بعد التحدي، إلاَّ دليل الإعجاز، وعظمة البيان وجلال الأسلوب[5].

ولفصاحة وبلاغة القرآن الكريم تأثّر به الصحابة تأثرا غير عادي، فكان لكلماته وقعا قويا على أسماعهم، ثم قلوبهم، فدفع بهم هذا كله إلى الإيمان بالله تعالى ورسوله عليه أفضل الصلاة والسلام، وهذا الرأي يتجلّى في قول سيد قطب : "إذا تجاوزنا النظر عن النفر القليل؛ الذي كانت شخصية محمد صلى الله عليه وسلم وحدها هي داعيتهم إلى الإيمان في أول الأمر، كزوجه خديجة، وصديقه أبو بكر، وابن

اللغوي"، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، جامعة مولود معمري، تيزوي وزو مجلة دورية لغوية علمية يصدرها المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 1، السنة 1، ربيع الأول، 1426 هـ، ماي 2005، ، ص: 63.

[1] – يُنظر: شعبان صلاح، "مواقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجوي"، دار غريب، القاهرة، 2005 ص: 73.

[2] – أبو حيان، "تفسير البحر المحيط"، 1/ 110.

[3] – الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب(ت403هـ)، "إعجاز القرآن"، تحقيق: السيد أحمد صقر، مصر، القاهرة، ط3، ص: 301 .

4 ــ الباقلاني ، "إعجاز القرآن"، ص: 302 .

[5] – ينظر:أبو سليمان الخطابي(ت388هـ)، بيان إعجاز القرآن، ضمن "ثلاث رسائل في الإعجاز للرماني و الخطابي و عبد القاهر الجرجاني"، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1397 هـ، 1976 مـ، ص: 70.

عمّه علي، ومولاه زيد، وأمثالهم، فإنّنا نجد القرآن الكريم أحد العوامل الحاسمة في إيمان من آمنوا أوائل أيّام الدعوة يوم لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم حول ولا طول، ويوم لم يكن للإسلام قوّة ولا منعة"[1].

2 – 2 –1:استشهاد نحاة الأندلس بالقرآن الكريم وقراءاته:

هناك حقيقة لا يستطيع أحد من النحاة أن ينكرها، وهي أنّ النحو نشأ في رحاب القرآن، وتأصلت قواعده ونمت فروعه في ظلاله؛ مما جعل النحاة جميعا يُجمعون على صحّة الاستشهاد بالقرآن وقراءاته المختلفة: متواترة وشاذة[2]، وللعلماء أقوال في هذا، أذكرمنها قول ابن خالويه : "قد أجمع الناس جميعا على أنّ اللغة إذا وردت في قراءة القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن، لا خلاف في ذلك" [3].وقول السيوطي: "كل ما ورد أنّه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية، سواء كان متواترا أم آحادا أم شاذا، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية؛ إذا لم تخالف قياسا معروفا، بل ولو خالفته يُحتجّ بها في مثل ذلك الحرف بعينه، وإن لم يجز القياس عليه، كما يحتجّ بالمجمع على وروده ومخالفته القياس في ذلك الوارد بعينه، ولا يُقاس عليه، نحو: استحوذ ويأبى، وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءة الشاذة لا أعلم فيه خلافا بين النحاة وإن اختلف في الاحتجاج بها في الفقه، ومن ثمّ احتجّ على جواز إدخال "لام الأمر" على المضارع المبدوء بتاء الخطاب بقراءة **[فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا]** [4] ،كما احتجّ على إدخالها على المبدوء بالنون بالقراءة المتواترة **[وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ]** [5 - 6]، واحتج على صحة قول من قال" إنّ الله أصله:"لاه" بما قرئ شاذّا **[وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ]**[7] "[8]. والرأي نفسه نفسه نجده لدى ابن الجزري (ت 833 هـــ)؛ الذي يُدافع عن القراءات القرآنية، وبخاصة تلك القراءات التي توفّرت فيها الشروط الموضوعة، يقول: "كلّ قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصحّ سندها، فهي القراءة الصحيحة؛ التي لا يجوز ردّها ولا يحلّ إنكارها، بل هي

---

[1] –سيد قطب(ت1966هـــ)، "التصوير الفني في القرآن الكريم"، دار الشروق، بيروت، لبنان، طبعة منقحة،1403هـــ / 1983، ص: 11.

[2] – التواتي بن التواتي، "دراسات وأبحاث لغوية: محاضرات في أصول النحو"، دار رويغي للنشر، الأغواط، الجزائر، ط1، ص: 70.

[3] – السيوطي، "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، 1/ 174.

[4] ـــ الآية : 58 من سورة يونس.

[5] ـــ الآية : 12 من سورة العنكبوت.

[6] – يُنظر: الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، المسألة" 77.

[7] ـــ الآية :84 من سورة الزخرف.

[8] – ينظر: السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 48 .

الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء أكانت عن الأئم ة السبعة أو عن العشرة، أو عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختلّ ركن من هذه الأركان الثلاثة أُطلق عليها: ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء أكانت عن السبعة أو عمن هو أكبر منهم" [1]. يتبيّن لنا من نص ابن الجزري أنّ الأساس الذي اعتمده العلماء في تحديد صحّة القراءة أو ضعفها أو شذوذها أو بطلانها هو الصفات التي وردت عليها من جهة الأمور الثلاثة التي ذكرها ابن الجزري،وهي :

ـــ موافقة العربية ولو بوجه؛ أي وجها من وجوه النحو.

ـــ موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، والمقصود: الرسم العثماني.

ـــ صحّة السند.

فمن حيث "موافقة العربية" يُنسب للقراءة "القوة والضعف"، لكنّها لا تتجرد في كلتيهما عن "الصحة" مادامت مستوفاة للشرطين الآخرين. ومن حيث "موافقة أحد المصاحف العثمانية" ينسب للقراءة "الاطراد أو الشذوذ"، لكنّها لا تتجرد أيضا في كليهما عن "الصحة" مادام الشرطان الآخران موجودين[2].ومن حيث "صحة السند" ينسب لها "التواتر أو الآحاد أو البطلان.

يبدو من كل ما تقدّم أنّ القراءة سواء وصفت بالقوة أو الضعف، وبالاطراد أو الشذوذ وبالتواتر أو الآحاد لا تخرج بكلّ ذلك عن دائرة "الصحة"، وأنّ هذا الوصف الأخير المعتدّ به يرتبط أصلا بفكرة أخرى اعتدّ بها علماء القراءات واللغويون بصفة أساسية، وهي "صحة السند"، أو بعبارة أخرى "صحة النقل"، فإذا تحقّق ذلك بالنسبة للنص القرآني فليس شيء يخلّ به بعد ذلك، سواء أكان ذلك في المتن نفسه الذي عبّر عنه "بموافقة العربية ولو بوجه"، أم كان في "الخط العثماني"، وهو ما تؤدي مخالفته إلى "الشذوذ"[3]. فالقراءات جميعها منسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تصديقا لقوله: «**نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف، فاقرؤوا كيف شئتم**»[4].

والسؤال المطروح الآن كيف كان موقف علماء اللغة من هذا النص الموثق من حيث الاستشهاد به في الدراسات اللغوية والنحوية؟

---

[1] – ابن الجزري، "النشر في القراءات العشر"، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط1، 2002، 1/ 19.

[2] – يُنظر: محمد عيد، "الرواية والاستشهاد باللغة"، ص: 119 ــ 120.

[3] – محمد عيد، "الرواية والاستشهاد باللغة"، ص: 120.

[4] – حاول ابن قتيبة تفسير المقصود بالسبعة أوجه، يُنظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت 276 هـــ)، "تأويل مشكل القرآن"، تحقيق: أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، طبعة جديدة ومنقحة، 2006، ص: 90.

اتفق علماء اللغة عربا ومستشرقين على أنّ القرآن يمثّل اللغة العربية الفصيحة أصدق تمثيل، فهؤلاء العلماء عدُّوا القرآن معيارا للعربية الفصيحة؛ التي يقيس عليها أهل كلّ زمان لغتهم[1]. وقد أخذ النحويون بالشاهد القرآني بلا أدنى خلاف بينهم؛ لأنّه من لدن عزيز حكيم، وهو في أعلى درجات الفصاحة، ويمثل الأساليب العالية الرفيعة، وهو أبلغ كلام نزل، وأوثق نصّ وصل[2].

إلى هنا وهذا الكلام النظري السابق متّفق مع ما يجب أن يكون بعد هذا التوثيق الدقيق والرائع للقرآن الكريم، ولكن للأسف عندما نعود إلى الجانب التطبيقي للدراسة في مصنّفات النحو التي وُضِعت في الفترات الأولى من بداية هذا العلم، نجده لا يتوافق مع تلك الآراء التي جاءت متأخّرة في الزمن بعد أن قطع النحاة شوطا كبيرا للنمو بالنحو وإنضاجه، ويوضّح ذلك ما نبّه إليه كثير من الدارسين الأقدمين" لغويين ومفسرين؛ إذ صرّحوا بأن النحاة لم يستخدموا القرآن في دراسة مسائل النحو، و لم يولوه ما هو حقيق به من الاستشهاد كما قال السيوطي والبغدادي[3].

لقد عدّ علماء العربية القرآن الكريم الأساس الأوّل للقياس؛ لأنه أفصح نصوص العربية مطلقا، وأبلغها وأقواها وأصحّها نقلا ورواية، بيد أنّ قوما من النحويين القدماء جانبهم الصواب عندما قاسوا النص القرآني على ما لديهم من شواهد لغوية مأثورة عن العرب الجاهليين وبعض الإسلاميين ، فوضعوا قواعد النحو على ما وافق النصوص العربية، وأقاموا على كلام العرب قواعدهم وأخذوا من القرآن ما وافق آراءهم، وأوّلوا ما جاء في النص القرآني مخالفا قواعدهم وشواهدهم، وكان أولى لهم أن يقيسوا لغتهم على النص القرآني وأن يضعوا قواعدهم عليه غير مخالفة لوجوه القرآن، وأن يؤوّلوا كلام العرب أو يردّوه إن خالف النص القرآني، فالنص القرآني أولى بالترجيح من كلام العرب؛ لأنه الأفصح والأقوى حجة، والأصح رواية، وهو قبل كلّ هذا كلام الله ربّ العالمين دون غيره، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد تكفّل الله بحفظه إلى يوم الدين[4].قال الله تعالى**[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ]** [5].وقد أبدى فخرالدين الرازي (ت 604 هـــ) تعجّبه من النحاة الذين استحسنوا إثبات اللغة بشعر

---

[1] – يُنظر: محمود عكاشة، "علم اللغة: مدخل نظري في علم اللغة العربية"، ص: 111.

[2] – محمود سليمان ياقوت، "مصادر التراث النحوي"، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003، (د.ط)، (د.ت)، ص: 74.

[3] – محمد عيد، "الرواية والاستشهاد باللغة"، ص: 122.

[4] – محمود عكاشة، "علم اللغة: مدخل نظري في علم اللغة العربية"، ص: 112.

[5] ـــ الآية: 09 من سورة الحجر .

مجهول في حين لم يستحسنوا إثباتها بقراءة حمزة(ت156هـ) ومجاهد(ت324هـ) مع أنّهما كانا من أكابر علماء السلف في علم القرآن .[1]

وهذا ما أشار إليه ابن جزم الأندلسي (ت 465 هـ) من قبله بقوله: "من النحاة من ينتزع من المقدار الذي يقف عليه من كلام العرب حكما لفظيّا، ويتخذه مذهبا، ثم تعرض له آية على خلاف ذلك الحكم فيأخذ في صرف الآية عن وجهها"[2].

وقال في موضع آخر: "ولا عجب أعجب ممن إن وجد لامرئ القيس أو لزهير،أو لجرير أو الحطيئة، أو الطرماح، أو لأعرابي أسدي أو سلمي أو تميمي من سائر أبناء العرب لفظا في شعر أو نثر جعله في اللغة وقطع به، و لم يعترض فيه، ثم إذا وجد لله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاما لم يلتفت إليه ولا جعله حجة، وجعل يصرفه عن وجهه ويحرّفه عن موضعه، ويتحيّل في إحالته عما أوقعه الله عليه!"[3].

فحتى البصريين الذين عنوا بالنحو واللغة وتدوينها ووضع القواعد لها، كانوا معترفين بأن القرآن الكريم أصل من أصول الاستشهاد، غير أنّه صعب عليهم أن يحطموا ما بنوه من مقاييس، وأن يهدموا ما شيّدوه من أصول، وفي الوقت نفسه عزّ عليهم ألا يغترفوا من معين القرآن الكريم في تقعيد القاعدة وبناء الحكم، فلجأوا إلى التأويل والتخريج، وبذلك تزاحمت مسائل النحو، ففي كل مسألة قولان، لا بل أقوال، وفي كل مشكلة رأيان، لا بل آراء.واهتزت القواعد من هذا الاضطراب؛ الذي تورّط فيه البصريون، وسار على دربهم في هذا المضمار النحاة المتأخرون[4].

إذا، من كل ما سبق نستنتج أنّ هناك من يجعل القرآن الكريم على رأس قائمة مصادر الاستشهاد اللغوي؛ على أساس أنّه كلام الله المتره عن كل نقيصة أو سهوأو خطإ، في حين يصنّفه علماء آخرون في المرتبة الثانية بعد كلام العرب، وذلك لكون القرآن الكريم نزل بلسان العرب ،واللغة العربية أسبق من القرآن.

---

[1] ـــ ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن علي التميمي البكري الشافعي(ت604هـ)، التفسير الكبير، قدّم له: هاني الحاج، تحقيق: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، دط،2003، 150/9 .

[2] – سعيد الأفغاني، "أصول النحو"، ص: 32.

[3] – سعيد الأفغاني، " أصول النحو "، ص: 32، ويُنظر: محمد الخضير حسين، "القياس في اللغة العربية"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،ط1، 1406هـ/1986هـ، ص: 37.

[4] – يُنظر: عبد العال سالم مكرم، "القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية"، ص: 112.

أمّا المتأخرون من نحاة الأندلس أمثال السهيلي وابن مالك وأبو حيان، فأكثروا من الاستشهاد بالقرآن، ومن اعتماد قراءاته بصورة واضحة، وتظهر بواكير هذا التحول عند نحاة القرن الخامس ، بحيث ازداد اعتماد النص القرآني مع تأخر الزمن إلى غاية القرن الثامن؛ حيث أصبح اعتماد القرآن الكريم وقراءاته الاتجاه السائد بين النحاة[1] إلى حدّ

كبير، فقد رفض بعض المتأخرين الموقف السلبي للنحاة من القراءات، كابن يعيش(ت643هـ) وأبي حيان والسيوطي؛ الذي قال:" أمّا القرآن، فكلّ ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية، سواء كان متواترا أم آحادا أم شاذّا"[2].

أما بالنسبة لنحاة الأندلس وبخاصة نحاة القرن السابع، فقد دافعوا عن القراءات دفاعا مريرا ضدّ كلّ من حاول الطعن فيها[3]، ومن هؤلاء: ابن مالك ؛ الذي كان يستشهد في مؤلفاته بالقرآن أوّلا، فإن لم يجد فبالحديث النبوي الشريف، وكان يردّ على من وصف قراءة ما باللحن[4]. قال السيوطي: "كان قوم من النحاة المتقدمين يعيبون على عاصم وحمزة وابن عامر قراءات بعيدة في العربيّة، وينسبونهم إلى اللحن، وهم مخطئون في ذلك،....، وقد ردّ المتأخرون ،منهم ابن مالك على من عاب عليهم ذلك بأبلغ ردّ، واختار جواز ما وردت به قراءاتهم في العربية و إن منعه الأكثرون مستدلاّ به"[5].ومن ذلك استشهاده على جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجارّ بقراءة حمزة: ﴿ **تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ** ﴾ [6]، وعلى وعلى جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بمفعوله بقراءة ابن عامر: ﴿ **قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ** ﴾[7] [8] وعلى جواز سكون لام الأمر بعد ثم بقراءة حمزة: ﴿ **ثُمَّ لِيَقْطَعْ** ﴾[9] [10].

---

[1] – يُنظر: محمد سالم صالح، "أصول النحو: دراسة في فكر الأنباري"، ص: 170.

[2] – السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو العربي"، ص: 48.

[3] – السيوطي، "المرجع نفسه"، ص: 49.

[4] – عبد القادر رحيم الهيتي، "خصائص المذهب الأندلسي النحوي خلال القرن السابع الهجري"، ص: 153.

[5] – السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو العربي"، ص: 49.

[6] ــ الآية: 01 من سورة النساء .

[7] ــ الآية: 127 من سورة الأنعام .

[8] – يُنظر: "الإنصاف في مسائل الخلاف"، المسألة رقم: 60، 2/ 06 .

[9] ــ الآية:15 من سورة الحجّ.

[10] – يُنظر:الداني، أبو عمرو، الأحرف السبعة للقرآن، تحقيق: عبد المهيمن طحان، مكتبة المنارة، مكة المكرّمة، 1408هـ، ص: 47، وينظر: الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ويسمى: منتهى الأماني

ومن النحاة الأندلسيين الذين دافعوا عن القراءات القرآنية واستشهدوا بها:أبو حيان؛ الذي ردّ على كل من حاول وصف أيّ قراءة قرآنية بالضعف أو اللحن، أو ما إلى ذلك من صفات يحاول الطعن فيها، ومن ردّه على ذلك:

ـــ ما جاء في ردّه على ابن عطية والزمخشري في تخطئتهما قراءة ابن عامر لقول الله تعالى: ﴿**قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ** ﴾[1] برفع القتل ونصب الأولاد وجرّ الشركاء، وذلك بإضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف، يقول: "وهي مسألة مختلف في جوازها، فجمهور البصريين يمنعونها، متقدمّوهم ومتأخروهم، ولا يجيزون ذلك إلا في ضرورة الشعر، وبعض النحويين أجازها، وهو الصحيح؛ لوجودها في هذه القراءة المتواترة المنسوبة إلى العربي المحض ابن عامر الآخذ بالقرآن من عثمان بن عفان قبل أن يظهر اللحن في لسان العرب، ولوجودها أيضا في لسان العرب،...،ولا التفات إلى قول ابن عطية:" هذه قراءة ضعيفة في استعمال العرب"، ولا التفات إلى قول الزمخشري:" إن الفصل بينهما ـــ يعني بين المضاف والمضاف إليه ـــ فشا لو كان في مكان الضرورات، وهو الشعر ألكان سمجا مردودا؟ فكيف به في القرآن المعجز لحسن نظمه وجزالته؟، والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف "شركائهم" مكتوبا بالياء، ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء؛ لأنّ الأولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب"[2].

وبعد أن ردّ أبو حيّان على ما ذهب إليه ابن عطية والزمخشري، حمل على الزمخشري وجرّحه بقوله: "وأعجب لعجميّ ضعيف في النحو يردّ على عربي صريح محض قراءة متواترة موجودا نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقرّاء الأئمة؛ الذين تخيرهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقا وغربا."[3]

2 – 3: الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف:

2– 3 – 1: تعريف الحديث:

والمسرات في علوم القراءات "، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان، 1419هـ/1998م، ص: 397، و السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو العربي"، ص: 49.

[1] ـــ الآية: 127 من سورة الأنعام .

[2] – أبو حيان الأندلسي، " تفسير البحر المحيط"، 231/4 ـــ 232 ـــ 233 .

[3] – أبو حيان، " تفسير البحر المحيط"، 4/ 232 .

– لغة: الحديث نقيض القديم، والحُدوث: نقيض القدمة، حَدَثَ الشيء والحدوثُ كون الشيء لم يكن، وأحدثه الله فحدث، وحدث أمر؛ أي وقع، واستحدثت خبرا؛ أي وجدتُ خبرا جديدا [1].

والحديث أيضا : الجديد من الأشياء، والحديث الخبر يأتي على القليل والكثير، والجمع أحاديث[2].

والحديث والخبر مترادفان، بل الحديث يأتي على قليل الخبر وكثيره؛ لأنه يأتي شيئا فشيئا [3]، وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى: **[هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى]** [4] و **[هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ]** [5] أي خبر موسى وخبر الغاشية.وقد وردت آيات في القرآن الكريم استُعمل فيها لفظ (الحديث) مرادا به القرآن الكريم، نحو قوله تعالى:**[فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا]** [6]،كما وردت لفظة حديث بمعنى البلاغ في قوله تعالى: **[وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ]**[7]؛ أي بلّغ ما أُرسلت به.

وقد استعمل سيبويه مصطلح الحديث في كتابه بمعنى الكلام [8]، وهذا ما يظهر مثلا في قوله:"ومن هذا الباب، ألزمت الناس بعضَهم بعضا وخوفت الناس ضعيفَهم قويَّهم"، فهذا معناه في الحديث المعنى الذي في قولك "خاف الناس ضعيفُهم قويَهم"[9].

ـــ اصطلاحا: من حيث الرواية، هو كما قال الشيخ ابن تيمية (ت 728 هـــ): الحديث النبوي هو عند الإطلاق ينصرف إلى ما حُدّث به عنه بعد النبوة، من قوله وفعله وإقراره [10]، فالقول نحو ما رُوي أنّه

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب،2/ 131، ويُنظر: إبراهيم مصطفى وحامد عبد القادر وأحمد حسن الزيات ومحمد علي النجار، "المعجم الوسيط"، دار الدعوة، استانبول، تركيا، ص: 158.

[2] – ابن منظور، "لسان العرب"، 133/2.وينظر: الفيروزآبادي، "القاموس المحيط"، ص: 194.

[3] – محمود فجال،"الحديث النبوي في النحو العربي"،دار أضواء السلف،المملكة العربية السعودية، الرياض،ط2،1997،ص 50.

[4] ـــ الآية: 15 من سورة النازعات .

[5] ـــ الآية : 01 من سورة الغاشية .

[6] ـــ الآية : 06 من سورة الكهف.

[7] ـــ الآية : 11 من سورة الضحى.

[8] – نوار عبيدي، "التركيب في المثل العربي القديم: دراسة نحوية للجملة الاسمية"، مطبعة المعارف، ط1، 2005، ص: 35.

9 – سيبويه، "الكتاب"، 1/ 206.

10 – ابن تيمية، "علم الحديث"، تحقيق وتعليق: موسى محمد علي، دار الفكر، الجزائر، دمشق، سوريا، ط3، 1993، ص: 55، ويُنظر: محمد بيومي مهران، "دراسات تاريخية من القرآن الكريم في بلاد العرب"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،1404هـ/ 1988، ص: 91، ويُنظر: محمد الزفزاف، "التعريف بالقرآن والحديث"، مكتبة الفلاح، الكويت، ط 4، 1984، ص: 233 – 234.

عليه الصلاة والسلام، قال:«**إنّما الأعمال بالنيات، وإنّما لكلّ امرئ ما نوى**»[1]، والفعل نحو ما رُوي أنّه أنّه عليه الصلاة والسلام كان يتخوّل

أصحابه بالموعظة، وأنّه كان يعلّمهم أعمال الصلاة ومناسك الحج، والتقرير أن يصدر من أصحابه عمل أو قول في حضرته، أو يبلغه، ثمّ لا ينكره عليهم، بل يسكت ويظهر عليه أمارات الرضا، كالذي رُوي عنه أنّه لم ينكر على من أكل ضبّا على مائدته.[2]

وقيل: يُضَمُّ إلى مشتملات الحديث أيضا ما كان من وصف خَلْقي له، ككونه كان عليه

الصلاة والسلام ربعه غير طويل ولا قصير، أو خُلُقيّ، ككونه كان أجود من الريح المرسلة في رمضان، و لا يواجه أحدا بمكروه.[3] وعلى هذا يكون الحديث شاملا للحديث المرفوع[4] والحديث الموقوف[5]؛لأنّ كلاّ منهما مضاف إليه عليه الصلاة والسلام.

وهناك من العلماء من عرّف الحديث بأنه: ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل فقط، أما فيما يخص التقرير والأوصاف بنوعيها، فليست من مفهوم لفظ الحديث. وقيل أيضا هو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول فقط[6].

2 – 3 – 2: الفرق بين الحديث والسنة :

جعل بعض العلماء الحديث والسنّة مترادفين؛ فوضعوا لهما التعريف نفسه، في حين جعل علماء آخرون السنّة أعمّ من الحديث، فخصوا الحديث بأقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله، وجعلوا السنة شاملة

---

1 – البخاري، " الصحيح "، كتاب الإيمان و النذور، باب النية في الأَيْمان، رقم الحديث: 6689، ص: 779 .

2 – يُنظر: محمد الزفزاف، "التعريف بالقرآن والحديث"، ص: 234، ويُنظر: بكري شيخ أمين، "أدب الحديث النبوي"، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط3، 1396 هـ/1976 مـ، ص: 10.

3 ــ محمد الزفزاف، ، "التعريف بالقرآن والحديث"، ص: 234 .

4 – المرفوع: وهو ما أضيف إلى النبي صلى الله ليه وسلم قولا أو فعلا عنه، أو تقريرا، سواء أضافه صحابي أو تابعي، ولا يكون متصلا دائما فقد يسقط منه الصحابي، فيكون مرسلا، وقد يسقط منه رجل واحد، فيكون منقطعا، أو يسقط منه رجلان متتابعان فيكون معضلا، يُنظر: شرف الدين علي الراجحي، "مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوي عند العرب"، دار النهضة العربية، بيروت ــ لبنان، ط1، 1983، ص: 91.

5 – الموقوف: وهو الذي تقف سلسلة إسناده عند الصحابي، أو ما عرّفوه بقولهم: "هو ماروي عن الصحابة من قول له، أو فعل، أو تقرير متصلا كان أو منقطعا"، يُنظر: شرف الدين علي الراجحي، "مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوي عند العرب"، ص: 91 . عن أحمد شاكر، "الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث"، ص: 50.

6 – يُنظر: محمد الزفزاف، "التعريف بالقرآن والحديث"، ص: 234 .

للأقوال والأفعال، وغيرها، مما سبق ذكره، أو خصوا الحديث بالأقوال فقط، وجعلوا السنة تشمل ما عداه[1].

وقال النووي بخصوص هذا الإشكال في قضية الحديث والسنة، وإذا ما كان هناك فرق بينهما أم لا: "وأصحُّ مصنّف في الحديث، بل في العلم مطلقا: الصحيحان"، يُريد صحيحي البخاري ومسلم، وإنّ كلاّ من البخاري ومسلم سمى كتابه: الصحيح من الحديث[2]، على أنّ كلاّ من الصحيحين لم يشمل على ما نُقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من القول فقط، بل شمل أيضا الفعل والتقرير، فابن تيمية مثلا في بعض فتاويه قال: الحديث النبوي هو عند الإطلاق ينصرف إلى ما حُدّث به عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد النبوة من قوله، وفعله، وإقراره، فإنّ سنته ثبتت من هذه الوجوه الثلاثة: [3]

والسنة في اللغة تُطلق على الطريقة، يُقال سنّه فلان في عمله كذا؛ إذا أريد طريقته التي يتّبعها في هذا العمل، وعلى ذلك إذا أضيفت السنة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فقيل: سنته صلى الله عليه وسلم كذا، كان المراد: كل ما أُثِر عنه من قول أو فعل أو تقرير، فإنّ ذلك كلّه يُبين طريقته التشريعية[4].

2 – 3 – 3: أقسام الحديث ودرجاته: ليست الأحاديث المرويّة على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم بدرجة واحدة في الصحّة والضعف، وإنما فيها الصحيح والضعيف والمتناهي في الصحة، والمتناهي في الضعف، وما بين بين، ولتسهيل معرفة هذه الأقسام اتفق معظم العلماء على تقسيمها إلى ثلاثة أقسام رئيسة: صحيح وحسن وضعيف. [5] أما بالنسبة للحديث الموضوع، فليس حديثا في الواقع، لكنّ العلماء أطلقوا عليه في أوّل الأمر اسم الحديث، وبعد أن درسوه متنا وسندا تبيّن لهم وضعه، فأخرجوه من زمرة الحديث، وما تسميتهم له باسم "الحديث" إلا باعتبار ما كان قبل فحصه ودراسته أمّا بعد ذلك فهو خارج عن هذه التسمية، ويحرم نقله وروايته. [6]

---

[1] – محمد الزفزاف، " التعريف بالقرآن والحديث "، ص: 234 .

[2] – محمد الزفزاف، " المرجع نفسه "، ص: 190 .

[3] – محمد الزفزاف، "المرجع نفسه "، ص: 199.

[4] - يُنظر: محمد الزفزاف، "التعريف بالقرآن والحديث"، ص: 198.

[5] – يُنظر: بكري شيخ أمين، "أدب الحديث النبوي"، ص: 83.

[6] – يُنظر: بكري شيخ أمين، " أدب الحديث النبوي "، ص: 83 .

2 – 3– 3 –1:الحديث الصحيح: هو الحديث المسند[1] الذي يتصل بنقل العدل[2] الضابط[3] عن العدل الضابط إلى منتهاه، و لم يكن شاذا[4] أو معلّلا[5]. وشرط الصحيح أن تصل سلسة الإسناد إلى الرسول الرسول صلى الله عليه وسلم متصلة من راوي الحديث وهو أول مراتب الحديث عند المحدثين، وتتفاوت درجات لصحيح بحسب قوة شروطه[6]. وينقسم الحديث الصحيح إلى قسمين: [7]

– صحيح لذاته: وهو ما اشتمل من صفات القبول على أعلاها.

– صحيح لغيره: وهو ما صحح لأمر أجنبي عنه، كأن يكون رواته مشهورين بالعدالة والضبط، إلاّ أنهم أدنى رتبة من رجال الصحيح لذاته، فهذا الحديث في أصله يُسمى: "الحسن"؛ فإذا رُوِي الحديث من وجه آخر، ارتقى بهذه الرواية من درجة الحُسن إلى درجة الصحة؛ ولذلك سمي بالصحيح لغيره .

وقد قام علماء الحديث بتوزيع الحديث الصحيح بحسب روّاته إلى ثلاثة أنواع: [8]

– متواتر: وهو الذي يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم عدد كثير عن عدد كثير إلى حين تدوينه، بحيث تمنع كثرتهم من تواطئهم على الكذب.

– مشهور: وهو الذي بدأت روايته عن الرسول ε بآحاد، وانتهت بتواتر.

– آحاد: وهو الذي يرويه آحاد عن آحاد.

وقد قام العلماء بترتيب مراتب الأحاديث الصحيحة المدوّنة في كتب الحديث، وصنّفوها درجات، هي كما يلي مرتبة من الأعلى إلى الأدنى:

ـــ ما اتفق عليه البخاري ومسلم.

---

[1] - المسند: هو الذي اتصل إسناده من راويه إلى منتهاه.

[2] - العدل: هو الرجل المسلم الصالح الذي لا تُعرف عنه معصية.

[3] - الضابط: هو الرجل المسلم الحافظ الذي لا يخطئ في رواية الحديث إلا نادرا.

[4] - الشاذ: هو مخالفة روايات الثقات مع عدم إمكان الجمع بينه وبين من خالفه.

[5] - – المعلل: هو الموجود فيه علة خفية تقدح في صحته، يُنظر: عز الدين بليق، "منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين"، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1398 هـــ/ 1978 مـــ، ص:47، ويُنظر: عبد الله محمود شحاتة، "مفتاح السنة"، مطلعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي،1984، ص: 44.

[6] – شرف الدين علي الراجحي، "مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوي عند العرب"، دار النهضة العربية للطباعة النبوي"، ص: 81.

[7] – بكري شيخ أمين، " أدب الحديث النبوي"، ص: 84 .

[8] – بكري شيخ أمين، " أدب الحديث النبوي"، ص: 85 .

ـــ ما انفرد به البخاري.

ـــ ما انفرد به مسلم.

ـــ ما كان على شرطهما، وإن لم يُخرجاه.

ـــ ما كان على شرط البخاري.

ـــ ما كان على شرط مسلم.

ـــ ما صححه غيرهما من الأئمة.

2 – 3 – 3–2:الحديث الحسن: تعريفه هو تعريف الصحيح لذاته نفسه، إلاّ أنّ أحد روّاته خفّ حفظه عن حفظ العدل الضابط [1] ، وهذا يسمى: الحسن لذاته.وثمة نوع آخر منه يسمى: الحسن لغيره، وهو الذي يأتي من طرق متعددة في مفرداتها ضعف يسير فيرتقي الحديث بها لدرجة الحسن لغيره، بل إلى درجة الصحيح لغيره أحيانا، وذلك إذا كثرت أسانيده، وهو حجة عند أهل العلم، كالصحيح إلا أنّه يصبح مرجوحا عند التعارض مع الصحيح، ويُرجّح الصحيح عليه[2].

وهناك فرق بين الحديث الحسن والحديث الضعيف، وهذا الفرق يتجلىّ في ضبط الحديث، فإذا كان الراوي خفيف الضبط فحديثه حسن، وإذا كان تامّ الضبط فحديثه صحيح، مع توافر السلامة من الشذوذ والعلة في كلا النوعين[3].

2 – 3 – 3 –3: الحديث الضعيف: هو الحديث الذي لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح، ولا صفات الحديث الحسن، فهو أدنى في سنده من رتبة الصحيح والحسن، أو وُجد فيه علّة قادحة[4].

وتندرج مراتب الضعف تبعا للثغرات التي حدثت في الحديث، وقد وضع العلماء لكلّ نوع من أنواع الضعيف اسما معيّنا، ومن تلك الأسماء: المرسَل والمنقَطِع، والمعضل، والمدلّس، والمضطرب، والمقلوب، والشاذ، والمنكر، والمتروك، والمعلّل[5].

---

[1] – يُنظر: عزّ الدين بليق، "منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين"، ص: 48 ويُنظر: عبد الله محمود شحاتة، "مفتاح السنة"، ص: 44، و بكري شيخ أمين، "المرجع السابق"، ص: 86.

[2] – عزّ الدين بليق، "منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين"، ص: 48 .

[3] – بكري شيخ أمين، "أدب الحديث النبوي"، ص: 86.

[4] – بكري شيخ أمين، " المرجع نفسه "، ص: 87.

[5] – بكري شيخ أمين، "المرجع نفسه"، ص: 87.

وإذا ما عدنا إلى الكتب الخاصة بعلم الحديث نجد أن أصحاب الاختصاص قد قسموا الأحاديث باعتبار أحوال الرواة وصفاتهم، وأحوال المتون وصفاتها إلى أنواع كثيرة أَوْصَلَها بعضهم إلى مائة، وعدّدها النووي في التقريب خمسة وستين نوعا[1].وذكر ابن كثير خمسة وستين نوعا. أمّا الإمام السيوطي، فقد ذكر في ألفيته[2] التي نظمها في

علم الحديث وأقسامه حوالي اثنين وثمانين نوعا[3].

2 – 3 – 4: عملية تدوين الحديث:

لاشك أنّه لا يختلف اثنان من علماء السنة وجماهير المسلمين وكتاب السيرة في أنّ القرآن الكريم قد لقي عناية لا مثيل لها من الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم، ممّا جعله محفوظا في الصدور، مكتوبا في الرقاع والسعف[4] والحجارة واللحاف[5]، والأكتاف،[6] والأقتاب،[7] وقطع الأديم[8] لذلك وُجِد القرآن بعد وفاة الرسول صلى صلى الله عليه وسلم محفوظا مرتّبا لا ينقصه إلا جمعه في مصحف واحد[9].

أما السنة، فلم يكن شأنها كذلك رغم أنّها مصدر هام من مصادر التشريع في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، و لم يختلف أحد أنّها لم تدوّن رسميّا كما دُوِّن القرآن [10]، وقد أرجع العلماء السرّ في عدم تدوين الحديث في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عدة أسباب، من بينها:

ـــ أن الرسول صلى الله عليه وسلم وجه الكتّاب في أول نزول الوحي إلى كتابة القرآن

---

[1] – يُنظر: ابن تيمية، "علم الحديث"، ص: 81.

[2] – يُنظر: السيوطي،" الألفية في علم الحديث"، تصحيح وشرح: أحمد محمد شاكر، دار الرجاء، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص:1 – 2، وما بعدها، ويُنظر: ابن تيمية، "علم الحديث"، ص: 81.

[3] – يُنظر: ابن تيمية، "علم الحديث"، ص: 81.

[4] – السعف: جريد النخل، أو ورقه، وأكثر ما يقال إذا يبس.

[5] – اللحاف: ككتاب: حجارة بيض رقاق.

[6] – الأكتاف: جمع كتف: ظلع بأخذ من وجع في الكتف.

[7] – الأقتاب: جمع قتب، وهو خشب الرحل.

[8] – الأديم: الجلدُ المدبوغ.

[9] – يُنظر: عز الدين بليق، "منهاج الصالحين"، ص: 25، ويُنظر: بكري شيخ أمين، "أدب الحديث النبوي"، ص: 31.

[10] – عز الدين بليق، "منهاج الصالحين"، ص: 25.

وحده، ومنعهم من تدوين أيّ شيء آخر حتى حديثه هو نفسه [1]. وكان يقول: «**من كتب عنّي غير القرآن فليمحه، وحدّثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمّدا فليتبوّأ مقعده من النار** »[2]، فمن فمن هذا الحديث النبوي يتضح أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد نهى عن تدوين أحاديثه الشريفة وإن أباح روايتها مشافهة[3].فتشدّد الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن كان كبيرا، وقد سمع الصحابة نصيحته وأطاعوا أمره، وتفرغوا لكتابة القرآن دون غيره.

ـــ تذكر معظم المصادر المختصّة في علوم الحديث أنّ السبب الذي دفع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى نهي الكتّاب عن تدوين أحاديثه النبوية، هو خوفه من أن يختلط الحديث بالقرآن الكريم، والدليل على ذلك أنّه لما زالت الخشية وزال هذا المحذور، وعُرف القرآن ونهجه وأسلوبه، وتمكن المسلمون من حفظه وتدبّره، وميّزوه من الحديث، سمح الرسول صلى الله عليه وسلم بتدوين الحديث، وأذن في ذلك[4].

– كذلك خشي الرسول صلى الله عليه وسلم من أن يجمع كاتب آية قرآنية بحديث نبوي في صحيفة واحدة؛ فيؤدي ذلك إلى الخلط بينهما، وإذا كان الكاتب يميّز بين الآية والحديث، فإنّ إنسانا آخر قد لا يملك هذه القدرة على التمييز؛ فيُخلط بين الآية والحديث سهوا[5]، خاصة تلك الأحاديث الموجزة الحكيمة[6].

– وقد يكون هناك سبب آخر دفع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى النهي عن تدوين الأحاديث في أوّل الأمر، وهذا السبب هو خوفه من أن ينشغل المسلمون بالحديث عن القرآن، لكنه حين تمكن الصحابة من حفظ القرآن ودراسته سمح الرسول صلى الله عليه وسلم لمن يشاء أن يكتب من أحاديثه ما يشاء[7].

---

[1] – يُنظر: بكري شيخ أمين، "أدب الحديث النبوي"، ص: 31.

[2] – مسلم، أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت 261 هـــ)، "الصحيح : المعروف بالجامع الصحيح"، اعتنى به: خليفة الطعيمي، صيدا، بيروت، لبنان، 1424 هـــ/ 2004 مـــ، كتاب الزهد والرقاق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، الحديث رقم: 7510، ص: 1119.

[3] – يُنظر: محمد الزفزاف، "التعريف بالقرآن والحديث"، ص: 212.

[4] – يُنظر: بكري شيخ أمين، "أدب الحديث النبوي"، ص: 31 ــ 32.

[5] – بكري شيخ أمين، "أدب الحديث النبوي"، ص: 31 ــ 32.

[6] – عز الدين بليق، "منهاج الصالحين"، ص: 26.

[7] – يُنظر: بكري شيخ أمين، "أدب الحديث النبوي"، ص: 32.

ـــ أورد العلماء عاملا آخر ربما يكون سببا في منع الرسول صلى الله عليه وسلم لعملية تدوين الحديث، وهو أنّ عددا من الكتّاب كانوا لا يحسنون الكتابة إحسانا تاما، أمّا الذين يُحسنونها، فلم يكن النهي يشملهم، بدليل سماحه لعبد الله بن عمر بن العاص(ت65هـ)؛ الذي كان متمكّنا في ذلك من تدوين الحديث .[1]

كانت هذه بعض الأسباب التي لأجلها مُنع تدوين الحديث في بداية الدعوة، ولكن هذا لا يعني أبدا أنّ الكتاب المجيدين كانوا ممنوعين من تدوين الحديث، فعن أبي هريرة رضي الله عنه(ت59هـ) أنه قال: "ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثا عنه منّي إلا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص، فإنّه كان يكتب وكنت لا أكتب"[2].

وروى الإمام أحمد ابن حنبل وغيره أنّ عبد الله بن عمرو بن العاص كان يكتب كل شيء يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرضا والغضب، فنهته قريش، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "اُكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج

مني إلاَّ حقٌّ"[3]، وصحيفة عبد الله التي كان يكتب بها، تسمى: "الصحيفة الصادقة" [4]فعبد الله أخذ أخذ الرخصة في هذا التدوين من الرسول صلى الله عليه وسلم.

وعن أبي هريرة "أنّ رجلا من الأنصار كان يجلس إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيستمع منه الحديث، فيعجبه ولا يحفظه، فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**استعن بيمينك، وأومأ إلى الخط**»"[5].

كما ثبت أنّ عليا رضي الله عنه(ت40هـ) كان يكتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أبي جُحَيْفة قال: "قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله، أو فهم أُعْطِيَه رجل مسلم، أو

---

[1] – بكري شيخ أمين، "أدب الحديث النبوي"، ص: 32 .

[2] – صبحي الصالح، "علوم الحديث ومصطلحاته"، دار العلم للملايين، بيروت ـــ لبنان، 1999، ص: 20.و البخاري، " الصحيح"، كتاب العلم، باب كتابة العلم ، الحديث، رقم: 113، ص: 24 .

[3] – أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني،" المسند "، مؤسسة قرطبة، مصر، دط، "مسند عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، وآخر مسند عمرو بن العاص رضي الله عنهما"، 162/2 .

[4] – يُنظر: عز الدين إسماعيل، "المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي"، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د.ط)، و(د.ت)، ص: 20.

[5] – بكري شيخ أمين، "أدب الحديث النبوي"، ص: 33 .

ما في هذه الصحيفة، قال: قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل[1] وفِكاك الأسير، ولا يُقتل مسلم بكافر"[2].

وعلى كلّ حال، فإنّ الرسول صلى الله عليه وسلم أذن بالكتابة إذنا عاما حين نزل أكثر الوحي وحفظه الكثيرون، وأمن اختلاطه بسواه، فقال عليه السلام: «**قيّدوا العلم بالكتاب**»[3]، ورُوي أن خزاعة قتلوا رجلا من بني ليث – عام فتح مكة – بقتيل منهم قتلوه، فأُخبِر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فركب راحلته فخطب،فقال: فمن قتل فهو بخير النَظَرَيْن إمّا أن يُعقل، وإمّا أن يُقاد أهل القتيل"[4] مريدا بالعقل أن يُدفع لأهل القتيل الدية، وبالقود القصاص من القاتل، فجاء رجل من أهل اليمن فقال: أكتب لي يا رسول الله فقال:اُكتبوا لأبي فلان"[5]؛أي الخطبة التي سمعها عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وعلى كل حال، فما يُتّفق عليه أو يكاد يُتّفق عليه، هو أنّ الحديث النبوي دوّن بصفة عامة ورسمية في نهاية القرن الأول الهجري، و لم يكد ينتهي القرن الثالث حتى كانت السنة كلّها مدوّنة في الكتب من صحاح وسنن ومسانيد[6]، وأنّ بعض الصحابة كانوا يُدوّنون في القرن الأول الهجري، لا سيما سيما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلّم[7].

ويروي ابن حجر في شرح البخاري أنّ أوّل من جمع ذلك: الربيع بن صبيح (ت 160 هـــ)، وسعيد بن أبي عَروبَة (ت 156 هـــ)، إلى أن انتهى الأمر إلى كبار الطبقة الثالثة، من أمثال الإمام مالك (ت 179 هـــ) بالمدينة، وعبد الملك بن جريح (ت 150 هـ) بمكة، والأوزاعي (ت 157 هـــ) بالشام،

---

[1] – العقل: الدية، وإنما سميت بذلك؛ لأنهم كانوا يعطون فيها الإبل، ويربطونها بفناء دار المقتول بالعقال، وهو الحبل.

[2] – البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برد زبة (ت 256 هـــ)، " الصحيح "، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1423 هـــ/ 2002 مـــ، كتاب العلم، باب كتابة العلم، الحديث رقم: 111،ص: 24 .

[3] – يُنظر: بكري شيخ أمين، "أدب الحديث النبوي"، ص: 33.

[4] – يُنظر: البخاري، "الصحيح "،كتاب العلم، باب كتابة العلم، الحديث رقم: 112، ص: 24، ويُنظر: العسقلاني، "فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري"، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر،دط، دت، 1/ 205.

[5] – يُنظر: البخاري، "الصحيح "، كتاب العلم، باب كتابة العلم، الحديث رقم: 112، ص: 24، ويُنظر: العسقلاني، " فتح الباري"، 1/ 205.

[6] – المسانيد هي كتب الحديث التي ألقيت في القرن الثاني الهجري، وأشهرها: مسند معمر بن راشد (ت 152 هـــ)، ومسند الطالسي (ت 204 هـــ)، ومسند الحميدي (ت 219 هـــ)، ومسند الإمام أحمد بن حنبل (ت 241 هـــ)، ومسند الديلمي والشافعي، وغيرها، يُنظر: محمد بيومي مهران، "دراسات تاريخية من القرآن"، ص: 96.

[7] – يُنظر: محمد بيومي مهران، "دراسات تاريخية من القرآن"، ص: 96 .

وسفيان بن الثوري (ت 161 هـ) بالكوفة، وحماد بن سلمة بن دينار(ت167 هـ) بالبصرة، والليث بن سعد(ت175 هـ) بمصر، وهيثم (ت 188 هـ) بواسط، ومعمر بن اليمن (ت153 هـ)، وابن المبارك (ت 181 هـ) بخراسان، وجرير بن عبد الحميد بالري، وكلّ هؤلاء من رجال القرن الثاني.وكانت مجموعات الحديث مختلطة بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين، ثم تلاهم كثير من الأئمة في التصنيف حسب ما سُنح له وانتهى إليه علمه[1].

2 – 3 – 5:الدقة المتبعة في تدوين الأحاديث:

اِتّبع العلماء المسلمون الدقّة ـــ كل الدقة ـــ في تدوين الحديث؛ إذ كانت الأحاديث تُروى عن طريق سلسلة الحفاظ، أو ما يُعرف بالسند أو الإسناد، حتى تصل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، أو إلى السلف الأوّل من الصحابة أو التابعين أو تابعي التابعين[2]، هذا إلى جانب تقويم الرواة وتعديلهم أو تجريحهم، ووضعهم في درجات متفاوتة من الثقة فيما يروون[3]، ويرى الإمام مسلم أنّهم لم يكونوا يسألون يسألون عن الإسناد، فلمّا وقعت الفتنة قالوا: "سمّوا لنا رجالكم"[4].

وقد أبدعت الثقافة الإسلامية في هذا المجال فنّا قائما بذاته، هو: "الجرح والتعديل" [5] فما المقصود يا ترى بالجرح والتعديل؟

ـــ المقصود بالجرح: كشف أحوال روّاة حديث الرسول صلى الله عليه وسلم مما يُشينهم ويطعن في روايتهم. والتعديل: إظهار الأسباب الموجبة لقبول رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من

---

[1] – يُنظر: النيسابوري، الإمام الحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ، "معرفة علوم الحديث"، اِعتناء: السيد معظم حسين أبو عبيد البكري، د.دار النشر، د.ط، د.ت، ص: 241 ــ 142 ،245، ويُنظر: الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى يُردي (ت 874 هـ)، "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، تحقيق: إبراهيم علي طرحان، المؤسسة المصرية العامة ، ، (د.ط)، (د.ت)، 1/ 351، ويُنظر: أحمد أمين، "فجر الإسلام"، ص: 222. و السيوطي، "تاريخ الخلفاء" تحقيق: قاسم السماعي الرفاعي، ، محمد العثماني، دار الأرقم بن أبي الأرقم، لبنان، دط، دت، ص: 107، ويُنظر: محمد بيومي مهران، "دراسات تاريخية من القرآن"، ص: 95.

[2] – ابن خلدون، "المقدمة"، ص: 462 ، ويُنظر: النيسابوري، "كتاب معرفة علوم الحديث"، ص: 17، ويُنظر: محمد بيومي مهران، "دراسات تاريخية من القرآن"، ص: 96.

[3] – يُنظر: ابن خلدون، "المقدمة"، ص: 462، ويُنظر: النيسابوري، " كتاب معرفة علوم الحديث"، ص: 52 – 53.

[4] – يُنظر: مسلم،" "الصحيح "، باب: بيان أنّ الإسناد من الدين، وأنّ الرواية لا تكون إلا عن الثقات، وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب وأنه ليس من الغيبة المحترمة بل من الذبّ عن الشريعة المكرّمة، ص: 17(المقدمة).

[5] – أحمد أمين، "فجر الإسلام"، ص: 209 –210.

رجال السند، وقد عرّف العلماء هذا العلم؛ أي علم الجرح والتعديل بأنّه " علم يبحث في أحوال الرواة، جرْحا أو تعديلا، بألفاظ مخصوصة، واصطلاحات منضبطة"[1].

وعرّف عزّ الدين بليق علم الجرح والتعديل،أو علم ميزان الرجال كما يسميه بأنه: "علم يبُحث فيه عن أحوال الرواة وأمانتهم، وثقتهم، وعدالتهم وضبطهم، أو عكس ذلك من كذب أو غفلة أو نسيان، وهو علم جليل من أجلّ العلوم التي نشأت عن تلك الحركة المباركة، لا نعرِف له مثيلا أيضا في تاريخ الأمم الأخرى، وقد أدى إلى نشأة هذا العلم حرص العلماء على الوقوف على أحوال الروّاة، حتى يميّزوا بين الصحيح وغيره، فكانوا يختبرون بأنفسهم من يعاصرونهم من الرواة، ويسألون السابقين ممن لم يعاصروهم،...، ويُعلنون رأيهم فيهم دون تحرج ولا تأثر؛ إذ كان ذلك ذبّا عن دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم"[2].

لقد كان لعلماء الإسلام هدف نبيل دفعهم لمثل هذا العلم؛ إذ الغاية لم تكن الجرح للجرح نفسه، ولا كشف نقائص الرجال للتشفّي والإيذاء وإيقاع الضرر، والرغبة في الإذلال والدفع إلى الهوان، بل غايتهم كانت نبيلة تسمو إلى آفاق الشريعة فتحميها من كلّ عبث، وتصونها من كل دخل، وتنزّهها من كل شائبة، وفي سبيل مصلحة الإسلام

والمسلمين يهون جرح من يستحق الجرح، وتعديل من يستحق التعديل [3].قال الإمام النووي: "اعلم أنّ جرح الروّاة جائز، بل واجب بالاتفاق للضرورة الداعية إليه، لصيانة الشريعة المكرّمة، وليس هو من الغيبة المحرّمة، بل من النصيحة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وللمسلمين، ولم يزل فضلاء الأئمة وأخيارهم، وأهل الروع منهم يفعلون ذلك." [4] فبتأليف الكتب المختصة في هذا العلم أصبح سهلا اليوم على أي باحث أن يجد في مثل هذه المؤلفات تاريخ أيّ رجل يمرّ به اسمه في كتب الحديث.

2 – 3 – 6:منزلة الحديث النبوي في الاستشهاد اللغوي:

[1] – بكري شيخ أمين، "أدب الحديث النبوي"، ص: 63.

[2] – عز الدين بليق، "مناهج الصالحين"، ص: 41.

[3] – يُنظر: بكري شيخ أمين، "أدب الحديث النبوي"، ص: 64.

[4] – بكري شيخ أمين، "المرجع نفسه"، ص: 64 . عن قواعد التحديث، ص: 188 .

يحتلّ الحديث النبوي الشريف المرتبة الثانية بعد كلام الله العزيز من حيث فصاحته وبلاغته؛لذلك من المفروض أن يأتي بعده في صحّة الاستشهاد به في مختلف علوم العربية؛
لأنّه كلام أفضل خلق الله.

ولكنّ الحقيقة التي نقف عليها عندما نعود إلى الكتب التي صُنّفت في علوم العربية هي حقيقة مغايرة لما نتوقّعه؛ حيث أنّنا نجد أصحاب هذه المؤلفات يكثرون من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف؛ عندما يتعلق الأمر بمواضع أدبيّة أو بلاغية أو تفسيريّة، في حين يتردّدون في الاستشهاد به في علمي النحو والصرف؛ ذلك أنّ هذين العلمين يعتمدان في وضع القواعد والأصول ضبط أصوات الكلمة قبل التركيب وبعده، وأنّ أيّ تغيير في أبنية الكلمات أو في ضبط أواخرها يؤدي إلى تغيّر حكمها النحوي. والمعنى الذي سيقت من أجله[1].

فقد كان من المنهج الحق بالبداهة أن يتقدّم الحديث سائر كلام العرب من نثر وشعر في الاستشهاد اللغوي ؛ إذ لا تعهد العربية في تاريخها بعد القرآن الكريم بيانا أبلغ من الكلام النبوي ولا أروع تأثيرا، ولا أفعل في النفس، ولا أصحّ لفظا ولا أقوم معنى، ولكنّ ذلك لم يقع كما ينبغي؛ لانصراف اللغويين والنحويين المتقدمين إلى ثقافة ما يزوّدهم به رواة الأشعار خاصّة انصرافا استغرق جهودهم، فلم يبق فيهم لرواية الحديث ودرايته بقيّة، فتعلّلوا بعدم استشهادهم بعلل كلّها وارد بصورة أقوى على ما استشهدوا به هم أنفسهم من شعر ونثر[2].فاستشهاد النحاة بالحديث النبوي كان قليلا جدا إذا ما قيس بغيره من المصادر السماعية الأخرى.

فإذا أخذنا على سبيل المثال كتاب سيبويه، فإنّنا نجده استشهد بأحاديث قليلة جدا مقارنة بما استشهد به من آيات قرآنية وأشعار، وسيبويه مع استشهاده بهذه الأحاديث فهولا يصرّح بأنّ هذه العبارات التي استشهد بها في كتابه هي أحاديث للرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا يعني أنّ سيبويه كان

[1] – يُنظر: خديجة الحديثي، "موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف"، ص: 5.

[2] – يُنظر: سعيد الأفغاني، "أصول النحو"، ص: 46.

يعدّ الحديث النبوي داخلا في كلام العرب، وليس قسما مستقلاّ بذاته، وهذا هو السبب في عدم تعرّض النحاة الأوائل له حين كلامهم عمّا يصحّ الاستشهاد به[1].

وبما أن سيبويه هو عميد نحاة العرب، فإنّ العلماء الذين أتوا من بعده ساروا على نهجه في القرون الأولى، فلم يُكثروا من الاستشهاد بالحديث النبوي في مصنّفاتهم النحوية [2].إلاّ أنّ عناية بعضهم زادت عن عناية سيبويه، فهاهو الفرّاء مثلا قد استشهد في "معاني القرآن" بنحو ثلاثة عشر حديثا، إلاَّ أنّه استشهد بأربعة منها فقط صراحة، كحديث «**لتأخذوا مصافّكم**»[3]. أمّا الأحاديث الأخرى فقد كانت شواهد لظواهر لغوية عامة لا نحوية خاصة[4].

أمّا المبرّد، فقد تابع سيبويه في الأحاديث التي استشهد بها نقلا عنه، و لم ينسبها إلى الرسول صلى الله عليه وسلّم، ولا إلى قائلها، وإن كان من أهل البيت أو الصحابة رضوان الله عنهم، أمّا غيرها من الأحاديث،فقد نسبها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، أو قدّم لها بما يدلّ على أنها من الحديث، أو من النثر، وكذا فعل من جاء بعدهم من النحاة[5].

والذي نستخلصه مما سبق، هو أنّ نحاة القرنين الأول والثاني قد استشهدوا بالحديث النبوي في علمي النحو والصرف، ولكن بنسبة ضئيلة جدّا مقارنة بما استشهدوا به في علوم العربية الأخرى؛ التي أكثروا فيها من الاستشهاد بالحديث.

وعلى هذا يكون القرنان: الأول والثاني، قد أُهمل فيهما استقراء لغة الحديث النبوي، وما أورده سيبويه والفراء لا يُذكر بجانب المنابع اللغوية الثلاثة الأخرى من قرآن وشعر، وعامّة كلام العرب.

وظل الأمر على هذا المنهاج حتى نهاية القرن الرابع للهجرة، فرغم محاولة المبرد والفارسي الزيادة من اعتماد لغة الحديث النبوي الشريف، إلاَّ أنهما لم يجعلا منه موردا جديدا للاستقراء، كما سيظهر مع المتأخرين وبخاصة نحاة الأندلس، بل إنّ من خلفوهما في المشرق بعد هذا القرن لم يفعلوا شيئا جديدا،

---

[1] – يُنظر: عبد القادر رحيم الهيتي، "خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري"، ص: 159، ويُنظر: محمود سليمان ياقوت، "مصادر التراث النحوي"، ص: 83.

[2] – يُنظر: خديجة الحديثي، "موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف"، ص: 5.

[3] – ورد برواية مؤدّاها: « لتأخذوا مناسككم »، مسلم، " الصحيح"، كتاب الحجّ، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا، رقم الحديث:3705 ، ص: 470، و"الفراء "معاني القرآن"، 1/ 316.

[4] – يُنظر: محمد خيري الحلواني، "أصول النحو العربي"، ص: 52 ــ53.

[5] – خديجة الحديثي، "موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف"، ص: 6.

وهذا واضح في مؤلّفات الزمخشري وابن الشجري والأنباري، ومن عاصرهم حتى القرن السادس للهجرة[1].

[1] – يُنظر: محمد خيري الحلواني، "أصول النحو العربي"، ص: 53.

2 – 3 – 6 –1: أوّل من تنبه لظاهرة انصراف علماء النحو المتقدّمين عن الاستشها د بالحديث:

لم يبق الحال على ما هو عليه بالنسبة لظاهرة الاستشهاد بالحديث في النحو، وذلك بمجيء القرن السادس، ففي الأندلس كانت قد انطلقت صرخة مدويّة قبل هذه المرحلة، وهذه الصرخة أطلقها ابن حزم، فأثرت تأثيرا بالغا في علماء هذا الصقع؛ حيث أن ابن حزم قام بمهاجمة النحاة الذين عنوا بالأعراب من شعراء ومتكلّمين وأهملوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يجعلوه حجة لهم لاستنباط القواعد[1].

ولاشكّ أنّ ابن حزم لم يكتف بصرخة واحدة حتى يُنبّه على ضرورة العودة للأحاديث النبوية واستقراء القواعد منها، بل كان يُكرّر ذلك في مجالسه العلميّة التي لم تكن تخلو من لغويّي الأندلس، وغيرهم، ومن أجل ذلك سَرَتْ في علماء تلك البلاد عادة جديدة هي أن يجعلوا من لغة الحديث موردا جديدا للاستقراء[2].

استمر الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في علمي النحو والصرف في ازدياد حتى جاء السهيلي وابن مالك؛ فأكثرا منه هذه الكثرة التي نبّهت الباحثين المتأخرين كابن الضائع وأبي حيان إلى البحث عن سبب عدم اعتماده في التقعيد النحوي الاعتماد اللائق به في بناء قواعد اللغة ، لا سيما أولئك الذين وضعوا قواعد النحو والصرف، وأصولهما من شيوخ المدرستين: البصرة والكوفة[3].

لقد اهتم الباحثون بموضوع الاستشهاد بالحديث منذ زمن ابن الضائع (ت680 هـ) 4 وتلميذه أبي حيان؛ حيث نسبا إلى الأوائل ترك الاستشهاد بالحديث ـــ حسب ما تنبها إليه أثناء شرحهما كتب ابن خروف وكتب ابن مالك ـــ حيث وجداهما يكثران من الحديث في

---

[1] – يُنظر: محمد خيري الحلواني، " أصول النحو العربي "، ص: 53 نقلا عن ابن حزم، " الفصل في الملل والأهواء والنحل"،107/3 ـــ 108

[2] – ينظر: محمد خيري الحلواني، "المصدر نفسه "، ص: 53.

[3] – خديجة الحديثي، "موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف"، ص: 6.

[4] – ينظر: السهيلي، " نتائج الفكر في النحو"، ص: 14 (مقدّمة المحقق) .

الاستشهاد ، فابن مالك استشهد استشهادا مطلقا في بناء قواعد جديدة يستدرك بها على السابقين قواعدهم وأصولهم وأحكامهم[1].

فبالرغم من كون النحاة الأوائل قد دأبوا على الاستشهاد بالحديث النبوي في مختلف العصور التي عاشوا فيها، والمدارس التي انتهوا إليها[2]. فإن ابن الضائع وتلميذه أبو حيان أحسَّا بأنّ كتب النحو المتقدّمة على ابن خلدون وابن مالك لم تكن تستشهد بالحديث بهذه الكثرة، وبما أنّ سيبويه لم يكن يصرّح بالحديث نسبا إليه وإلى شيوخه وتلاميذهم ترك الاستشهاد به، وحاولا أن يوجدا تعليلا لما اعتقداه من موقف الأوائل منه[3].فلو أن النحاة الأوائل أمثال سيبويه، وشيوخه، ومن عاصرهم، أو جاء بعدهم من بصريين وكوفيين حاولوا أن يبيّنوا لنا أ يصحّ الاستشهاد بالحديث أم لا ؟ لكفّوا النحاة من بعدهم عناء هذا التخبّط، ولما بقي النحاة منذ زمن أبي حيان يأتون بآراء متناقضة، يتجادلون ويختلفون، ويتحامل بعضهم على بعض.

بقي النحاة صامتون عن الخوض في هذا الأمر،حتّى جاء ابن الضائع(ت680 هـــ)، الذي كان أوّل من نُقل عنه أنّه أشار إلى استشهاد النحويين بالحديث، فقد نَقَلَ عنه السيوطي أنّه علّل عدم استشهاد النحاة بالحديث بكونه مرويّا بالمعنى[4]، وهذا ما ذكر في كتابه "شرح الجمل":" تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندي في ترك الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث"[5].

وكان ابن الضائع أوّل من نسب لابن خروف (ت 609هـ) الإكثار من الاستشهاد بالحديث، وهذا ما يظهره قوله: "وابن خروف يستشهد بالحديث كثيرا "[6].

2 – 3 – 6 – 2:السبب في عدم استشهاد القدامى من النحاة بالحديث:

ثبت عن القدماء أنّهم قد استشهدوا بالحديث في اللغة والنحو، ولكنّهم لم يتعرّضوا للاستشهاد به منفردا عن غيره من كلام العرب؛ لأنهم عدّوه داخلا فيه كما فعل سيبويه والمبرّد [7]. وإن كان المبرّد قد

---

[1] – خديجة الحديثي، "موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف" ص: 6.

[2] – يُنظر: عبد القادر رحيم الهيتي، "خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري"، ص: 158.

[3] – خديجة الحديثي، "موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف"، ص: 6.

[4] – يُنظر: خديجة الحديثي، "المصدر نفسه"، ص: 16.

[5] – السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 54.

[6] – السيوطي، " المصدر نفسه "، ص: 54.

7 – عبد القادر رحيم الهيتي، "خصائص المذهب الأندلسي النحوي"، ص: 165.

نصّ على بعض الأحاديث التي لم ينصّ عليها سيبويه[1].ومع ذلك إذا ما قيس استشهاد القدماء بالحديث مع ما استشهدوا به من كلام العرب، فإنّ استشهادهم بالحديث كان أقلّ؛ وذلك لعدة أسباب، منها:[2]

– أن البيئة العراقية التي نشأ فيها النحو لم تكن في الأصل بيئة الحديث؛ إذ أنّ الحديث نشأ في الحجاز،قال أحمد أمين:"كانت مدرستا الحجاز في مكة والمدينة من أكثر المصادر

وخاصة فيما يتعلق بالحديث...؛لأنّ مكة منشأ النبي صلى الله عليه وسلم، والمدينة مهجره، وكلاهما منبت الصحابة من مهاجرين، وأنصار عاشروا النبي صلى الله عليه وسلم وحدّثوا عنه، وحكوا ما رأوا من أقوال وأفعال، وتناقل التابعون عنهم ما سمعوا"[3].

فأهل العراق إذًا لم يتعاطوا علم الحديث؛ لذلك انصرفوا عن الاستشهاد به في النحو، لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه[4].

ـــ أن الثقافة الغالبة في البيئة العراقية، وبخاصّة في البصرة والكوفة، هي الثقافة اللغوية والأدبية، ومن الطبيعي أن تخضع تلك الدراسة لاتجاه العلماء؛ فلقد اجتمع في البصرة والكوفة كثير من شعراء العرب، وكان أكثر روّاته من هذين البلدين، وتنافس البلدان في ذلك، فكانت المربد في البصرة والكناسة في الكوفة – ملتقى الشعراء – والأعراب يزوّدون علماء اللغة بهذه الذخيرة اللغوية، فيتلقّفها النحاة منهم، فيلاحظون ويستنبطون[5].يقول أبو الطيب اللغوي: "وجملة الأمر أنّ العلم انتهى إلى من ذكرنا من أهل العراقين ...ولا علم للعرب إلاّ في هتين المدينتين"[6].

---

1 – يُنظر: سيبويه، "الكتاب"، 1/ 123، 2،29/391، 414، 297/3، 234/4، و المبرد، "المقتضب"، 1/ 257،74، 470، 501، 499.

2 – عبد القادر رحيم الهيتي، "خصائص مذهب الأندلسي النحوي"، ص: 166.

3 – أحمد أمين، "ضحى الإسلام ، يبحث عن نشأة العلوم في العصر العباسي الأول "،دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 10 ، دت 2/ 75.

4 – محمود فجال، "الحديث النبوي في النحو العربي"، ص: 124 ،126.

5 – عبد القادر رحيم الهيتي، "خصائص مذهب الأندلسي النحوي"، ص: 166.

6 – أبو الطيب اللغوي، "مراتب النحويين"، ص: 119 ــ 120 .

والعلم الذي يقصده أبو الطيب هو علم العربية وما يتبعه من شعر ولغة؛ لذلك قال فيما بعد : " فأمّا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا نعلم بها إماما في العربية، قال الأصمعي : أقمت بالمدينة زمانا ما رأيت بها قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحّفة أو مصنوعة"[1].

والذي ساعد على ذلك أنّ الأمويين كانوا ذوي نزعة عربيّة، فاهتموا بالشعر العربي، وقرَّبوا إليهم الشعراء،وكان منهم : السمار والمؤدبون، وجاء من بعدهم السياسيون، فساروا على الطريق نفسه.[2]

ـــ أن هذه البيئة، وقد انطبعت بالطابع اللغوي كانت ترى في الشعر الجاهلي مستودع لغة العرب، وأنّ لغة البدو هي النموذج الرفيع الذي يجب أن يُحتذى، فتجمّع لديهم من تلك المادة الكثير، فكانت موضع الدراسة والاستنباط[3]. إضافة إلى كون دواوين الحديث لم تشتهر في الصدر الأول و لم تكن مستعملة استعمال الأشعار العربية والآية القرآنية، وإنما اشتهرت وكُثرت دواوينه بعد، فعدم استشهادهم به كان لعدم انتشاره بينهم ، وبالجملة فكون القدماء لم يستشهدوا بالحديث، فهذا لا يعني أنهم كانوا يمنعون ذلك كمل توهّم المتأخرون من المعارضين قضية الاستشهاد بالحديث[4].

2 – 3 –6 – 3:أسباب كثرة استشهاد نحاة الأندلس بالحديث:

هناك أسباب كثيرة دفعت نحاة الأندلس إلى الإكثار من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، نستطيع تلخيصها فيما يلي :

– **التحديد الزمني للاستشهاد بكلام العرب:** فبعد أن تطوّرت الدراسات النحوية في الأندلس وبدأ نحاة هذا المصر يحاولون أن يكوّنوا مدرسة خاصة بهم، كان لا بد أن يضعوا منهجا لهذه المدرسة، وبالتالي كان لا بدّ لهم أن يحدّدوا المادة اللغوية التي ينهلون منها، فأرادوا أن ينهلوا من العرب الأقحاح، فلم تتح لهم الفرصة؛ وذلك لكون فترة الاستشهاد بكلام العرب (شعرا ونثرا) قد حدّدت بنهاية القرن الثاني للهجرة بالنسبة للحضر، وبنهاية القرن الرابع بالنسبة للبدو [5]، وبذلك انقطع عن نحاة الأندلس منهج منهج لا عوض لهم عنه في الاستشهاد، وهو كلام العرب[6].

---

[1] – أبو الطيب اللغوي، " مراتب النحويين "، ص: 120، وينظر: عبد الجليل مرتاض، " في رحاب اللغة العربية "، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2004، ص: 97 .

[2] – عبد القادر رحيم الهيتي، "خصائص مذهب الأندلسي النحوي"، ص: 166.

[3] – عبد القادر رحيم الهيتي، " المصدر نفسه "، ص: 166 ــ167.

[4] – يُنظر: ابن الطيب الفاسي، "فيض نشر الانشراح من روض طيّ الاقتراح"، 1/ 77.

[5] – عبد القادر الهيتي، "خصائص المذهب الأندلسي النحوي"، ص: 176.

[6] – عبد القادر الهيتي، "المصدر نفسه"، ص: 176.

- **عدم تمكنهم من مشافهة الأعراب**: وذلك نتيجة لتوقف الاستشهاد بكلام العرب وتحديده في فترة زمنية معينة، ولبُعد نحاة الأندلس عن مناطق الأعراب؛ الذين كان نحاة المشرق القدماء يأخذون عنهم اللغة. [1]

- **انتشار الحديث في الأندلس**: وذلك لكونه منبعا من منابع الثقافة للعالم الإسلامي، وبخاصة لأهل المغرب والأندلس، فقد كان أهل الأندلس يرتحلون إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم،وفي الوقت نفسه كانوا يأخذون العلم عن أهلها فمدرستا الحجاز في مكّة والمدينة من أكثر المصادر، و بخاصة فيما يتعلق بالحديث، وما ينبني عليه من فقه، وما يتّصل بذلك من أخبار وسير، وذلك طبيعي؛ لأن مكّة منشأ النبي صلى الله عليه وسلم، والمدينة مُهاجَرُه [2]، واقتصر أهل الأندلس على الأخذ عن أهل المدينة منذ أن كان شيخها الإمام **مالك بن أنس**(ت179هـ)؛ الذي قلّدوه في مذهبه الفقهي، وبذلك كان الحديث واسع الانتشار في بلاد الأندلس[3].

- انتشار المذهب المالكي في الأندلس: حاول الموحّدون فرض مذهب أهل الظاهر في الأندلس، لكنّ كثيرين تمسّكوا بمذهب الإمام مالك، وكان هذا المذهب يعتمد اعتمادا كبيرا الحديث النبوي الشريف، حتّى لقّب بمذهب أهل الحديث .[4]

3: مواقف نحاة الأندلس من الاستشهاد بالحديث :

الكلام عن الحديث النبوي الشريف هو كلام عن منبع آخر فياض من المنابع التي أُهملت عند النحاة و لم يولوها أهمّية تليق بمقامها .[5]

وقد أثبتت أغلب المصادر أنّ الحديث النبوي الشريف لم يُدوّن في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كما دُوّن القرآن، وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى الناس عن تدوينه خلال حياته خشية اختلاط الحديث النبوي بآيات القرآن الكريم[6].

---

[1] – عبد القادر الهيتي، "المصدر نفسه"، ص: 177.

[2] – يُنظر: أحمد أمين، "ضحى الإسلام " ، 2/ 75.

[3] – يُنظر: عبد القادر رحيم الهيتي، "خصائص المذهب الأندلسي النحوي"، ص: 177.

[4] – يُنظر: المراكشي، عبد الواحد ، "المعجب في تلخيص أخبار المغرب"، ص: 231 – 232.

[5] – عبد المجيد عيساني، "النحو العربي بين الأصالة والتجديد: دراسة وصفية نقدية لبعض الآراء النحوية"، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص: 54.

[6] – سعيد حسن بحيري، "المدخل إلى مصادر اللغة العربية"، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2008، ص: 09.

واستمر أمر منع تدوين الحديث فترة طويلة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، غير أنه قد تهيأت بعد ذلك بواعث تدوينه، فقد استشهد عدد كبير من الصحابة حفظة الحديث النبوي في الغزوات، وخُشي من ضياع المصدر الثاني من مصادر تشكيل العقيدة الإسلامية [1]، فبدأت عملية تدوين الحديث النبوي. وهذا ما أشرت إليه سابقا.

وكان من نتائج عدم تدوين الحديث وجواز روايته بالمعنى دون لفظ النبي صلى الله عليه وسلم، أن وقف جمهور النحاة من الاستشهاد بالحديث والقياس عليه مواقف متباينة، فعلماء النحو المتقدمين مثلا وقفوا موقفا مغاليا من الاستشهاد بالحديث خشية النقد، فهم يعلمون في قرارة أنفسهم ما هو عليه من صحة الاستشهاد، ولكنهم يستحون من المعارضين في الاستشهاد والأخذ به في اللغة والقواعد النحوية[2].

أما نحاة الأندلس، فقد أكثروا وبالغوا في استشهادهم بالحديث،حتى أصبح ذلك ميزة في منهجهم النحوي وقد ظهرت هذه السمة بصورة واضحة عند كل من ابن خروف وابن مالك، كما أشار إلى ذلك كثير من القدماء والمعاصرين، ومنهم ابن الضائع؛ الذي يقول في حديثه عن ابن خروف "وابن خروف يستشهد بالحديث كثيرا، فإن كان على وجه الاستظهار والتبرك بالمروي فحسن، وإن كان يرى أن من قبله أغفل شيئا وجب عليه استدراكه، فليس كما رأى "[3].

كما أنكر هؤلاء المغالون على ابن مالك استشهاده في القواعد النحوية بالألفاظ الواردة في الحديث، وإثباته القواعد الكلّية في لسان العرب[4]، فأغلبية المصادر تذكر بأنّ ابن مالك هو أوّل نحويّ قام على يديه الاستشهاد بالحديث الشريف على وجه الاستدلال؛حيث كان يرى أنّ الحديث النبوي أقوى في الاستشهاد وأعظم في الاحتجاج

من غيره بعد القرآن وقراءاته طبعا؛ التي تأتي في المرتبة الأولى في الاستشهاد[5]، وقد ظهر الاستشهاد بالحديث وانتشر بين النحاة الأندلسيين في عصر الموحّدين؛ الذين كان منهم السهيلي وابن خروف[1].

---

[1] – سعيد حسن بحيري، "المدخل إلى مصادر اللغة العربية"،ص: 09.

[2] – ينظر: محمود عكاشة، "علم اللغة: مدخل نظري في علم اللغة العربية"، ص: 130.

[3] – يُنظر: السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 54.

[4] – محمود عكاشة ، "علم اللغة"، ص: 131.

[5] – ينظر: إبراهيم السامرائي، "المفيد في المدارس النحوية"، ص: 239.

لا يجب أن يُفهم من عدم استشهاد النحاة القدماء بالحديث الشريف أنّهم كانوا يحطّون من قدره أو من قدر صاحبه عليه أفضل صلوات الله، فكيف سيفكّرون في ذلك وهذه الأحاديث لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أفصح الخلق على الإطلاق، وهو سيدنا ومولانا وحبيب رب العالمين جلّ وعلا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، وأني نشأت في بني سعد بن بكر»[2]، وكان مسترضعا فيهم، وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء: أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم"[3].

ولفصاحته عليه الصلاة والسلام، فإنّ كلامه يُستدلّ منه مما ثبت أنّه قاله على اللفظ المروي، وذلك نادر جدا، إنّما يوجد في الأحاديث القصار على قلّة أيضا، فإنّ غالب الأحاديث مرويّ بالمعنى ، وقد تداولتها الأعاجم والمولّدون قبل تدوينها، فرَوَوْها بما أدّت إليه عباراتهم، فزادوا ونقصوا، وقدّموا وأخّروا، وأبدلوا ألفاظا بألفاظ، ولهذا يظهر الحديث الواحد في القصة الواحدة مرويّا على أوجه شتى وبعبارات مختلفة[4].

فإذًا، ربما يعود هذا الاختلاف حول الاستشهاد بالحديث إلى عدم تدوينه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا ما ذكرته سابقا، فقد كان الحديث النبوي يُروى شفويّا؛ فتعرّض الكثير منه للضياع والتحريف، والزيادة والنقص، ولتعدد الروايات، ثم لما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وظهرت النزعات العصبية قام بعض أهل الأهواء بوضع أحاديث مكذوبة على الرسول صلى الله عليه وسلم؛ بهدف الدفاع عن آرائهم الكلامية المتطرّفة، وبعضهم الآخر للاحتجاج بها في مجادلاتهم الفقهية[5].

كما سمح قوم آخرون لأنفسهم أن يضعوا أحاديث في الحثّ على الأخلاق الفاضلة والأعمال الخيرية، والحث على العبادة وقراءة القرآن؛ بنيّة مقاومة الضلالات والترهيب من عذاب الله والترغيب في ثوابه، فأدّت هذه الأسباب إلى ظهور عدّة أحاديث موضوعة وضعيفة، ومما يشهد على كثرة هذه الأحاديث ما جاء في شرح مسلم، قال: "قال ابن عدي لما أخذ عبد الكريم بن العوجاء الوضّاع ليُضرب

---

[1] – محمد إبراهيم البنا، "السهيلي ومذهبه النحوي"، ص: 41.

[2] – السيوطي، "المزهر في علوم اللغة و أنواعها "، 1/ 172.

[3] – يُنظر: السيوطي، "المرجع نفسه "، 1/ 172.

[4] – ينظر: السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 52.

[5] – بغدادي بلقاسم، "المعجزة القرآنية"، ص: 195 – 196.

عنقه، قال: لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها وأحلل" [1]. ويشهد على ذلك أيضا ما رُوي عن البخاري؛ الذي يحوي كتابه نحو سبعة آلاف حديث، منها ثلاثة آلاف مكرّرة، قال: "خرّجت كتاب الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث في ستّ عشرةسنة"[2].

وبالإضافة إلى كون الحديث يشتمل على قدر كبير رُوي بالمعنى و لم يُضبط بلفظه، وأنّ طائفة كبيرة من المحدّثين لم يكونوا عربا ينتمون إلى أصول عربية، فهي موضع ثقة في عربيتها .[3]

فكلّ هذه الأسباب كوّنت دافعا قويا لدى الرافضين لقضية الاستشهاد بالحديث، وجعلتهم يمنعون الاستشهاد به وينتقدون كلّ من يفعل ذلك، ولكن بالمقابل، فإنّ المجيزين للاستشهاد به لم يسكتوا عن اعتراضات ونقد أقرانهم من النحاة، فقدّموا بدورهم دلائل دعّموا بها صحّة موقفهم إزاء الاستشهاد بالحديث النبوي، وسأعرض لهذا بالتفصيل في موضع لاحق.

إن المطلع على المصادر التي تناولت هذه القضية بالدراسة يجد نحاة الأندلس أنفسهم وقفوا مواقف متباينة اتجاه قضية الاستشهاد بالحديث والقياس عليه؛ لذلك قسمهم الدارسون إلى ثلاث طوائف :

1 / طائفة منعت الاستشهاد بالحديث مطلقا، وعلى رأسها: أبو حيان النحوي وشيخه أبو الحسن بن الضائع؛ متّبعين في ذلك من تقدمهم من النحاة ومن شيوخ المدرستين.

2 / طائفة اتخذت الوسط سبيلا، وعلى رأسها: **الشاطبي**(ت590هـ) والسيوطي(ت911هـ)؛ حيث أجازا الاستشهاد بالأحاديث القصار التي يمكن حفظها؛ والتي تجري مجرى الأمثال، وكذلك فعل كثير من المحدثين.

3 / طائفة أجازت الاستشهاد بالحديث كلّه، وعلى رأسها: ابن مالك الأندلسي وابن هشام الأنصاري .[4]وسأبدأ الحديث بالمجيزين للاستشهاد بالحديث .

3-1: المجيزون للاستشهاد بالحديث: قال ابن الطيب(ت1170هـ): "ذهب إلى الاحتجاج به ـــ أي الحديث الشريف ـــ والاستدلال بألفاظه وتراكيبه جمع من الأئمة، منهم: شيخا هذه الصناعة، وإماماها الجليلان: "ابن مالك" و"ابن هشام" و"الجوهري" وصاحب البديع "الحريري" و"ابن سيده"

---

[1] – أحمد أمين، "فجر الإسلام"، ص: 205.

[2] – البخاري، " الصحيح " ص: 8 .(مقدمة الكتاب).

[3] – إبراهيم السامرائي، "المدارس النحوية: أسطورة وواقع"، ص: 26.

[4] – يُنظر: بكري عبد الكريم، "ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي"، ص: 91 .

و"ابن خروف" و"ابن فارس" و"ابن جني" و"أبو محمد عبد الله بن بري" و"السهيلي" وغيرهم ممن يطول ذكره"[1].

ومن النحاة الذين عُدّوا أوّل من استكثر من رواية الحديث في النحو:ابن مالك ، مع أنّه استشهد به من قبله ابن خروف والسهيلي، بل استشهد به أحيانا أبو علي الفارسي وابن جني وابن بري المصري، ولكنّ ابن مالك هو الذي توسّع في الاستشهاد به[2] ؛ بحيث لم يوفّر جهدا في انتقاء الأحاديث التي يستشهد بها لما يضعه من قواعد نحوية،وهذا ما يظهر في كتاب"شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح"، فهذا المصنّف من أبرز الأصول في موضوع الاستشهاد بالحديث في الدراسات النحوية، لا يستغني في الرجوع إليه باحث في هذا الجانب [3]. فكلّ صفحة من صفحاته تحوي نصوصا من الحديث الشريف[4]، فابن مالك انفرد عمن سبقه من النحاة حين استشهد لمجموعة مسائل بأكثر من مائتين وستين حديثا، متوسّعا في هذا الشأن توسّعا نفّس فيه بعض الشيء عن العربية[5].

ومن بين نحاة الأندلس الذين استشهدوا بالحديث: السهيلي، فكتابه "نتائج الفكر في النحو" يمثّل أحسن دليل على استشهاد صاحبه بهذا المصدر اللغوي، فالسهيلي كان من أهل الرواية والدراية، والمتتبع لمؤلّفاته يجد نصوص الحديث أقرب إليه من غيرها، حتى إنّه استعان بها في تصوّر معالم البيئة، كما استعان بها في التوجيه اللغوي .[6]

وقد استشهد السهيلي بالحديث في اللغة والنحو أيضا، ففي كتابه "نتائج الفكر" اعتمد أكثر من عشرين حديثا في بيان دلالات الألفاظ والتراكيب، كما أنّ كتابه "الروض الأُنُف"، يُعدّ مصدرا أصلا في الاستشهاد بالحديث، أما أماليه، فهي حافلة بالأحاديث التي يستشهد بها ولها .[7]

---

[1] – ابن الطيب الفاسي، "فيض نشر الانشراح من روض طيّ الاقتراح"، 1/ 64.

[2] – شوقي ضيف، "المدارس النحوية"، ص: 309 -310.

[3] – ابن مالك، "شواهد التوضيح والتصحيح"، ص: 14.

[4] – ابن مالك، "المصدر نفسه"، ص: 22.

[5] – ابن مالك، "المصدر نفسه "، ص: 26.

[6] – يُنظر: محمد إبراهيم البنا، "السهيلي ومذهبه النحوي"، ص: 260.

[7] – ينظر: محمد إبراهيم البنا، " المصدر نفسه"، ص: 259 – 260.

ولا يفوتني هنا أن أذكر نحويّا آخر من نحاة الأندلس اشتُهِر بأوّليته في الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، و هو ابن خروف، ولكنّ هذا النحوي على ما يبدو لم يُعطَ حقّه من الدراسة؛ لأنه في جميع المصادر اللغوية لم أجد سوى مجردّ إشارات بسيطة أشار فيها أصحابها لهذا الأندلسي، ففي خزانة الأدب مثلا، نقل البغدادي نصّا عن الحسن بن الضائع أشار فيه إلى ابن خروف، يقول فيه: "وابن خروف يستشهد بالحديث كثيرا، فإن كان على وجه الاستظهار والتبرك بالمروي فحسن، و إن كان يرى أنّ من قبله قد أغفل شيئا وجب عليه استدراكه فليس كما رأى."[1]

3-2: المعترضون على الاستشهاد بالحديث:

فكما كان ببلاد الأندلس نحاة استشهدوا بالحديث النبوي الشريف في مؤلفاتهم النحوية، فإنه يوجد نحاة آخرون من هذه البلاد قد ثاروا ضد كلّ نحوي استشهد أو أجاز الاستشهاد بالحديث، ومن بن هؤلاء: أبو حيان النحوي وشيخه أبو الحسن ابن الضائع.

فأبو حيّان كان على رأس المانعين للاستشهاد بالحديث؛ حيث تبع في ذلك شيخه الحسن بن الضائع(ت680هـ)؛ الذي يقول في كتابه "شرح الجمل": " تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندي في ترك الأئمة، كسيبويه وغيره، الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث، واعتمدوا في ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى في الحديث، لكان الأولى في إثبات فصيح اللغة كلام النبي صلى اله عليه وسلم؛ لأنّه كان أفصح العرب"[2].

إذا، فابن الضائع يصرّح بأنّ السبب الذي دفعه هو ومن سبقه من نحاة المشرق إلى منع الاستشهاد بالحديث، هو كون الأحاديث النبوية قد رويت بالمعنى وليس باللفظ نفسه الذي نطق به الرسول صلى الله عليه وسلم، ولو أنّه ثبت أنّ الأحاديث النبويّة لم تنقل بالمعنى، لأجاز النحاة القدماء وعلى رأسهم البصريون الاستشهاد بها.

فإذا كان هذا رأي ابن الضائع فيما يخصّ الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، فإنّ تلميذه أبا حيان لم يخالفه، بل سار على دربه؛ حيث انتقد ابن مالك انتقادا شديدا لإكثاره من الاستشهاد بالحديث في مؤلفاته. قال في شرحه كتاب ابن مالك "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد": "وقد أكثر المصنّف من الاستدلال بما وقع في الأحاديث على إثبات القواعد الكلّية في لسان العرب، وما رأيت أحدا من المتقدمين

---

[1] – عبد القادر البغدادي، "خزانة الأدب و لب لباب لسان العرب"10/1 والسيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو"،ص 54.

[2] – عبد القادر البغدادي،"خزانة الأدب"، 1/ 10، و ينظر: السيوطي،" الإقتراح في علم أصول النحو"، ص: 54 .

والمتأخّرين سلك هذه الطريقة غيره، على أنّ الواضعين الأوّلين لعلم النحو، المستقرئين للأحكام من لسان العرب كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين، والكسائي والفراء وعلي بن المبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين، لم يفعلوا ذلك، وتبعهم على ذلك المسلك المتأخرون من الفريقين، وغيرهم من نحاة الأقاليم، كنحاة بغداد وأهل الأندلس"[1].

بالإضافة لكون لأبي حيان من أشد المعجبين بسيبويه، حتّى أنّه ليكاد يصل إلى مرتبة العصبيّة له، ولا يكاد يذكره إلا بما يوحي بالإجلال والإعظام، وهو في الجملة شديد التروع إلى مذاهب أهل البصرة، و إن كان لم يلتزم أقوالهم التزاما تامّا[2] ولربّما هذا الإعجاب الشديد لأبي حيان بشيخ نحاة البصرة بسيبويه، هو الذي جعله ينتقد من يستشهد بالحديث الشريف انتقادا لاذعا ـــوهذا ما سبقت الإشارة إليه مع ابن مالك ـــ وهذا الانتقاد من طرف أبي حيان ربّما يعود أيضا إلى كونه كان يتّبع سيبويه في مذهبه، فكتاب سيبويه على أهميته في الدرس النحوي، وعلى الرغم من تعدّد موضوعاته وكثرة صفحاته ليس فيه اعتماد للحديث إلا في سبعة مواضع، حسب إحصاء عبد السلام هارون، والحديث في المواضع السبعة أصل يستدل به على القاعدة، و لم يرد على سبيل التوكيد لغيره من النصوص[3].

إذا، نستنتج أنّ أبا حيان منع الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف منعا باتا، وهو بفعله هذا خالف غيره من نحاة الأندلس باستثناء شيخه ابن الضائع؛ لذلك نجد موقفه شديدا قاسيا اتجاه ابن مالك، حتى أنّه تجاوز في نقده إلى حدّ رميه بعدم التلقي عن الشيوخ، وعدم القدرة على المنافسة والمباحثة والمراجعة[4].

فأبو حيان عبّر عن مذهبه الذي كان ينصّ على منع الاستشهاد بالحديث الشريف خير تعبير، وحجّته في ذلك هو ومن تقدّم عنه ، هي عدم وثوقهم أنّ ذلك لفظ الرسول صلى الله عليه وسلّم؛ إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن في إثبات القواعد الكلية، وإنّما كان ذلك لأمرين:

---

[1] – عبد القادر البغدادي، "خزانة الأدب "، 10/1. ويُنظر: السيوطي، "الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 52.

[2] – يُنظر: مني إلياس، "القياس في النحو مع تحقيق باب الشاذ من المسائل العسكريات لأبي علي الفارسي"، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1405،1هـ/ 1985 ، ص: 157 – 158.

[3] – محمد عيد، " الرواية والاستشهاد باللغة "، ص: 130.

[4] – يُنظر: عبد القادر البغدادي، "خزانة الأدب"، 1/ 4، 7، والمقرّي، " نفح الطيب "، 2/ 427 وما بعدها.

ـــ أحدهما: أنّ الرواة جوّزوا النقل بالمعنى، فتجد قصّة واحدة قد جرت في زمانه ρ فتُنقل بألفاظ مختلفة، كحديث[1]:« **زوجتكها بما معك من القرآن** »،وفي رواية أخرى:

« **ملّكتكها بما معك من القرآن** »، وفي الثالثة: « **خذها بما معك من القرآن** » وفي الرابعة: « **أمكنّاكها بما معك من القرآن** »، فنعلم يقينا أنّه صلى الله عليه وسلم لم يلفظ بجميع هذه الألفاظ، بل لا يُجزم بأنه قال بعضها؛ إذ يُحتمل أنّه قال لفظا مرادفا لهذه الألفاظ ، فأتت الرواة بالمرادف، و لم تأت بلفظه؛ إذ المعنى هو المطلوب، ولاسيما مع تقادم السماع وعدم ضبطه بالكتابة والاتكال على الحفظ، والضابط منهم من ضبط المعنى، وأمّا من ضبط اللغة فبعيد جدّا، لاسيما في الأحاديث الطوال[2].

و لم يجد بعض علماء الحديث حرجا في تصريحهم بروايتهم للحديث بالمعنى؛ لصعوبة ضبط اللفظ الذي وُضع عليه، فال أبو سفيان الثوري: "إن قلت لكم: إنّي أحدّثكم كما سمعت فلا تصدّقوني، إنّما هو المعنى، ومن نظر في الحديث أدنى نظر علم علم اليقين أنّهم إنّما يروون بالمعنى" [3] . وهذا سبب تعدّد لفظ الحديث في كتب الحديث، ولا شكّ أنّ اختلاف الرواية سبب في اختلاف طول الحديث في بعض الروايات، وقصره في أخرى[4].

ـــ والأمر الآخر: أنّه وقع اللحن فيما روي من الحديث؛ لأنّ كثيرا من الرواة كانوا غير عرب بالطبع، ولا يعلمون لسان العرب بصناعة النحو، فوقع اللحن في كلامهم وهم لا يعلمون ذلك [5]. وقد عبّر أبو حيّان عن رأيه في قضيّة الاستشهاد بالحديث في شرحه للتسهيل بقوله: " و المصنّف قد أكثر من الاستدلال بما ورد في الأثر، متعقّبا بزعمه على النحويين وما أمعن النظر في ذلك، ولا صحب من له التمييز، وقد قال لنا قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ـــ وكان ممن أخذ عن ابن مالك ـــ قلت له: "

---

[1] ـــ الحديث عن سهل بن سعد ، أنّ امرأة عرضت نفسها على النبيّ ρ ، فقال له رجل : "يا رسول الله زوِّجنيها "، فقال : " ما عندك؟" قال : "ما عندي شيء" ، قال : **« اذهب والتمس ولو خاتما من حديد »**. فذهب ثمّ رجع فقال : " لا والله ما وجدت شيئا ولا خاتما من حديد.، فقال له: "ماذا معك من القرآن؟" قال : "معي سورة كذا ، وسورة كذا ، وسورة كذا" سوَرٌ بعددها ، فقال النبيّ ρ : **« زوّجناكها بما معك من القرآن »**. وفي رواية: **« اذهب، فقد ملّكتكها بما معك من القرآن »**. وفي رواية أخرى: **« أملكناكها »**، ينظر: البخاري، " الصحيح "، كتاب النكاح، باب تزويج المعسر، الحديث رقم: 5087، ص: 617 . وباب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح، الحديث رقم: 5141، ص: 622 ـــ 623 .

[2] ـــ السيوطي، " الاقتراح في علم أصول النحو "، ص: 53 .

[3] ـــ السيوطي، " الاقتراح في علم أصول النحو "، ص: 53 .

[4] ـــ محمود عكاشة ، " علم اللغة – مدخل نظري في اللغة العربية " ، ص: 131.

[5] – ينظر: سعيد الأفغاني ، " في أصول النحو "، ص: 48 .

يا سيّدي هذا الحديث رواية الأعاجم، ووقع فيه من روايتهم ما يُعلم أنّه ليس من لفظ الرسول صلى الله عليه وسلّم " فلم يُجب بشيء "[1] .

ونظرة واحدة إلى معاجم العربية مثل "تهذيب اللغة" للأزهري(ت370هـ)، و "الصحاح" للجوهري(ت339هـ) و"المخصص" لابن سيده(ت458هـ)، و"مقايس اللغة " لابن فارس(ت395هـ)، كافية لدحض ما ادّعاه أبو حيّان. وهذا ما أكّده ابن الطيب الفاسي بقوله: " لا نعلم أحدا من علماء العربية خالف العلماء في الاحتجاج بالحديث الشريف إلاّ ما أبداه الشيخ أبو حيّان وأبو الحسن بن الضـــائع ، وتابعهما على ذلك الجلال السيـــوطي "[2]، فلو كان النحويون القدماء كأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وسيبويه يمتلكون ثروة نحويّة أو لغويّة أو حديثيّة وافرة كما توفّرت للمتأخّرين منهم لعضّوا عليها بالنواجذ، ولغيّروا كثيرا من قواعدهم؛ التي صاحبها شحّ المورد حين وضعها، ولكانوا أشدّ المنكرين على أبي حيان جمودَه وضيق نظرته وإنتجاعه الجدب، والخصب محيط به من كل جانب[3].

3ـ 2 ـ 1: الردّ على المعترضين:

وبالنسبة لمن يجيزون الاستشهاد بالحديث الشريف مثل: ابن مالك و ابن هشام، وابن خروف، وابن الطيب، وغيرهم من النحاة، فهم يردون اعتراضات المانعين في سهولة ويسر.

فأمّا المانع الأول: وهو تجويز الرواية بالمعنى، فيجيبون عليه بأنّ الأصل: الرواية باللفظ، ومعنى تجويز الرواية بالمعنى أنّ ذلك احتمال عقليّ فحسب لا يقين، وعلى فرض وقوعه فالمغيّر لفظا بلفظ في معناه عربي مطبوع، يستشهد بكلامه في اللغة، ونحن نعرف مقدار تحري علماء الحديث وضبطهم لألفاظه، حتى إذا شك راو عربي بين « **على وجوههم**»

و« **على مناخرهم** »[4] أثبتوا شكّه، ودوّنوه مبالغة في التحري والدقة [5].والطرق التي سلكوها هي أقوم الطرق العلمية للنقد والتمحيص،حتّى إنّه ليمكن الجزم بأنّهم أوّل من

وضع أصول البحث العلمي الدقيق للأخبار والمرويات لأمم الأرض أجمعين.[6]

---

[1] ـ السيوطي، " الاقتراح في علم أصول النحو "، ص: 53 ـ 54 . وينظر: عبد القادر البغدادي، " خزانة الأدب "،1/ 12.

[2] – ابن الطيب الفاسي، " فيض نشر الانشراح من روض طيّ الاقتراح "، 53/1 .

[3] – ينظر : سعيد الأفغاني : " في أصول النحو"، ص: 49 ـ 50.

[4] ـ النووي، محي الدين أبو زكريا ابن شرف الدمشقي الشافعي، " شرح الأربعين النوويّة في الأحاديث الصحيحة النبويّة " شرح: ابن دقيق العيد، دار الهدى ، عين مليلة، الجزائر، دط، 2002، ص: 122 .

[5] ـ ينظر: سعيد الأفغاني ، " في أصول النحو "، ص: 50 ـ 51 .

[6] ـ عز الدين بليق ، "منهاج الصالحين" ، ص: 33 .

وهناك خطوات اتبعوها حتى أنقذوا السنة من الكيد ونظّفوها مما أريد إلحاقه بها من أوحال، منها: إسناد الأحاديث وتوثيقها، بالإضافة إلى نقد الرواة وبيان حالهم من صدق أو كذب، وكذا وضع قواعد عامة لتقسيم الحديث وتمييزه .[1]

وأمّا المانع الثاني، وهو وقوع اللحن في بعض الأحاديث المروية، فهو شيء إن وقع قليل جدا، لا يبنى عليه حكم، وقد تنبّه إليه الناس، و لم يستشهد به أحد، ولا يصحّ أن يُمنع من أجله الاستشهاد بهذا الفيض الزاخر من الحديث الصحيح إلا إن جاز إسقاط الاستشهاد بالقرآن الكريم؛ لأنّ بعض الناس يلحن فيه[2].

فقولُ المعارضين أنّ بعض الرواة كانوا أعاجم، وبالتالي كانوا يلحنون دون أن ينتبهوا لذلك، فقد كان على هؤلاء النحاة أن لا ينسَوا بأنّ ذلك اللحن كان موجودا أيضا في غير نصوص السنة من مادة اللغة التي اعتمدها النحاة، ومع ذلك قُبلت في

الدراسة من غير معارضة أورد؛ لأنّ العبرة كانت بغلبة العصر لا بلحن الأفراد[3].

ومعلوم أنّهم قد تشدّدوا في أخذ الناس بضبط ألفاظ الحديث، حتى إذا لحن فيه أحدهم أقاموا عليه النكير، وكان هذا التشديد تقليدا متوارثا في حمَلة الحديث حتى يومنا هذا [4].

وحتى بالنسبة للذين يرْوونه بالمعنى، فإنّهم يعظّمون أمر اللحن في الحديث، فهذا الإمام الأوزاعي، وهو إمام أهل الشام، يقول: " أعربوا الحديث، فإنّ القوم كانوا عربا" ويقول: "لا بأس بإصلاح اللحن في الحديث"، وهذا حماد بن سلمة يقول: "من لحن في حديثي فليس يحدّث عني " [5]

وأغلب الظن أن من استشهد بالحديث من المتقدمين، لو تأخّر به الزمن إلى العهد الذي راجت فيه بين الناس ثمرات علماء الحديث من رواية ودراية، لقصروا استشهادهم عليه بعد القرآن الكريم، ولما التفتوا قطّ إلى الأشعار والأخبار التي لا تلبث أن يطوّقها الشك؛ إذا وُزنت بموازين فنّ الحديث العلمية الدقيقة[6].

---

[1] – عز الدين بليق ، "منهاج الصالحين" ، ص: 35 .

[2] – سعيد الأفغاني ، " في أصول النحو"، ص: 52.

[3] ــ ينظر : محمد عيد ، "الرواية والاستشهاد" ، ص: 137 .

[4] ــ سعيد الأفغاني ، " في أصول النحو"، ص: 52 .

[5] – سعيد الأفغاني ، " المصدر نفسه "، ص : 53 .

[6] – سعيد الأفغاني ، " في أصول النحو "، ص : 53 ــ 54 .

وينبغي الإشارة هنا إلى أنّ اللحن إذا كان قد وقع في بعض رواية الحديث وقع مثله في نطق بعض علماء العربية المشهورين في قراءة القرآن الكريم، وفي كلام العرب، حتّى أننا نجد في كتب النحو واللغة شواهد لمن أخطأ وهو يقرأ القرآن، أو يخطب، وقد خالف بعض الشعراء قواعد العربية، وردّ عليهم كثير من علماء العربية، وأشهرهم في ذلك" الفرزدق؛ الذي يستشهد بشعره في النحو واللغة، فلم تكن آفة اللحن في رواية بعض الحديث فقط، ولكن وقع في لسان العرب، مع أنّ علماء العربية اختصّوا علماء الحديث فقط باللحن دون بقية علماء العرب. فكثير من روّاة الحديث كانوا رواة للشعر والمأثور من كلام العرب الفصحاء، وكان الموالي قد انفردوا برواية الحديث، وكثير منهم كان راوية للغة والشعر، والغريب في ذلك أنّ الموالي من علماء اللغة رفضوا رواية أضرابهم من الموالي رواة الحديث، فكان سيبويه، وهو من الموالي لا يستشهد بالحديث، وكذلك الكسائي[1].

وفي مقابل ذلك استشهد علماء المعاجم بكلام النبي صلى الله عليه وسلم، وأكثرهم "ابن منظور"، وممّا يلفت الانتباه، هو أنّ علماء العربية بحثوا غريب الحديث في ضوء لغات العرب معترفين بلفظه العربي الفصيح، ثم نقضوا هذا الصنيع بتركه في الاستشهاد النحوي، ونقد من يأخذ به، وتسخيف رأيه وحجته[2].

3-3: مذهب المتوسطين:

إذا كانت هناك طائفة من النحويين قد أجازت الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف وطائفة أخرى منعت ذلك منعا باتا، فإنّ هناك طائفة ثالثة اتخذت مذهبا وسطا، تزّعمها أبو الحسن الشاطبي (ت790هـ)؛ الذي أنكر على النحاة استشهادهم بكلام أجلاف العرب، وتركهم الاستشهاد بالأحاديث الصحيحة[3]، يقول: "لم نجد أحدا من النحويين استشهد بحديث رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهائهم؛ الذين يبولون على أعقابهم وأشعارهم؛ التي فيها الفحش والخنا، ويتركون الأحاديث الصحيحة؛ لأنّها تُنقل بالمعنى، وتختلف روايتها وألفاظها.[4]

---

[1] ـــ ينظر : محمود عكاشة : "علم اللغة – مدخل نظري في اللغة العربية" ، ص: 134.

[2] ـــ ينظر : محمود عكاشة : "المرجع نفسه " ، ص: 135.

[3] – ينظر: محمد سالم صالح، " أحوال النحو– دراسة في الفكر الأنباري"، ص: 241.

[4] – ينظر: عبد القادر البغدادي، " خزانة الأدب"، 12/1.

و يرى الشاطبي أنّ الحديث ينقسم إلى قسمين: قسم يعتني ناقله بمعناه دون لفظه، فهذا لم يقع به استشهاد أهل اللسان، وقسم عُرف اعتناء ناقله بلفظه لمقصود خاصّ كالأحاديث التي قُصد بها بيان فصاحته صلى الله عليه وسلم، ككتابه لهمدان، وكتابه لوائل بن حُجْر، والأمثال النبوية، فهذا يصحّ الاستشهاد به في العربية[1] ، وقال ردّا على ابن مالك وما ذهب إليه: " وابن مالك لم يفصّل هذا التفصيل الضروري الذي لا بد منه، وبني الكلام على الحديث مطلقا، ولا أعرف له سلفا إلا ابن خروف، فإنّه أتى بأحاديث في بعض المسائل حتى قال ابن الضائع :" لا أعرف هل يأتي بها مستدلاّ بها، أم هي لمجرّد التمثيل؟، والحقّ أنّ ابن مالك غير مصيب في هذا، فكأنّه بناه على امتناع نقل الأحاديث بالمعنى، وهو قول ضعيف. " [2]، وهكذا فالشاطبي يفرّق بين ما اعتنى الرواة بألفاظه وما روي بالمعنى، فهو لا يطرح الأحاديث جملة، كما لا يقبلها جملة، بل يفرّق بينها [3]؛ لذلك نجده قد طعن فيما ذهب إليه ابن مالك من عدم التمييز بين الأحاديث في عملية الاستشهاد؛ حيث أجاز ابن مالك الاستشهاد بجميع الأحاديث النبوية بدون

استثناء، وكأنّ الأحاديث كلّها مما يصح اعتماده في بناء القواعد، مع أنّ المتأخّرين جميعا ميّزوا بين أنواع الحديث، فلم يأخذوا بها كلّها .[4]

وقد تبع السيوطي ابن الضائع وأبا حيّان في إنكارهما على ابن مالك الاستشهاد المطلق بالحديث، مثبتا أنّ الرواة كانوا ينقلون بالمعنى، بقول: " ومما يدلّ على صحّة ما ذهب إليه ابن ضائع وأبو حيان أنّ ابن مالك استشهد على لغة "أكلوني البراغيث" بحديث الصحيحين: « **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار**»، وأكثر من ذلك، حتّى صار يسميها: " لغة يتعاقبون "[5] .

ولكنّ السيوطي يقرّر ومنذ البداية موقفا متوسّطا في هذه المسألة بين المنع والإجازة، مشابها لما ذهب إليه الشاطبي، يقول: " وأمّا كلامه صلى الله عليه وسلّم، فيُستدلّ منه بما ثبت أنّه قاله على اللفظ المروري، وذلك نادر جدا، والنص يوجد في الأحاديث القصار على قلّة أيضا " [6] ، وقد وقف

---

[1] ــ عبد القادر البغدادي، " المصدر نفسه "، 12/1 ــ 13 .

[2] ــ عبد القادر البغدادي، " " خزانة الأدب "، 13/1 .

[3]- ينظر: عبد القادر البغدادي، " خزانة الأدب" 12/1 ، وينظر: "بدر الدين الدماميني" (ت227هـ) وسراج الدين البلقيني (ت805هـ)، "الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة على إثبات القواعد النحوية"، ص: 10.

[4]- ينظر :"خديجة الحديثي"، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف"، ص: 426 ــ 427.

[5]- ينظر: السيوطي، " الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 55.

[6]- ينظر: السيوطي، " المصدر نفسه "، ص: 52 .

هذا الموقف المعتدل من الباحثين المحدثين: محمد الخضر حسين، وهو من أفضل من كَتب في هذا الموضوع [1].

نستخلص من هذا الفصل أنّ النحاة الأوائل اعتمدوا مصادر السماع المختلفة حيث أفادوا منها في استنباط قواعدهم النحوية، ولكن الأولوية عندهم كانت للشعر العربي الفصيح؛ لأنه كان هم العربي وسدمه، وجعلوا القرآن في المرتبة الثانية وبعده الحديث النبوي الذي عدّوه داخلا في كلام العرب، أمّا نحاة الأندلس فقد كانت لهم وجهة نظر خاصّة؛ حيث أعطوا الأولويّة للنثر، فجعلوا القرآن الكريم وقراءاته في المرتبة الأولى، ثمّ الحديث النبوي في المرتبة الثانية، وبعده كلام العرب من شعر ونثر، وكان تصنيفهم للحديث النبوي الشريف كمصدر أساس من مصادر الاستشهاد، هو الميزة التي انفرد بها الدرس النحوي عندهم .

[1]- ينظر: محمد سالم صالح، " أصول النحو- دراسة في فكر الأنباري "، ص: 242 .

إنّ المتتبّع لهذه المذكّرة يرى أنّه يلزمني دراسة أكثر من نحويّ بيد أنني اكتفيت بنموذج واحد للتدليل به على صحة ما ذهبت إليه من أنّ نحاة الأندلس قد استشهدوا بالحديث النبوي، فوقع اختياري على ابن مالك هذا العالم الجليل الذي كان له باع كبير في علوم اللغة وبخاصةٍ في علمي النحو والصرف، وقد كان كتابه "شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح" خير نموذج وجدت فيه ضالتي لأستخرج منه الأحاديث الشواهد التي ملأت هذا المصنَّف ،وقبل أن أبدأ في عملية استخراج الشواهد،رأيت أن أبدأ أولاً بالتعريف بهذا الكتاب.

1 ــ منهج كتاب شواهد التوضيح وأسلوبه:

ارتأيت أن أقدّم لهذه الدراسة بتعريف موجز لكتاب شواهد التوضيح، فلا يخفى علينا أنّ ابن مالك نال شهرة عريضة بمصنّفاته؛ حيث ظلت أساسا لأكثر الدراسات النحوية إلى اليوم، ومصنّفه "شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح" من خيرة الكتب التي تكشف عن أسلوبه في النقاش، وتبيّن سعة آفاقه وإحاطته شواهد اللغة، وهو من أبرز الأصول في موضوع الاستشهاد بالحديث الشريف في الدراسات النحوية[1]؛ حيث وجّه فيه ابن مالك أحاديث وردت في صحيح البخاري وفيها خروج عن ظاهر القواعد الموضوعية، أما عامة الأحاديث الواردة فيه، فقد ذكرها بطريقة تدلّ على أنّه اِستقرأ ما في صحيح البخاري من أحاديث واردة في أبواب النحو المتفق عليها، أو المختلف فيها، أو التي رجّح فيها أوجها إعرابية رجّح النحاة غيرها، فذكر في كل باب أو موضوع ما ورد عليه من أحاديث في خلال تخريجه للأحاديث المشكلة وتوجيهه لها[2].

1 ــ 1: مادة الكتاب:

يبدو لي ــ مما سبق ذكره ــ أنّ هدف ابن مالك من وراء تأليفه لكتاب "شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح" في ظاهر الأمر الاستشهاد لما ورد من مشكلات في ألفاظ حديث "الجامع الصحيح"، والاستدلال على فصاحتها وموافقتها لكلام العرب، وتوجيه إعرابها على وفق القواعد النحوية، وقد بلغ ما استشهد له أو وجّه إعرابه مائة وثمانين حديثا، وهذا يعني أنّ

---

[1] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح"، ص: 7، (مقدمة الكتاب).

[2] – خديجة الحديثي، "موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي"، ص: 267 .

مادة الكتاب تنحصر في موضوعات اللغة العربية؛ إذ بلغ ما ورد منها في حوالي مئة وستين مسألة، ما عدا المكرّر منها، وهو يزيد على العشر.[1]

وتحظى مادة النحو بالنصيب الأوفر من الشّرح؛ إذ لم تزد مسائل الصرف على السبع، وما يتعلق باللغة وتفسير اللفظ ورد في أربعة مواضع، وماعدا ذلك فهو يختص بالموضوعات النحوية[2].

1 – 2: منهج الكتاب وأسلوبه:

جاء الكتاب خاليا من التبويب وتقسيم الموضوعات إلى فصول أو ما يشبهها، ولأجل التفريق بين كل بحث والذي بعده كان ابن مالك يفتتح كل بحث بلفظ: "ومنها"، ثمّ يأتي بنصوص "صحيح البخاري"؛ التي يراها مشكلة، وبعدها يوجّه إعرابها مبتدئا كلامه بلفظ: "قلت" [3].وهذه الطريقة، أعني: "ومنها" ثم "قلت"، هي التي تتكرر في الكتاب من أوّله حتّى آخر بحث فيه.

وقد قُدّر عدد الأحاديث المشكلة في هذا الكتاب حوالي مئة وثمانين نصّا[4]، منها:

سبعون حديثا للنبي صلى الله عليه وسلم، وتسعون من كلام الصحابة، وحديث واحد لعمر بن عبد العزيز من التابعين، وما بقي فهو من كلام ورقة بن نوفل، وأبي جهل، وهرقل، وصاحبة المزادتين، وغيرهم ممن عاصر النبي صلى الله عليه وسلم أو جاء بعده بقليل.[5]

والجامع لهذه النصوص كلها وُرودها في "صحيح البخاري" على أنها مشكلة في رأي ابن مالك[6]، سواء أكانت في رواية واحدة أم جاء إشكالها بسبب الاختلاف الواقع في روايات النسخ

---

[1] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 13.

[2] – يُنظر: ابن مالك، "المصدر نفسه"، ص: 13.

[3] – ابن مالك، " المصدر نفسه "، ص: 13.

[4] – يُضاف إلى هذا العدد ثلاثة أحاديث شرحها المؤلف في البحث الرابع والعشرين، وأعاد ذكرها سهوا في البحث الثاني والخمسين من غير أن يعلق عليها.

[5] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 14.

[6] – جاء ضمن هذه النصوص التي يفترض أن تكون كلها من صحيح البخاري أربعة أحاديث تبيّن ـــ كما يذكر طه محسن بعد التحقيق ـــ أنّ هذه الأحاديث ليست من صحيح البخاري، منها اثنان في البحث الثاني والخمسين، واثنان في البحث التاسع والستين.

المخطوطة للجامع الصحيح، وكان ابن مالك يذكر الاختلاف في الروايات أحيانا، ويترك ذكره في أغلب الأحيان[1].

1 – 3: طريقة البحث في الكتاب:

والطريقة التي اتّبعها ابن مالك في كتابه تقوم أوّلا على إثبات نصّ الحديث وتعيين محلّ الإشكال فيه، ثم يوجّه المؤلّف إعرابه مستعينا بالتمثيل والاستشهاد بالنصوص الفصيحة، مقدّما شواهد النثر على النظم، وذلك واضح من طريقته وبعض إشاراته، نحو قوله:" والجواز أصحّ من المنع؛ لضعف احتجاج المانعين وصحة استعماله نثرا ونظما"[2].

وقوله أيضا: "وحذف كان مع اسمها وبقاء خبرها كثير في نثر الكلام، ونظمه، فمن النثر قول النبي صلى الله عليه وسلم ....ومن النظم قول الشاعر..."[3]

وإذا تنوّعت الشواهد في المسألة الواحدة، قدّم نصوص القرآن والقراءات على غيرها، وقدّم في الغالب شواهد الحديث على أقوال العرب والنظم، كما قدّم أقوال العرب النثرية على شعرهم. وربما اكتفى عند الاستشهاد لمسألة ما بالقرآن وحده، أو بالحديث دون غيره، أو بأقوال العرب، أو بأبيات من الشعر فقط[4].

1 – 4: الشواهد والاستشهاد في الكتاب:

إنّ المطّلع على كتاب شواهد التوضيح يلاحظ أنّ ابن مالك حريص تمام الحرص على أن يأتي بشواهد متنوعة؛ لتعضيد ما وجده في الأحاديث النبويّة[5]؛ حيث تستطيع أن تقف في كلّ صفحة من صفحات الكتاب على نصوص من القرآن الكريم والحديث الشريف، و على كلام العرب من

---

[1] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 14.

[2] – ابن مالك، " المصدر نفسه "،ص: 14 .

[3] – ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 14 .

[4] – ابن مالك، " المصدر نفسه "، ص: 14 .

5 – ينظر: بدر الدين الدماميني (ت827 هـ)، وسراج الدين البُلقيني (ت 805 هـ)، "الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة على إثبات القواعد النحوية"، مكاتبة بين بدر الدين الدماميني و سراج الدين البُلقيني، ص: 15-16.

شعر ونثر. ويتّضح لنا جليّا من خلال هذه النصوص المتنوّعة؛ التي استشهد بها ابن مالك في كتابه مقدرته على استخدام النصوص المختلفة، وهذا ما نحن بحاجة إليه اليوم، وبخاصّة أنّنا نسعى إلى تيسير لغتنا، حتى يتمكن كلّ طالب علم من فهمها واستيعاب قواعدها [1]. وفيما يلي عرض موجز لأنواع النصوص التي استشهد بها ابن مالك في كتابه:

1 ــ 4 ــ 1: القرآن الكريم وقراءته:

استشهد ابن مالك بالقرآن الكريم وقراءاته؛ حيث كان يهرع إليه كلّما وجد إلى ذلك سبيلا عند استشهاده لأيّ مسألة من تلك المسائل التي عرض لها في كتابه "شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح "[2]، فكان يضع القرآن الكريم على رأس المصادر التي يعتمدها، لا فرق عنده بين قراءة متواترة وأخرى شاذّة [3]. لذلك بلغ عدد شواهده من القرآن الكريم مئة واثنتين وعشرين آية، منها خمس عشرة آية مكرّرة، وابن مالك يأخذ بظاهر هذه الآيات ولا يلجأ إلى الــتأويل والتقدير[4]. ومن أمثلة ذلك: تجويزه استعمال "مِنْ" في ابتداء غاية الزمان، قال: "وهو ما خُفي على أكثر النحويين فمنعوه تقليدا لسيبويه في قوله: وأمّا "مِنْ" فتكون لابتداء الغاية في الأماكن"[5].فاستشهد بقوله تعالى: **[لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ]** [6].[7]، وهو مذهب الكوفيين. وتأوّل البصريون "من أوّل يوم" على تقدير: من تأسيس أوّل يوم[8]. ولاشتغال ابن مالك بالقراءات واهتمامه بهذا العلم اعتمدها اعتمادا جعله يكثر من الاستشهاد بها في مؤلّفاته، وبخاصّة في شواهد التوضيح؛ بحيث استشهد بها في خمسة وأربعين موضعا صرح بأسماء أصحابها في أربعين موضعا.[9]

---

[1] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 21– 22.

[2] – يُنظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 22.

[3] – ابن مالك، "شرح التسهيل"، 1/ 46 (مقدّمة المحقّق).

[4] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 22.

[5] – ابن مالك، " المصدر نفسه "، ص: 22. ويُنظر: سيبويه، "الكتاب"، 2/ 224.

[6] –الآية: 108 من سورة التوبة .

[7] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 22.

[8] – يُنظر: ابن الأنباري، " الإنصاف في مسائل الخلاف "، المسألة: 54، 1/ 317.

[9] – ينظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 22.

ومن أمثلة استشهاده بالقراءات القرآنيّة ما استدلّ به من قراءة حمزة : **[وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ]** [1] بجر لفظ "الأرحام"، جواز العطف على ضمير الجر بغير إعادة الجار[2] الجار[2] ، وهو ممّا منعه البصريّون ورفضوا شواهده[3].

كما استشهد بقراءة عاصم: **[لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى]** [4] عند تجويزه نصب المضارع بعد الفاء في جواب "لعلّ"، وهو مما لم يجوّزه البصريون[5]، وكذلك قراءة حفص: **[[لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى]** [6 – 7].

و لم يكتف ابن مالك بالقرّاء السبعة فقط، بل استشهد بقراءة غيرهم، أمثال طلحة بن مصرّف(ت112هـ)، وأبي العالية(ت90هـ)، وابن محيصن(ت 123هـ)، وأبي رجاء العطاردي(ت107هـ)، وربّما أورد القراءة وهي شاذة محتجا لما ذهب إليه ومدّعيا القياس عليها، ومن ذلك تأييده لقراءة الأعمش(ت148هـ): **[وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ]** [8] بالنصب، جواز النصب النصب على إضمار "أن"[9]، وتجويزه حذف همزة الاستفهام في غير الشعر؛ إذا كان معنى ما حذفت حذفت منه لا يستقيم إلا بتقديرها، خلافا لسيبويه [10]، واستدلّ على ذلك بنصوص، منها: قراءة ابن محيصن **[سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ]** [11] بهمزة واحدة[12].

---

[1] – الآية: 01 من سورة النساء .

[2] – يُنظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص : 109.

[3] – يُنظر: ابن الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف "، المسألة : 65، 2/ 34 .

[4] – الآية: 3 ــ 4 من سورة عبس .

[5] – ينظر: أبو حيّان، " تفسير البحر المحيط "، 419/8 .

[6] – الآية: 36 ــ 37 من سورة غافر .

[7] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 22 ــ 23.

[8] – الآية: 06 من سورة المدثّر .

[9] – ينظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 23 .

[10] – سيبويه، "الكتاب"، 3/ 174 .

[11] – الآية: 06 من سورة البقرة .

[12] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 23 .

وبعد هذه الأمثلة التي أوردتها، أقول: إنّ ابن مالك قد استشهد في كتابه بالقراءات القرآنية حتى ولو خالفت المشهور من آراء العلماء من غير تأويل في الغالب، فهو لا يردّ ولا يضعّف شيئا منها كما هو مذهب أهل البصرة، بل يأخذها دون استثناء، سواء كانت صادرة من القرّاء السبعة أم العشرة، أم كانت عن الشواذ[1].

1 ــ 4 ــ 2- الحديث الشريف:

لا تثريب إذا كرّرت ما سبق ذكره من أنّ ابن مالك قد خالف نحاة البصرة والكوفة، فاستشهد بالحديث النبوي الشريف، ولذلك حمل عليه أبو حيان حملة عنيفة[2].بل هو أوّل من توسع توسع في الاستشهاد به، حتى صار من مميّزات مذهبه النحوي، ومن ثمَّ أقيم عليه النكير ورُمي بالخروج عن سنن النحويين المتقدمين .[3]

و عنوان كتاب ابن مالك:" شواهد التوضيح و التصحيح لمشكلات الجامع الصحيح"، يُشير قبل كلّ شيء إلى أنّه شواهد لنصوص في "صحيح البخاري"؛ أراد مؤلّفه أن يوجّه إعرابها، ويُنظِّر لها بكلام العرب الفصحاء،فكان من هذه النظائر:الحديث الشريف.[4]

وبلغ عدد الأحاديث التي استشهد بها ابن مالك اثنين وثمانين حديثا [5]، عزا المؤلّف اثني عشرة منها إلى مواضعه من كتب الحديث؛ التي يأتي في مقدمتها: "جامع المسانيد" لابن الجوزي، وروى ابن مالك واحدا منها بسنده، ويذكر طه محسن أنّه أثناء تحقيقه لكتاب شواهد التوضيح استطاع أن يُرجع ستين نصّا إلى البخاري، واثني عشرة نصّا وجدها في كتب الحديث الأخرى، مثل: المسند لأحمد بن حنبل، و"الموطّأ" لمالك، وصحيح مسلم والترمذي، وسنن ابن ماجة وأبي داود، وغيرها،

---

[1] – ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 23 .

[2] – يُنظر: خديجة الحديثي، "أبو حيان النحوي"، منشورات مكتبة النهضة، مطابع دار التضامن، بغداد، ط1، 1385 هـ، 1966 م، ص: 334 .

[3] – كان أوّل المنكرين عليه أبو حيان النحوي ، يُنظر: "الاقتراح في علم أصول النحو"، ص: 52 .

[4] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 24 .

[5] – يُضاف إليها ثلاثة أحاديث مكررة.

وهناك حديثان لم يتمكن من الوقوف عليهما في كتب الحديث المتيسّرة [1]، أولهما: **« فإنّ الله ملّككم إياهم ولو شاء لملّكهم إياكم»**[2]، والثاني: **« المرء مجزيّ بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرّا فشرّ»**[3].

وفي كتاب سيبويه نصّ شبيه بهذا منقول عن العرب، وهو الوارد في قوله: " وذلك قولك: الناس مجزيّون بأعمالهم إن خيرا فخير، وإن شرّا فشرّ" [4]، ولعلّ ابن مالك كان يقصد هذه العبارة، فنسبها إلى النبي صلى الله عليه وسلم سهوا[5].

وقد عدّ ابن مالك تلك الأحاديث المشْكلة في الوقت ذاته نصوصا فصيحة يمكن اعتمادها في الاستشهاد؛ لذلك استند إليها في عدّة مواطن لتقرير قواعدَ نحويّة خالف بها بعض المتقدّمين من النحاة[6].

إذاً، فموقف ابن مالك كان فريدا بالقياس إلى من سبقه، وكان يكرّر التصريح بأهمية اتخاذ الأحاديث شواهد لدعم الآراء النحوية.

وهذه النظرة في الاستشهاد بالحديث مكّنته من أن يعرض آراءه بدقّة، يرجّح ويتخيّر ويتّخذ لنفسه موقفا خاصّا على وقف ما يمليه عليه اجتهاده، ويهديه إليه تفكيره؛ مستهديا بما ارتضاه من شواهد، بلا تعصّب لمذهب معيّن، فهو مع الشاهد أينما يوجد[7].

ومن الأمثلة التي كان فيها الحديث حكمه الفيصل:

ـــ جواز ثبوت الخبر بعد "لولا" "وهو ما خُفي على النحويين إلاَّ الرماني وابن الشجري"[1].

---

[1] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 24، (مقدمة المحقق) .

[2] – ابن مالك، " المصدر نفسه "، ص: 82.

[3] – ابن مالك، " المصدر نفسه "، ص: 128 .

[4] – سيبويه، "الكتاب"، 1/ 316.

[5] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 25.

[6] – ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 117 ــ 118 .

[7] – ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 25.

ـــ جواز حذف الموصول لدلالة صلته أو بعضها عليه، وهو مما انفرد به الكوفيون، ووافقهم الأخفش، وهم في ذلك مصيبون، وأحسن ما يُستدلّ به على هذا الحكم قوله صلى الله عليه وسلم: **« مثل المُهَجَّر كالذي يُهدي بَدَنَةً، ثمّ كالذي يُهدي بقرة، ثم كبشا، ثم دجاجة، ثم بيضة .»**[2] -3

ـــ صحّة العطف على ضمير الرفع المتصل غير مفصول بتوكيد أو غيره،وهو مما لا يجيزه النحويون في النثر إلاَّ على ضعف، ويزعمون أنّ بابه الشعر، والصحيح جوازه نظما ونثرا، فمن النثر ما تقدم من قول علي وعمر رضي الله عنهما [4].

هذه ـــ إذاً ـــ أمثلة من فيض الآراء التي بثها في الكتاب، واستشهد لكلّ منها بحديث أو أكثر، مرتضيا القياس عليها.

ومهما يكن من شيء، فانّ ابن مالك انفرد عمّن سبقه من النحاة حين استشهد لمجموعة مسائل بأكثر من مائتين وستّين حديثا، متوسّعا في هذا الشأن توسعا نفّس فيه عن العربية بعض الشيء[5].

1 ـ 4 ـ 3: الشعر:

أمّا بالنسبة للشعر، فقد حوى الكتاب حوالي مائتين وعشرين شاهدا منه، وكان يستشهد أحيانا للمسألة الواحدة بعدّة أبيات ؛ كي يؤكد صحّة ما ذهب إليه[6].

---

[1] – ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 26 .

[2] – البخاري، " الصحيح "، كتاب الجمعة، باب الاستماع إلى الخطبة، الحديث رقم: 929، ص: 106، و مسلم، " الصحيح"، كتاب الجمعة، باب فضل التهجّر يوم الجمعة، الحديث رقم: 1984، ص: 299 ـــ 300 . روي الحديث بهذا اللفظ : « ومثل المهجّر كمثل الذي يهدي البدنة، ثم كالذي يهدي بقرة، ثمّ كالذي يهدي الكبش، ثمّ كالذي يهدي الدجاجة » .

[3] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 134 .

[4] – ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 26.

[5] – ابن مالك، " المصدر نفسه "، ص: 26.

[6] – ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 27.

ومن أمثلة استشهاده بالشعر، قوله في جواز وقوع الشرط مضارعا والجواب ماضيا: "والنحويون يستضعفون ذلك، ويراه بعضهم مخصوصا بالضرورة، والصحيح الحكم بجوازه مطلقا؛ لثبوته في كلام أفصح الفصحاء، وكثرة صدوره عن فحول الشعراء " [1] ثم استشهد بعد ذلك بثمانية أبيات.[2]

وقال في العطف على ضمير الجر بغير إعادة الجار: " وهو ممنوع عند البصريين إلا يونس وقطربا والأخفش، والجواز أصحّ من المنع؛ لضعف احتجاج المانعين، وصحّة استعماله نظما ونثرا "[3] ثم استشهد بستة أبيات من النظم.[4]

و لم يذكر ابن مالك المصادر التي استقى منها شواهده الشعرية [5]، كما أنه ترك أكثرها بلا نسبة إلى قائليها؛ إذ بلغ ما لم ينسبه إلى قائل مئة وثمانية وستين شاهدا، واستعمل عند إيرادها عبارة عامّة، مثل "كقول الشاعر"، أو "كقول الآخر"، وراح ابن مالك يذكر الأبيات كاملة، ولكنّه اجتزأ موطن الشاهد في عشرة مواضع من الكتاب، مكتفيا بذكر شطر أوأقلّ من الشطر[6].

وأظهرت الدراسة أنّه تعدَّى ما في كتب النحو من شواهد إلى مصادر اللغة والأدب ودواوين الشعر، وإلى كتب الحديث والسير والبلاغة[7].

وقد انتبه القدامى لهذه الظاهرة، ظاهرة عدم ذكر ابن مالك للمصادر التي استقى منها شواهده الشعرية، فقد قال السيوطي: "وأمّا أشعار العرب التي يستشهد بها على اللغة والنحو، فكانت الأئمة الأعلام يتحيّرون فيه، ويتعجّبون من أين يأتي بها"[1]

---

[1] – ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 67 .

[2] – ابن مالك، " المصدر نفسه "، ص: 27 ، 67 .

[3] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 107 .

[4] – ابن مالك، " المصدر نفسه "، ص: 27 ، 107 .

[5] – باستثناء مواضع معدودة صرّح فيها بنقله عن سيبويه والأخفش والفارسي والبطليوسي، يُنظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص : 87 ، 109 ، 114، 190، 239 .

[6] – يُنظر: ابن مالك،" شواهد التوضيح "، ص: 102 ، 122 ، 136، 302 ، 211 ، 212 ، 233 ، 249 ، 253.

[7] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 27.

1 ــ 4 ــ 4: أقوال العرب ولغاتها:

تُشير الدراسات إلى أنّ علماء اللغة الأوائل ذكروا أنّ لغات العرب كلّها جديرة بالأخذ، ولا يصحّ رد إحداها بالأخر ى، ولكنّهم لا يروْن مانعا من تقوية إحدى اللغتين؛ على الأخر ى إذا كان أقوى القياسين أقبل لها أو أشدّ أُنسا بها[2]، وهذا ما ذهب إليه ابن مالك في مؤلّفاته، فهو يأخذ عن العرب ويستشهد بأقوالهم، وقد يوافق بعض قدامى النحاة[3]، وقد يعارضهم، مادام قد اطمأنّ إلى ما ذهب إليه، فهو يُقدّر سيبويه ويعتزّ برأيه، وينفي أن يكون ما يرويه موضع ريبة أو شكّ، ولكنه قد يعارضه إذا وجد الحجّة مع معارضيه والشواهد تؤيّدهم[4].

لقد تساهل ابن مالك كالكوفيين في قضيّة السماع، فأخذ بما روي عن قبائل لم يكونوا يستشهدون بها، كما جوّز القياس على ما ورد في أبيات قليلة من المسائل والآراء، فهو يأخذ بما يأخذون، ويتّبعهم في اللغات التي يستشهدون بها والأبيات التي يبنون عليها القواعد[5].

أمّا فيما يخصّ كتابه "شواهد التوضيح"، فقد أورد فيه أربعة وثلاثين شاهدا من أقوال العرب لم ينسب أكثرها إلى قائل معيّن، وكان يمهد لها بعبارة "قول بعض العرب"، وأسند رواية إحدى عشر عبارة منها إلى علماء اللغة مثل: أبي عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب، وسيبويه، والكسائي، والفراء، والأخفش، وكوّنت هذه العبارات رافدا آخر من روافد الاستشهاد عنده، عزّر بها آراءه من غير أن يهتمّ بمذهب من رواها، سواء أكان بصريّا أم كوفيّا؛ لأنّ الشاهد عنده حجّة سواء رواه لغويّ أو نحويّ، كما أعطى ابن مالك أهمية كبيرة للهجات القبليّة، وخير دليل على ذلك وجود هذه اللهجات بين شواهد الكتاب وأمثلته ونصوصه؛التي اعتمدها في الاستنباط والاحتجاج ووضع القواعد والأحكام .[6]

---

[1] – السيوطي، " بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة "، 1/ 108.

[2] – يُنظر: ابن جني، "الخصائص "، 2/ 10.

[3] – ابن مالك، "شرح التسهيل"، 1/ 49 .

[4] – ابن مالك، " المصدر نفسه " ، 1/ 50 .

[5] – يُنظر: خديجة الحديثي، "أبو حيان النحوي"، ص: 339 .

[6] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 28 ــ 29 .

كما اعتمد اللغات الفصيحة التي أتى على ذكرها في ثمانية عشر موضعا، من ضمنها ثلاثة مكرّرة، وهو تارة يذكر أسماء القبائل التي أخذ عنها فينسب لها لغتها، كقريش والحجاز، وربيعة وكنانة، ولغة بني الحارث بن كعب، ولغة بني تميم وبني سليم؛ اللتين تكرر ذكرهما في الكتاب، وهؤلاء جميعهم فصحـــاء، موثوق بعربيّته ـــم، وتارة أخرى لا ينسب اللغة التي استشهد بها إلى قبيلتها، بل يكتفي بقوله: "وهي لغة مشهورة"، أو "هي لغة معروفة"، أو "من العرب"، أو "على هذه اللغة جاء"، إلى غير ذلك من اصطلاحات الرواية والسماع .[1]

كما أن ابن مالك لم ير أن هناك ما يمنع من مخالفته لبعض الأصول التي وضعها النحاة الأوائل لأجل أن تتفق مع الشاهد[2]، وبذلك استطاع أن يضع لنفسه منهجا مميّزا في الاستدلال بالشواهد والقياس عليها، وأهم ما يميز هذا المنهج هو احترامه الشديد للسماع؛ الذي اتخذ إلى جانبه القياس دليلا دعّم به جملة من آرائه، وجعله أداة يستند إليها في مناقشاته النحوية، وبنى عليها أحكامه والمسائل التي أيدها بالقياس مع قلّتها، لا يُجيز فيها إلا ما كان معضّدا بالسماع، وليس في الكتاب موضع واحد يعتمد فيه القياس الذي لا يؤيّده شاهد أو أكثر .[3]

ولكتاب "شواهد التوضيح" مميزات ومحاسن كثيرة، فيكفيه أنّه أوّل كتاب يختص بالحديث الشريف[4] بالدراسة من الوجهة النحوية، جاعلا من "صحيح البخاري" محورا للبحث ومناقشة آراء المتقدّمين من النحاة، فامتاز عن غيره من الأصول بهذه الخصيصة [5].

2 ــ مواطن استشهاد ابن مالك بالحديث :

سبق وذكرت في الفصل الثاني أن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ،تساءل عن سبب استشهاد ابن مالك بالأحاديث النبوية المروية بمعناها والمروية بلفظها على حدٍ سواء ، فقال :" يا سيدي هذا الحديث رواية الأعاجم فوقع فيه من روايتهم ما نَعلم أنّه ليس من لفظ الرسول صلى

---

[1] – يُنظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح " ص: 29 .

[2] – ابن مالك، " المصدر نفسه " ، ص: 29 .

[3] – ابن مالك، " المصدر نفسه "، ص: 30 .

[4] – لأبي البقاء العكبري (ت 616 هـــ) كتاب "إعراب الحديث النبوي"، يقوم على توجيه إعراب ما يشكل من الألفاظ الواقعة في الأحاديث لا غير، أمّا كتاب "شواهد التوضيح"، فهو بحث نحويّ يقوم على مناقشة النحاة والاستناد إلى الاستشهاد بالشواهد الكثيرة.

[5] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص : 33 ــ 34 .

الله عليه وسلم"[1]، فلم يُجب ابن مالك عن هذا السؤال فجاء كتابه شواهد التوضيح خير إجابة عن التساؤل الذي طرحه ابن جماعة، فكأن ابن مالك سكت و لم يجب لأنّه فضل أن يكون ردّه بطريقة عملية وذلك حينما أكثر من شواهد الحديث في مُصنَّفه ،الذي استطاع من خلاله أن يُبين أن الأحاديث النبوية غنية بالظواهر اللغوية التي يجب الوقوف عليها حيث استطاع ابن مالك من خلال هذه الأحاديث ،أن يُثبت صحة مجموعة من القواعد التي أغفلها المتقدمون، وهذا ما يُفهم من خلال العبارات التي تتكرر كثيرا في مُصنَفه نحو:(وهذا ما خفي عن النحاة ،و هذا ما أغفله النحاة)، و لا شك أن ابن مالك يقصد بهذه العبارة أن النحاة لم يستشهدوا بالأحاديث النبوية في التقعيد النّحوي رغم غناها بالظواهر اللغوية فحرموا بذلك النحو العربي من زاد لغوي هائل كان يمكن له أن يُستغل في تخريج قواعد نحوية جديدة.

من المسائل التي استشهد فيها ابن مالك بالحديث النبوي الشريف :

2 ــ 1: مسألة مجيء الشرط مضارعا والجواب ماضيا :

يرى ابن مالك أنّه لا حرج في وقوع الشرط مضارعا والجواب ماضيا لفظا لا معنى؛ لأن ذلك من الاستعمالات السليمة بالرغم من أنّ النحويين يستضعفون ذلك، ويراه بعضهم مخصوصا بالضرورة.[2]

وذهب ابن مالك إلى صحة الحكم بجوازه مطلقا؛ لثبوته في كلام أفصح الفصحاء، وكثرة صدوره عن فحول الشعراء، ولاشكّ أنّه يقصد بقوله "أفصح الفصحاء" النبي صلى الله عليه وسلم[3]؛ حيث استشهد بقوله عليه الصلاة والسلام: **« من يقم ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدّم من ذنبه »**[4]، والشاهد في قوله: **"**من يقم ...غفر له **"**؛ حيث وقع فعل الشرط مضارعا وجواب الشرط فعلا ماضيا لفظا لا معنى.[5]

---

[1] – عبد القادر البغدادي "خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب"12/1.

[2]– ينظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 67 .

[3]– ينظر: ابن مالك، " المصدر نفسه"، ص : 67.

[4]– البخاري، : الصحيح " ، كتاب الإيمان ، باب: قيام ليلة القدر من الإيمان ، الحديث رقم: 35 ، ص: 15 .

[5]– ينظر ابن مالك " شواهد التوضيح" ، ص: 67 ، و ينظر: ابن هشام الأنصاري، جمال الدين، "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ومعه مصباح السالك إلى أوضح المسالك، دار الفكر ، بيروت ــ لبنان،1420 هــ، 2000 مــ، 4/ 188.

كما استشهد بقول عائشة رضي الله عنها[1]:«**إنّ أبا بكر رجل أسيف، متى يقم مقامك رقّ** »[2]، والشاهد في قوله:" متى يقم...رقّ "؛ حيث وقع فعل الشرط مضارعا وجوابه ماضيا.

ثمّ أورد ابن مالك مجموعة من الأبيات الشعرية[3]؛ ليعضّد بها الحديث، وفي الأخير أغلق باب الاستشهاد بقول الله تعالى: ﴿ **إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ** ﴾[4] فعطف"ظلّت"، وهو ماضي اللفظ على الجواب؛ الذي هو"نتزّل"، ولا يُعطف على الشيء غالبا إلاّ ما يجوز أن يحلّ محلّه، وتقدير حلول "ظلت" محلّ "نتزل": إن نشأ ظلّت أعناقهم لما نتزّل خاضعين.[5]

2 ــ 2: مسألة تشبيه "متى" بــ "إذا" و"إذا" بــ "متى" :

ومما استشهد به ابن مالك من الحديث في تشبيه "متى" بــ "إذا" والعكس أنه [6]: إذا شبهت "متى" بــ " إذا " أُهملت، وإذا شبّهت " إذا " بــ " متى " أُعمِلت؛ نحو قوله صلى الله عليه وسلم لعلي وفاطمة: « **إذا أخذتما مضاجعكما تُكبرا أربعا وثلاثين، وتُسبّحَا ثلاثا وثلاثين، وتُحمّدا ثلاثا وثلاثين** »[7].

---

[1]- ينظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح" ، ص: 67 .

[2]- البخاري، " الصحيح "، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى : ﴿ **لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ** ﴾ [يوسف : 7]، الحديث رقم: 3384، ص: 399، روي هكذا: « إنه رجل أسيف متى يقم مقامك رقّ».

[3]- ينظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 67 - 68 - 69.

[4]- الآية :4 من سورة الشعراء .

[5]- ينظر ابن مالك " شواهد التوضيح" ، ص: 69، وينظر ابن هشام الأنصاري "أوضح المسالك"4/188 ، وينظر محمود فجال، " الحديث النبوي في النحو العربي " ، ص: 285 .

[6] - ابن مالك، "شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح"، ص: 71-72.

[7] - البخاري، " الصحيح "، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه ، الحديث رقم: 3705، ص: 438. وفي النسخة نفسها في كتاب فرض الخُمس، باب الدليل على أنّ الخمس لنوائب رسول الله لى الله عليه وسلم والمساكين وإيثار النبي صلى الله عليه وسلم أهل الصُّفة والأرامل حين سألته فاطمة وشكت إليه الطحن والرحى أن يخدمها من السبي فوكلها إلى الله ، « ... **فكبرا ... واحمدا ... وسبحا ...**» ، الحديث رقم: 3113، ص: 365. و في صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب التسبيح أول النهار وعند النوم بلفظ : « **أن تكبرا الله ... وتسبحاه ... وتحمداه**»، الحديث رقم: 6915، ص: 1019.

والشاهد هنا يتمثل في عمل " إذا "؛ حيث شُبّهت بـــمتى فعملت عملها في الفعل " تُكبرا " المجزوم بحذف النون؛ لأنّه من الأفعال الخمسة، ويعلق بالإضافة أن مثل هذا نادر في لغة النثر كثير في لغة الشعر، كقول الشاعر:[1]

وإذا تُصبكَ خصاصةُ فارْجُ الغِنَى وإلى الذي يُعطي الرغائب فارغبِ .

والشاهد في قول الشاعر: "تُصبك"؛ حيث أعمل "إذا" فجزمت الفعل بعدها، وقد ذكر سيبويه أمثلة كثيرة عن هذا الموضوع في باب "الجزاء"، ومثّل لذلك بشواهد من الشعر، وردت فيها "إذا" شرطية جازمة، ثم أردف هذا بقوله: " وهذا نادر ،وفي الشعر فقط "، أو " وهذا من ضرائر الشعر ".[2]

كما استشهد ابن مالك بكلام أهل البيت على تشبيه "متى" بـــ "إذا" وإهمالها[3]؛ حيث أورد قول عائشة رضي الله عنها: « **إنّ أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس** »[4] ، والشاهد في قولها: "يقوم" بإثبات الواو .

إذا، "متى" أُهملت فشبّهت بـــ"إذا" و لم تعمل عملها.

الملاحظ ـــ مما تقدّم ـــ أنّ ابن مالك في أوّل الأمر قد أورد حديثا نبويا كشاهد على ما ذهب إليه من قاعدة نحوية، ثمّ أردف الحديث بشاهد من الشعر، وبعدها أتى بشاهد آخر من الحديث النبوي الشريف .

2 ـــ 3: مسألة إجراء الفعل المعتل مجرى الصحيح :

ومن الشواهد الحديثية في "إجراء الفعل المعتل مجرى الصحيح" الفعل "يغشانا" في

---

[1] – النمر بن تولب، "الديوان "، شرح : محمد نبيل طريفي ، دار صادر ـــ بيروت ،ط1، 2000، ص: 48 .

[2] – يُنظر: سيبويه، " الكتاب "، 3/ 69، 3/ 70ـــ 71 .

[3] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 72.

[4] ـــ هكذا ذكر ابن مالك الحديث في "شواهد التوضيح"، ص: 72، وفي الصحيح البخاري ، كتاب الآذان، باب إذا بكى الإمام في الصلاة، الحديث رقم: 716 ، ص: 173، روي الحديث بهذا اللفظ: « إذا قام في مقامك لا يُسمع الناس »، وفي كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ**﴾ [يوسف : 7]، الحديث رقم :3384، ص: 399 ، روي الحديث بهذا اللفظ .« **متى يقم مقامك رق** ». بدون إثبات (واو) يقم. وفي كتاب الآذان، باب الرجل يأتمّ بالإمام و يأتمّ الناس بالمأموم ، « متى ما يقم مقامك »، الحديث رقم: 713، ص:85 .

قوله عليه الصلاة والسلام: « **من أكل من هذه الشجرة فلا يغشانا** »[1]؛ لأنّه جعل الكلام بمنزلة الخبر؛ لأنّ الأصل في النهي " فلا يغشنا " بحذف حرف العلّة "الألف"، كما ذكر ابن مالك قبل هذا الحديث بيتين من الشعر كشاهد على ما ذهب إليه، ثم أراد على ما يبدو أن يدعّمهما بحديث نبوي فقال: ونظيره قول الشاعر[2]:

وتَضحك مني شيخة عَبْشَمِيَةٌ كأن لم ترى قبلي أسيرًا يمانيَا .

والشاهد في قوله: "لم ترى " بإثبات ألف ترى، والتي حقّها أن تُحذف، وذلك حسب قواعد العربية؛ لأنّ الفعل " ترى " مجزوم بـــ "لم " وعلامة جزمه حذف " الألف "، ومثله قول الراجز: [3]

إِذا العَجوزُ غَضِبَتْ فَطَلِّقِ وَلا ترَضّاها وَلا تَمَلَّقِ .

وأمّا الشاهد في هذا البيت، فهو قوله: " لا تَرَضَّاها "، فقد كان من حق العربية عليه أن يقول: "ولا ترضّها"، فيكون الفعل المضارع مجزوما بلا الناهية وعلامة جزمه حذف الألف؛ لأنّ الفعل المضارع المعتل اللام يُجزم بحذف لامه، وللعلماء في تخريج مثل ذلك رأيان:

ـــ أحدهما: أنّ هذه الألف هي: لام الكلمة التي كان يجب عليه حذفها للجازم، لكنه اكتفى بحذف الحركة كما يكتفي بحذف الحركة في الفعل الصحيح الآخر.

ـــ و الآخر: أنّ (لام) الفعل قد حُذفت كما هو مقتضى الجزم، وهذه الألف ناشئة عن إشباع فتحة الضاد، فالفعل مجزوم بحذف الألف، والفتحة قبلها دليل عليها .[4]

---

[1] – البخاري، " الصحيح "، كتاب الآذان، باب ما جاء في الثوم النيّ والبصل والكرّاث، الحديث رقم: 854، ص: 99، وقي صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا، أو نحوها، الحديث رقم: 1215، ص: 201، جاء الحديث بهذا اللفظ: « فلا يغشنا » .

[2] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 73، و البيت لـــ: وقاص الحارثي، يُنظر: ابن جني، "سر صناعة الإعراب"، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2007، 1/ 90، وينظر الأصفهاني، "الأغاني" 228/16 ، وردت فيه " ترا " بدل " ترى"، واستشهد به الأنباري، في " الإنصاف في مسائل الخلاف"، 1/ 41 .

[3] – رؤبة بن العجاج، " الديوان "، اعتنى به: وليد بن الورد البروسي، دار ابن قتيبة، الكويت، (د.ط)، (د ت)، ص: 179، وينظر: ابن جني، " سر صناعة الإعراب "، 1/ 93، وينظر: الأنباري، " الإنصاف في مسائل الخلاف"، 1 / 41، وينظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 73.

[4] – يُنظر: الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، 1/ 41.

وأضاف ابن مالك أنّ أكثر ما يُجرى المعتل مجرى الصحيح فيما آخره ياءٌ أو واوٌ ، فأورد شاهدا من القراءات على ما ذهب إليه، وبعد ذلك بيتا من الشعر، ثمّ قولا لعائشة رضي الله عنها؛ ليُعضد بعد ذلك شواهده بحديث نبوي، قال:" ومن ذلك قراءة لقنبل:

[إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِي وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ][1] – [2]، وكذا قول الشاعر[3]:

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالأَنْبَاءُ تَنْمي بِما لاقَتْ لَبونُ بَني زِيادِ .

ومنه قول عائشة رضي الله عنها: **« إن يقُم مقامك يبكي »**[4]. وكذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **« مروا أبا بكر فليصلي بالناس »**[5].

فالشاهد في الآية، هو إثبات ياء " يتقي "، وحقّها أن تُحذف؛ لأنّه فعل مجزوم ومعتل الآخر، وذلك لأنّ " مَن " بمعنى " الذي " و" يتقي " مرفوع، ويمكن أن تكون " مَن " للشرط، والضمة المقدّرة على الياء في "يتقي " حُذفت للجزم وبقيت " الياء "، وهذا وجه ضعيف[6].

وموطن الشاهد في البيت الشعري، هو: " يأتيك " بإثبات ياء الفعل؛ التي حقّها أن تُحذف، وذلك لوجود حرف الجزم " لم " قبل الفعل " يأتي " واكتفى بحذف الحركة المقدرة؛ التي كان عليها الفعل قبل دخول الجازم، وقيل إن الياء المذكورة ليست لام الفعل؛ التي تُحذف للجازم،

---

[1] –الآية: 90 من سورة يوسف .

[2] – ينظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 73.

[3] – هو قيس بن زُهير، ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 73، واستشهد بالبيت سيبويه في " الكتاب "، 3/ 350، ورُوي: " ألم يبلُغك " بدل : " ألم يأتيك "، الأصفهاني، " الأغاني "،17/ 143، وينظر ابن هشام الأنصاري، " أوضح المسالك "، 1/ 94 ،وينظر:ابن جني"المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الايضاح عنها"،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.،1419ه/1998م، 67/1 .

[4] – البخاري، " الصحيح "، كتاب الآذان، باب من أسمع الناس تكبير الإمام، الحديث رقم: 712، ص: 85، وفي النسخة نفسها لصحيح البخاري ورد الحديث بروايتين: **« إذا قام مقامك لم يستطع »**، ص: 81، وفي رواية أخرى: **« متى ما يقم مقامك لا يسمع »**، ص: 85.

[5] –البخاري" الصحيح "، كتاب الآذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، الحديث رقم: 678، ص: 81، ورد الحديث بهذا اللفظ: **« مُرُوا أبا بكرٍ فليُصلِّ »**، بإسكان اللام الأولى وحذف الياء ، وفي النسخة نفسها رُوِيَ الحديث بهذا اللفظ: يُصلّي بإثبات الياء، الحديث رقم: 679، ص: 81، وفي رواية أخرى:**« فيُصلّي »**.

[6] – يُنظر: ابن هشام الأنصاري، "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك "، 1/ 94.

فتلك حُذفت لدخول الجازم على الفعل. وأمّا الياء المذكورة فأتت من إشباع كسرة التاء؛ لضرورة الشعر، وهذا الوجه هو الصواب[1].

أما الشاهد في قول عائشة رضي الله عنها، فهو في قوله: " يبكي" بإثبات ياء " يبكي"؛ التي حقّها أن تُحذف كون الفعل مجزوما؛ لأنه وقع في جملة جواب الشرط، وكذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالاستشهاد فيه يكمن في قوله : " فليُصَلِيْ " بإثبات ياء الفعل المعتل الآخر المجزوم.[2]

الملاحظ أنّ ابن مالك تارة يجعل الشاهد من الحديث في الأوّل، ثم يردف الشاهد الشعري، وتارة يجعل الشعر في الأوّل، ويقوم بتعضيده بحديث نبوي شريف، أو يجعل القرآن أوّلا ويضيف بعده شواهد من الحديث أو الشعر .[3]

3 – 4 : مسألة اتصال الضمائر وانفصالها :

وممّا استشهد به ابن مالك من حديث أيضا قوله صلى الله عليه وسلم: « **إن يكُنْهُ فلن تُسلَّط عليه، وإن لا يكنه**[4]**، فلا خير لك في قتله**»[5]، والشاهد هو اتصال الضمير في الفعل " " يَكُنْهُ "، والأصل أن لا يُستعمل المنفصل إلا عند تعذّر المتّصل [6]، وهذا ما يذكره ابن مالك في ألفيته[7]:

---

[1] – يُنظر: ابن هشام الأنصاري، " أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك "، 1/ 95، ويُنظر: الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف"، 1/ 44، يقول المازني: "ويجوز في الشعر أن تقول: زيدٌ يرميك برفع الياء، ويغزوك برفع الواو، وهذا قاضيٌ بالتنوين، فتجري الحرف المعتل مجرى الحرف الصحيح من جميع الوجوه في الأسماء والأفعال جميعا؛ لأنه الأصل"، يُنظر: الأنباري، "الإنصاف في مسائل الخلاف "، 1/ 45 .

[2] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 74.

[3] – يُنظر: ابن مالك، " المصدر نفسه "، ص: 71 – 72 – 73 .

[4] – البخاري "الصحيح"، كتاب الجهاد والسير، باب كيف يُعرض الإسلام على الصبي؟، الحديث رقم: 3055، ص: 358، وفي صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، الحديث رقم: 7344، ص: 1091.روي الحديث هكذا: « **وإن لم يكنه** » .

[5] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 79– 80، كما استشهد بهذا الحديث على المسألة نفسها في كتابه "شرح التسهيل"، 1/ 171 ،وأيضا استشهد به ابن هشام في" شرح شذور الذهب "، ص: 249 .

[6] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 77.

[7] – ابن مالك ، " متن ألفية ابن مالك (الخلاصة) "، دار الإمام مالك، باب الواد الجزائر، ط 1، 1423هـ/ 2002، ص: 19 .

وَفي اِخْتِيارٍ لا يجيءُ المنْفَصِلْ إِذا تَأَتَّى أَنْ يَجيءَ المُتَّصِل.

فلا يقال مثلا في: " أكرمتك " "أكرمت إياك"؛ لأنّه يُمكن الإتيان بالمتصل فتقول: " أكرمتُك ". فإن لم يكن الإتيان بالمتصل تعيَّن المنفصل، نحو: " إياك أكرمت "، وقد جاء الضمير في الشعر منفصلا مع إمكان الإتيان به متصلا .[1]

ومثال ذلك قول الشاعر[2]:

بِالباعِثِ الوارِثِ الأَمْواتَ قَدْ ضَمِنَتْ إِيّاهُمُ الأَرضَ في دَهْرِ الدَهارِيرِ .

وقد استشهد ابن مالك بهذا البيت في حديثه عن المفصول بتاء التأنيث [3]، والشاهد فيه قوله: "ضَمِنَتْ إِياهُم"؛ حيث عدل عن وصل الضمير إلى فصله، وذلك خاصّ بالشعر ولا يجوز في سعة الكلام، ولو جاء به على ما يستحقّه الكلام، لقال: "قَدْ ضَمِنَتْهُم الأَرْضُ"[4].

وذكر ابن مالك أنّ المتّصل قد يتعذّر لعدة أسباب، وأعطى شاهدا من القرآن لكل حالة، وبعد ذلك أضاف شاهدا من الشعر.[5]

فالمتصل قد يتعذّر لإضمار العامل[6] نحو قول الله تعالى: **[وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ]**[7] وعند التقديم نحو: **[إِيَّاكَ نَعْبُدُ]** [8]، ثم أضاف ابن مالك شواهد أخرى من القرآن، وبعدها ذكر شواهد شواهد شعرية؛ ليبيّن لنا أنّ المنفصل لا يُستعمل إلاّ عند تعذّر المتصل كما بيّن لنا أنّ المنفصل

---

[1] – ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله القرشي الهاشمي العقيلي الهمذاني المصري (ت 769 هـ)، "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك"، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، لمحمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1426 هـ، 2005 م، 1/86 - 87 .

[2] – الفرزدق، " الديوان " ، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر ،بيروت،لبنان،(دط)،(دت)، 1/ 214، وروي البيت : " بالدهر " بدل: " في الدهر"، كما استشهد بهذا البيت ابن عقيل في شرحه على ألفية ابن مالك، 1/ 87 .

[3] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 79.

[4] – ابن عقيل " شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك "، 1/ 88 .

[5] – ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 77 ــ 78 .

[6] – يُنظر: ابن مالك، "المصدر نفسه "، ص: 77.

[7] – الآية: 40 من سورة البقرة .

[8] – الآية: 05 من سورة الفاتحة .

يُستعمل أيضا عند العطف نحو: **[وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ]** [1]، وعند وقوعه بعد " إلا " وبعد " واو المصاحبة "، واستشهد بقول الله تعالى: **[أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ]** [2]، ثمّ أتبعه بشاهد من الشعر على المفصول بـــ" واو المصاحبة المصاحبة "، وهو بيت لأبي ذؤيب الهذلي: [3]

فَآلَيْتُ لا أَنْفَكُّ أَحْذُو قَصيدَةً تَكونُ وَإِيّاها بِها مَثَلاً بَعْدي .

والشاهد في هذا البيت، هو قوله: " وإيّاها "؛ حيث ورد الضمير منفصلا، وذلك لمجيئه بعد واو المصاحبة. فابن مالك يرى أنّ استعمال المتّصل أصل؛ لأنه أخصر وأبين، أمّا كونه أخصر فظاهر، وأما كونه أبين؛ فلأنّ المتصل لا يعرض معه لبس أصلا، والمنفصل قد يعرض به في بعض الكلام لبسٌ. [4]

فذكر ابن مالك أنّه لو قال قائلٌ: " إياك أخافُ " لاحتمل أن يريد إعلام المخاطب بأنّه يخافه، ويحتمل أن يريد تحذيره من شيء وإعلامه بأنّه خائف من ذلك الشيء، فالكلام على القصد الأوّل جملة واحدة، وعلى القصد الثاني جملتان، فلو قال موضع إياك أخاف: " أخافك "، لأمن اللبس، وأضاف ابن مالك قائلا: " وإذا علمت هذه القاعدة لزم أن يُعتذر عن جعل منفصل في موضع لا يتعذّر فيه المتصل."[5]

وبعد أن ذكر ابن مالك القاعدة وأعطى أمثلة عن مخالفة القياس، راح يتحدّث عن مخالفة السماع، فقال:" فمِن قِبَل أنّ الاتّصال ثابت في أفصح الكلام المنثور، كقوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه: **« إن يكنه فلن تُسلّط عليه وإن لا يكنه [6] فلا خير لك في قتله »**، ويُعضد ابن مالك هذا الحديث بكلام العرب من شعر ونثر، فبدأ بالنثر

---

[1] – الآية: 131 من سورة النساء .

[2] – الآية: 40 من سورة يوسف .

[3] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 78، وجاء في رواية أخرى: " أقسمت " بدل: " آليت " ، أبو ذؤيب الهذلي، "الديوان"، شرح وتقديم: سوهام المصري، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، ط1، 1998، ص: 96.

[4] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 78 .

[5] – ابن مالك، " المصدر نفسه "، ص: 78.

[6] – البخاري "الصحيح " الحديث رقم: 3055، ص: 358 . والحديث سبق تخريجه .

حيث استشهد بقول بعض العرب: " عليه رجلا ليسني "[1].

أمّا من الشعر، فاستدلّ بقول الشاعر:[2]

لجَاري مَـــنْ كـــــانَهُ عَـــــــزَّةٌ يَخالُ ابْنَ عَمٍّ بِـــهـــا أَوْ أَجَـــلُّ .

ومثله قول الشاعر:[3]

فَإِنْ لا يَكُنـــــــــْها أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَّهُ أَخـــــوها غَذَتْـــهُ أُمُّهُ بِلِبـــانِها.

ومثله قول الشاعر:[4]

كَمْ لَيْثٍ اِعْتَنَّ لي ذا أَشْبُل غَرِثَت[5] فكانني أَعْـــظَمُ اللـــــــــيثين إقدامَا.

والشاهد في الحديث النبوي يكمن في قوله: " لا يكنه "؛ حيث جاء خبر كان ضميرا متصلا، وهو الهاء، وأيضا في قول العرب: " ليسني " اتّصل ضمير النصب " الياء"، وهي خبر ليس . أمّا الأبيات الشعرية، فالشواهد فيها كالآتي: (كانه، يَكُنْها، تَكُنْهُ، كانني)، ففي كلّ هذه الأفعال ورد مرفوع كان إمّا ضميرا مستترا، أو اسما ظاهرا، فحسُن فيها اتّصال ضمير النصب الواقع موقع الخبر بها، ويرى ابن مالك أنّه إذا كان الفعل من باب كان واتّصل به ضمير رفع جاز في الضمير الذي يليه الاتصال، نحو: " صديقي كُنْتَهُ "، والانفصال نحو: " صديقي كنت إياه "، والاتّصال في رأيه أجود؛ لأنّه الأصل وقد أمكن، ولشَبه " كنته " بـــ " فعلته "[6]. فمقتضى هذا الشبه أن يمتنع

---

[1] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 80، ويُنظر: سيبويه، "الكتاب"، 2/ 380 .

[2] – هذا الشاهد لم يقف عليه طه محسن، و لم يجده في كتاب آخر سوى كتاب شواهد التوضيح، ينظر: هامش الصفحة: 80. وأنا بدوري حاولت أن أقف عليه في كتب النحو المتقدّمة، ولكني لم أجده في أيّ منها .

[3] – أبو الأسود الدؤلي، "الديوان"، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار الكتاب الجديد ، بيروت ،لبنان ، ط 1 ، 1974، ص: 128. واستشهد به سيبويه في " الكتاب "، 1/ 84، ، وأيضا الأنباري في" الإنصاف في مسائل الخلاف"، 2/ 319 .

[4] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 80 ، واستشهد ابن مالك بهذا البيت على المسألة نفسها في كتابه، "شرح التسهيل"، 1/ 64، 1/ 171 ، و كانت روايته فيه: " اغْتَرّ بي " بدل: " اعتنّ لي "، والبيت مجهول القائل، لم يقف عليه طه محسن، ولا حتى عبد الرحمن السيد محقّق كتاب شرح التسهيل .

[5] ــ الغرث: الجوع، و غرّثه إذا جوّعه، الأزهري، " تهذيب اللغة "، مادّة: [غ ر ث]، 6/ 303 .

[6] – – ابن مالك، "شواهد التوضيح ، ص: 79، ويُنظر: ابن عقيل "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك"، 1/ 89 .

" كنت إياه " كما يمتنع " فعلت إياه "، فإذا لم يمتنع، فلهو أقلّ من أن يكون مرجوحا، وجعله أكثر النحويين راجحا وخالفوا القياس والسماع[1].

الملاحظ فيما يخصّ الشواهد في هذه المسألة أنّ ابن مالك عندما أراد تحديد المواضع التي يتعذّر فيها استعمال المتّصل بدأ بإيراد شواهد من القرآن، وبعدها استدلّ ببيت من الشعر. وخلال حديثه عن مخالفة السماع في موضوع " الاتصال " استشهد بحديث نبوي في بداية الأمر، ثمّ أتبعه بقول لبعض العرب؛ ليُعضد ما ذهب إليه من شواهد بأبيات من الشعر.

كما استشهد ابن مالك عندما تحدّث عن انفصال الضمير بقول الرسول صلى الله عليه وسلّم: « **ما من الناس من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحِنْثَ، إلاَّ أدخلَهُ الله الجنّة بفضلِ رحمتِه إياهُمْ** »[2]، والشاهد في الحديث في قوله: " إياهم "؛ حيث انفصل الضمير و لم يتّصل رغم جواز اتصاله؛ لاختلاف الضميرين.[3]

ويرى ابن مالك أنّه إن اختلف الضميران [4]، وتقاربت الهاءان ،نحو: " أعطاهوها " و" أعطاهاه "، ازداد الانفصال حُسنا وجودة،؛ لأنّ فيه تخلّصا، من قرب الهاء من الهاء؛

إذ ليس بينهما فصلٌ إلاَّ بالواو، في نحو" أعطاهوها "، وبالألف نحو: " أعطاهاه "بخلاف أنضرهموها"، و" أنا لهماه " وشبهه[5].

وأضاف ابن مالك قائلا: " والاتصال أجود لموافقة الأصل، ولأنّ القرآن نزل به دون الانفصال[1]، واستدلّ على ما ذهب إليه بقول الله تعالى: **[إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا**

---

[1] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 79.

[2] – البخاري، "الصحيح"، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المسلمين، الحديث رقم: 1381، ص: 157، رُوِي الحديث هكذا: « **ما من الناس مسلم يموت له** ».

[3] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 82 .

[4] – يرى ابن مالك أنّه متى تعلق بعامل واحد ضميران متواليان، واتفقا في الغيبة وفي التذكير أو التأنيث،وفي الإفراد أو التثنية أو الجمع، و لم يكن الأول مرفوعا، وجب كون الثاني بلفظ الانفصال، نحو: " فأعطاه إياه "، ولو قال: " فأعطاهوه " بالاتصال لم يجز؛ لما في ذلك من استثقال توالي المثلين، مع إبهام كون الثاني توكيدا للأوّل، وكذا لو اتفقا في " إياهما "، و " أعطاهم إياهم "، و" أعطاهن إياهن "، والاتصال في هذا وأمثاله ممتنعٌ، فلو اختلفا جاز الاتصال والانفصال. يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 81.

[5] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 82 .

وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا] [2]–[3]، والشاهد في هذه الآية، هو المجيء بالضمير المتصل في قوله [**يُرِيكَهُمُ**] و [**أَرَاكَهُمْ**]؛ حيث جاء الفعل الأوّل " يُري " مضارع " أرى " متعدّيا إلى ثلاثة مفاعيل، المفعول الأوّل جاء ضميرا متصلا، وهو الكاف، والمفعول الثاني أيضا جاء ضميرا متصلا " هم "، أمّا المفعول الثالث، فهو كلمة " قليلا "، و الشيء نفسه مع الشاهد الثاني [**أَرَاكَهُمْ**]؛ حيث تعدّى الفعل إلى ثلاثة مفاعيل، فجاء المفعول الأول ضميرا متصلا، وهو " الكاف "، ثمّ المفعول الثاني، والذي جاء هو الآخر ضميرا متصلا، وهوالضمير " هم "، أمّا المفعول الثالث، فهو" كثيرا "[4].

و أضاف ابن مالك شواهد أخرى، وقال: " وعليه جاء قول المرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "لأكسوكها"، وقول الرجل له صلى الهو عليه وسلم: "أُكسُنيها"، وقول الخضر عليه السلام: « **يا موسى إنّي على علم من علم الله علّمنيه لا تعلمه أنتَ، وأنت على علم علَّمَكَهُ الله لا أعْلَمُه** »[5]."[6]

والشواهد التي ذكرها ابن مالك في هذه الأقوال هي مجيء الضمير متّصلا مع جواز انفصاله، وهذا ما خالف فيه ابن مالك سيبويه؛ حيث إنّ هذا الأخير يرى الاتّصال في هذه الأمثلة ونحوها واجباً، والانفصال ممتنعاً[7].

أمّا ابن مالك، فيرى أنّ الصحيح ترجيح الاتّصال وجواز الانفصال، ومن شواهدتجويزه قول النبي صلى الله عليه وسلم: « **فإنّ الله ملّكـــكم إيّاهم، ولو شـــاء لملّكهم إياكم** ».[8]

---

[1] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 82. ويُنظر: ابن مالك، "شرح التسهيل"، 1/ 169.

[2] – الآية: 43 من سورة الأنفال .

[3] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 82.

[4] – يُنظر: ابن هشام الأنصاري، "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك"، 2/ 72.

[5] –البخاري، "الصحيح "، كتاب العلم، باب: ما يستحبّ للعالم إذا سُئل أيّ الناس أعلمُ، فيَكِلُ العلمَ إلى الله، الحديث، رقم: 122، ص: 26.

[6] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 82 .

[7] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 82، وسيبويه، "الكتاب"، 2/ 386 ــ387 .

[8] – ذكر طه محسن، محقق كتاب" شواهد التوضيح "أنّه لم يقف على هذا الحديث فيما تيسّر من كتب الحديث، وأنا أيضا حاولت أن أقف عليه في بعض ما تيسّر لي من كتب الحديث ولكنني لم أتمكن من الوقوف عليه .

وموطن الشاهد مجئ الضمير " إياهم" منفصلا؛ لأنّه لو وصل لقال "ملّككموهم "، ولكّنه فرّ من الثقل الحاصل من اجتماع الواو مع ثلاث ضمات، وحكم هذا الفصل الجواز.[1]

فابن مالك يؤكّد على صحّة ما ذهب إليه واستدلّ على ذلك بشاهد من الحديث النبوي الشريف، واكتفى به؛ حيث إنّه لم يُعضده بشواهد أخرى.

3 ــ 5: مسألة حذف الضمير المتصل خبرا لكان :

عند تخريج ابن مالك لقول عائشة رضي الله عنها في باب المحصّب: **« إنما كان مترل يترله النبي صلى الله عليه وسلم »**[2]، تعني المحصّب[3]، فذكر أنّ في رفع "مترلٌ" ثلاثة أوجه: أوجه:

ــ أحدهما: أن تجعل " ما " بمعنى " الذي "، واسم كان ضمير يعود على المحصَّب، فإنّ هذا الكلام مسبوق بكلام ذُكر فيه "المحصَّب"، فقالت أمّ المؤمنين: **« إن الذي كانه المحصّب مترل يترله رسول الله صلى الله عليه وسلم »** ثمّ حُذِف خبر كان؛ لأنّه ضمير متصل كما يُحذف المفعول به؛ إذا كان ضميرا متصلا، ويستغنى بنيّته: كقولك: " زيدٌ ضرب عمروٌ "، تُريدُ: ضربه عمرو.[4]

ومن حذف الضمير المتصل خبرا لــ "كان" قول الشاعر :[5]

---

[1] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 82. كما استشهد ابن مالك بهذا الحديث في شرح التسهيل، 1/ 169، واستشهد به ابن هشام الأنصاري في "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك،" 110/1 . **واستشهد به أيضا ابن الناظم في " شرح ألفية ابن مالك " ،تحقيق محمد باسل عيون السود ،دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان ،ط 1،1420 /2000.ص 39.**

[2] – البخاري، " الصحيح " كتاب الحج، باب المحصّب، رقم الحديث: 1765، ص: 198 .

[3] – التحصيب : النوم بالشِّعب الذي مخرجه إلى الأبطح ساعة من الليل ثمّ يخرج إلى مكّة ، وكان موضعا نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلّم من غير أن يسنّه للناس، فمن شاء حصّب ومن شاء لم يحصّب ، الأزهري، " تهذيب اللغة "، مادة: [ح ص ب]، 3/ 303 .

[4] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 86.

[5] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 86 ، وقائل البيت مجهول، وروايته:

فَأَطْعَمَنا مِنْ لَحْمِها وَسَنامِها شِواءً وَخَيْرُ الخَيْرِ ما كانَ عاجِلُهْ .

يُنظر: إميل بديع يعقوب ، " المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية "، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، ط 1 ، 1996،197/6 ، ويُنظر: – العيني بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني (ت 588 هــ)، "المقاصد النحوية في

فَأَطْعَمَنا مِنْ لَحْمِها وَسَديفِها شِواءً،وَخيْرُ الخَيْرِ ما كان عاجِلُهُ.

والشاهد في الشطر الثاني حيث أراد الشاعر: وخير الخير الذي كان عاجله، فالهاء خبر كان، وعاجله اسمها، وقيل: يجوز أن تكون كان زائدة، ويكون التقدير: خير الخير هو عاجل الخير [1]. ثم أضاف ابن مالك ثلاثة شواهد من الشعر على ما ذهب إليه من قاعدة، ليُعضدها بشاهد من الحديث النبوي الشريف، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: « أليسَ ذو الحَجة »[2] بعد قوله: « أيُّ شهرٍ هذا »[3]، والأصل: " أليسَه ذو الحَجَّة "[4].

والشاهد في الحديث النبوي هو حذف خبر ليس؛ لأنه ضمير متصل، ومقتضى كلامه هنا هو أنّه لولا تقديره متصلا لما جاز حذفه. ثم أضاف ابن مالك شاهدا من أقوال الصحابة؛ ليُدعِّم به رأيه، وذلك بعد استشهاده بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

3 – 6: مسألة جواب الاستفهام بأسمائه مطابقة اللفظ والمعنى:

ذكر ابن مالك في هذه المسألة أنّ الأكثر في جواب الإستفهام بأسمائه مطابقة اللفظ والمعنى ، وقد يُكتفى بالمعنى في الكلام الفصيح، ثم استشهد على ما ذهب إليه بأربع آيات من القرآن الكريم، أمّا عن مطابقة المعنى وحده، فقد استشهد بثلاث آيات لتدعيم رأيه،كما ذكر في الموضع نفسه شاهدا من كلام العرب؛ حيث ذكر قول القائل : "بلى وجاذا" حين قيل له :" أما في مكان كذا وجْذٌ "[5]، ولو قصد تكميل المطابقة لرفع وقال : "بلى وجاذٌ ".[6]

شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـــ "شرح الشواهد الكبرى"، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ،ط1، 1426هـــ/2005م، 3/ 160.

[1] – العيني ، " المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـــ : شرح الشواهد الكبرى"،3/ 160.

[2] – البخاري، "الصحيح "، كتاب الحجّ، باب الخطبة أيام منى، رقم الحديث،1741، ص: 196.

[3] – البخاري، "الصحيح "، كتاب الحجّ، باب الخطبة أيام منى، رقم الحديث،1741، ص: 196.

[4] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 87.

[5] ــ ينظر: ينظر: سيبويه، " الكتاب "، 1/ 312 .

[6] ــ ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 90 ــ 91 .

واستشهد ابن مالك بحديث نبويّ شريف عندما تحدث عن الإكتفاء بالمعنى، فأوْرد قول النبي صلى الله عليه وسلم« أربعين يوما » حين قيل له:" مالُبثه في الأرض" [1] فأضمر "يلبث" ونصب به "أربعين"، ولو قصد تكميل المطابقة، لقيل: "أربعين يوما" بالرفع؛ لأنّ الاسم المستفهم به في موضع رفع . [2]

3 ــ 7: مسألة حقّ المستثنى بــ "إلاّ" من كلام تامٍ موجب أن يُنصب مفردا كان أو مكمِّلا معناه بما بعده: [3]

استدَلَّ ابن مالك على المستثنى المفرد بآية من القرآن الكريم، وهو قوله تعالى: **[الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ]** [4]، والشاهد في هذه الآية هو قوله: **[إِلَّا الْمُتَّقِينَ]**؛ حيث جاء المستثنى منصوبا، وهو من كلام تام موجب.

واستدلّ على المستثنى المكمِّل معناه بما بعده[5] بقوله تعالى: **[إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا امْرَأَتَهُ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ]** [6] ، والشاهد في قوله: **[إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ]**؛ حيث أنّ المستثنى جاء منصوبا وكمّل معناه بما بعده، وذلك لكون الاستثناء هنا جاء متصلا مثبتا موجبا فوجب نصبُ المستثنى ويضيف ابن مالك قائلا: ولا يعرف المتأخرون من البصريين في هذا النوع إلاَّ النصب، وقد أغفلوا وُروده مرفوعا بالابتداء، ثابت الخبر ومحذوفه، فمن

---

[1] ــ ابن كثير عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي الشافعي (ت 774ه)،"جامع المسانيدوالسنن الهادي لأقوم سُنن" ،خرج حديثه وعلق عليه:عبد المعطي أمين فلعجي،دار الفكر للطباعة والنشر،(دط)،1415ه /1994م ،مسند النواس بن سمعان لكلابي عن النبي صلى الله عليه وسلم ،الحديث رقم 9604،ج 12،ص 231.وينظر مسلم، " الصحيح "، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، الحديث رقم: 7373، ص: 1096 ــ 1097، روي بهذا اللفظ: « أربعون يوما » ، حين قيل للرسول صلى الله عليه وسلم: " وما لُبْثُه في الارض "، وفي كتاب الفتن وأشراط الساعة ،باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ،ونزول عيسى وقتله إياه وذهاب أهل الخير والإيمان وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان، والنفخ في الصور،وبعث من في القبور، الحديث رقم: 7381، ص: 1099 ــ 1100، روي هكذا:« يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين يوما ». وينظر: النيسابوري، الحاكم أبو عبد الله، " المستدرك على الصحيحين "، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، 1411هـ/1990م، كتاب الفتن والملاحم، 575/4، وروي الحديث بهذا اللفظ: « **فما مكثه في الأرض ؟ قال :أربعون يوما .**»

[2] ــ ينظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 90 ــ 91 .

[3] – ابن مالك، " المصدر نفسه "، ص: 94.

[4] – الآية: 67 من سورة الزخرف .

[5] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 94.

[6] – الآية: 59 ــ 60 من سورة الحجر .

الثابت الخبر قول ابن أبي قتادة: « **أَحْرموا كلّهم إلاّ أبو قتادة لم يحرم** »[1]، فـــ"إلا" بمعنى "لكن"، و"أبو قتادة" مبتدأ و"لم يحرم" خبره[2].

فالشاهدان في قوله: "إلا أبو قتادة"؛ حيث جاء المستثنى مرفوعا رغم كونه من كلام تامّ موجب، وبعد أن استشهد ابن مالك بحديث ابن أبي قتادة حاول تدعيمه بشاهد من القرآن، فقال: "ونظيره من كتاب الله تعالى قراءة ابن أبي كثير وأبي عمرو: **[وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ]** [3]، والشاهد في قوله **[إِلَّا امْرَأَتَكَ]** بالرفع، فابن مالك يرى أنّ "**امْرَأَتَكَ**" مبتدأ، والجملة بعده خبر، وأضاف قائلا: ولا يصح أن تجعل "امرأتك" بدلا من "أحد"؛ لأنها لم تسرِ معه فيتضمنها ضمير المخاطبين، ودلّ على أنها لم تسر معه قراءة النصب، فإنها أخرجتها من أهله؛ الذين أمر أن يسري بهم، وإذا لم تكن في الذين سُري بهم لم يصحّ أن تبدل من فاعل "يلتفت"؛ لأنه بعض ما دلّ عليه الضمير المجرور بـــ "من"[4].

ومما استشهد به ابن مالك من الحديث في مسألة المبتدأ الثابت الخبر بعد "إلا" قول النبي صلى الله عليه وسلم: « **ما للشياطين من سلاح أبلغ في الصالحين من النساء، إلا المتزوجون، أولئك المطهرون المبرؤون الخنا** »[5]، والشاهد في قوله: " إلا المتزوجون أولئك المطهرون المبرؤون "؛ حيث يرى ابن مالك أنّ "المتزوجون" مبتدأ، والجملة بعده خبر[6].

---

[1] – البخاري، " الصحيح " ، كتاب: جزاء الصيد، باب لا يشير المحرم إلى الصيد؛ لكي يصطاده الحلال، رقم الحديث: 1824، ص: 206، وفي "صحيح مسلم"، رقم الحديث: 2854، ص: 427.روي هكذا :« **أحرمو كلهم إلا أبو قتادة فإنه لم يحرم.** »

[2] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 94.

[3] – الآية: 81 من سورة هود، وذكر المبرد في "المقتضب"هذه الآية الكريمة، وأجاز في "امرأتك " الرفع، كما أجاز النصب بقوله:" فالوجهان جائزان جيدان، فمن قال: "إلا امرأتك"، فهو مستثنى من "يلتفت"، وكأنه قال: "ولا يلتفتُ إلا امرأتُك" ويجوز النصب على غير هذا الوجه وليس بالجيد،ينظر: المبرد، "المقتضب ،2/597- 598.

[4] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 95.

[5] –أحمد بن حنبل أبوعبد الله النيسابوري"،المسند"،حديث أبو ذر الغفاري،5/163،الحديث منكر. وينظر:محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني"سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة،دار المعارف ،الرياض،المملكة العربية السعودية،ط1412،1/13،1992/138.

[6] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 95.

ثم قدّم شاهدا[1] من كلام العرب، كان سيبويه قد مثّل به في كتابه: باب ما يكون مبتدأ بعد "إلاّ"، فقال: ومن أمثلة سيبويه في هذا النوع "لأفعلنَّ كذا إلا حله أن أفعل كذا "[2]، والشاهد في قوله:" إلا حِلّه أن أفعل كذا "؛ حيث جاءت "حِلٌّ" مبتدأ، وما بعده خبرا، كأنه قال: "ولَكن حِلٌّ ذلك أن افعل كذا"[3].

ومن الابتداء بعد "إلاّ" المحذوف الخبر [4]: قول النبي صلى الله عليه وسلم: « **ولا تدري نفسٌ بأيّ أرض تموت إلا اللهُ** »[5]، والشاهد في قوله: «**إلا الله**»، والله مبتدأ، أمّا الخبر فمحذوف؛ أي: لكن الله يعلم بأيّ أرض تموت كلّ نفس، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: « **كلُّ أمتي معافىً إلاَّ المجاهرون** »[6].

والشاهد في قوله: « **إلاَّ المجاهرون** »، فالمجاهرون مبتدأ، أمّا الخبر فمحذوف، والتقدير: لكن المجاهرين بالمعاصي لا يُعافون[7].

إذا، استشهد ابن مالك بحديثين نبويّين على ما ذهب إليه من الابتداء بعد "إلاّ" المحذوف الخبر، وما يُلفت الانتباه في هذه المسألة، هو استشهاد ابن مالك بالحديث نفسه الذي قام بتخريجه

---

[1] – ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 95 .

[2] – العبارة في كتاب سيبويه، 2/ 360، ومثل ذلك قول العرب: "والله لأفعلن كذا وكذا إلا جلٌّ ذلك أن افعل كذا وكذا".

[3] – يُنظر: سيبويه، "الكتاب"، 2/ 360.

[4] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 95.

[5] – البخاري، " الصحيح "، كتاب التوحيد ،باب قوله تعالى:[**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً**][الجن :26]، و[**إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ**] [لقمان: 34]، و[**أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ**] [النساء : 166]، و[**وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ**] [فاطر: 11] و[**إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ**] [فصلت: 47] ، قال يحيى :" الظاهر على كل شيء علما، والباطن على كل شيء علما، الحديث رقم : 7379، ص: 856، روي الحديث برفع لفظ الجلالة "الله" وفي كتاب تفسير القرآن باب قوله تعالى[**اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ**] [الرعد: 8]، الحديث رقم 4697 ، ص: 556.

[6] – البخاري، " الصحيح "، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، رقم الحديث: 6069، ص: 716، بلفظ "المجاهرينَ"، وينظر: مسلم، " الصحيح "، كتاب الزهد والرقاق ،باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، لحديث رقم: 7485،ص: 1116، روي بلفظ " المجاهرين".

[7] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 96، ويُنظر: بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني "المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفيّة " ، 2/ 339.

« **كل أمتي معافى إلا المجارون** »، فابن مالك استشهد لهذا الحديث، ثم بعد ذلك لجأ إليه؛ ليستدلّ به على ما ذهب إليه من قواعد نحوية.ثم أورد شاهدا من القرآن أتبعه بثلاثة شواهد من الشعر [1].

فقال: وبمثل هذا تأويل الفراء قراءة بعضهم[2] **[فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ]**[3]؛ أي: إلاّ قليلٌ منهم لم يشربوا [4]، والشاهد في قوله: "إلاّ قليلٌ"، فـــ"قليلٌ" مبتدأ، والخبر محذوف. ومثله قول الشاعر[5]:

لَدَمٍ ضائعٍ تَغَيَّبَ عَنْهُ أَقْربوهُ إلاَّ الصَّبا والدَّبُورُ.

وموضع الاستشهاد في قوله: "إلاَّ الصَّبا والدَّبُورُ" بإعراب الصبا مبتدأ مع حذف الخبر، ويرى ابن مالك أن "إلاّ" هاهنا بمعنى "لكن"، والتقدير: لكن الصبا والدبور لم يتغيبا عنه [6]. ثم أضاف ابن مالك شاهدا آخر من الشعر استدلّ به على المسألة نفسها؛ أي مسألة الابتداء بعد "إلاّ" المحذوف الخبر. [7]

3 – 8: مسألة: العطف على ضمير الجر بغير إعادة الخافض :[8]

ذهب ابن مالك إلى أنه يجوز العطف على ضمير الجرّ بغير إعادة الجار، وهو ممنوع عند البصريين، إلا يونس وقطربا والأخفش، وجائز عند الكوفيين[9]، والجواز أصح من المنع؛ لضعف لضعف احتجاج المانعين، وصحّة استعماله نثرا ونظما [10]،فاستشهد ابن مالك هنا على صحّة ما

---

1 – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 96 ــ 97 .

2 – هي قراءة عبد الله وأبي والأعمش، يُنظر: "البحر المحيط"، 2/ 266 .

3 – الآية: 249 من سورة البقرة .

4 – ذكر الفراء في معاني القرآن، 1/ 120 القراءة، وينظر: العيني، " المقاصد النحوية "، 2/ 339 .

5 – استشهد ابن مالك بهذا البيت ولكنه لم يعزُه إلى قائله ،ينظر: " شواهد التوضيح "، ص: 96 ،وكذلك فعل العيني في "المقاصد النحوية "، 338/2 ،و أميل بديع يعقوب، " معجم شواهد العربية "، 172/1 .

6 – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 96، ويُنظر: العيني " المقاصد النحوية "، 2/ 339 .

7 – يُنظر: ابن مالك ، "شواهد التوضيح"، ص: 97 .

8– ينظر: ابن مالك، " المصدر نفسه " ، ص: 107 .

9– ينظر: الأنباري، " الإنصاف في مسائل الخلاف "، المسألة رقم: 65 ، 34/2 ، وينظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح " ص107.

10– ينظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح"، ص: 107.

ذهب إليه بقوله صلى الله عليه وسلم:« **إنما مثلكم واليهود والنصارى كرجلٍ استعمل عمالا** »[1] »[1] بجرّ اليهود، وقد تضمّن هذا الحديث العطف على ضمير الجرّ بغير إعادة الجار.

وبيّن ابن مالك في هذه المسألة ضعف احتجاج المانعين، فقال: أمّا ضعف احتجاجهم فبيّن، وذلك أنّ لهم حجتين:[2]

ـــ إحداهما: أنّ ضمير الجرّ شبيه بالتنوين ومعاقب له، فلم يجز العطف عليه. كما لا يعطف على التنوين.

ـــ والثانية: أنّ حق المعطوف والمعطوف عليه أن يصحّ حلول كل واحد منهما محلّ الآخر، وضمير الجرّ لا يصحّ حلوله محلّ ما يعطف عليه، فمنع العطف عليه إلاّ بإعادة حرف الجرّ[3]، نحو قوله تعالى تعالى :" **[فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً]**[4].

والحجتان ضعيفتان، أمّا الأولى، فيدلّ على ضعفها أن شبه الضمير بالتنوين ضعيف، فلا يترتّب عليه إيجاب ولا منع، ولو منع من العطف عليه لمنع من توكيده ومن الإبدال منه؛ لأنّ التنوين لا يؤكّد ولا يبدل منه، وضمير الجرّ يؤكد ويبدل منه بإجماع، فللعطف عليه أسوة بهما. وأمّا الثانية، فيدل على ضعفها أنه لو كان حلول كلّ واحد من المعطوف والمعطوف عليه محلّ الآخر شرطا في صحة العطف لم يجز "ربّ رجل وأخيه"، ولا:

أَيٍّ فَتى هَيْجَاءَ أَنْتَ وجارِهَا.[5]

ولا: "كم ناقة لك وفصيلها"، ولا: "الواهب الأمة وولدها"، ولا: "ولا زيد وأخوه منطلقان".[6] منطلقان".[6]

وأمثال ذلك من المعطوفات الممتنع تقدّمها وتأخّر ما عطفت عليه كثيرة. فكما لم يمتنع فيها العطف، لا يمتنع في "مررت بك وزيد"، ونحوه، ولا في" إنما مثلكم واليهود والنصارى"[1].

---

[1]- البخاري، " الصحيح "، كتاب الإجازة ، باب الإجازة إلى صلاة العصر، رقم الحديث: 2269، ص: 255 .

[2]- ينظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 107 .

[3]- ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 107 .

[4]- الآية :11 من سورة فصلت .

[5]- تمام البيت : " إذا ما رِجالٌ بالرجالِ استقَلَّتِ "، والبيت مجهول القائل، ينظر: سيبويه، " الكتاب "، 50/2 .

[6]- ينظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 107 ــ 108 .

وبعد هذا أورد ابن مالك شواهد من القرآن الكريم، ومنها قول الله تعالى: **[قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ]**[2]فجر "المسجد" بالعطف على الهاء المجرورة بالباء، لا بالعطف على "سبيل"؛ لاستلزامه العطف على الموصول، وهو "الصدّ" قبل تمام صلته؛ لأنّ "عن سبيل" صلة له؛ إذ هو متعلّق به، و"كفر" معطوف على الصد ،فإن جعل المسجد معطوفا على "سبيل" كان من تمام الصلة للصد، و"كفر" معطوف عليه، فيلزم العطف على الموصول قبل تمام الصلة، وهو
ممنوع بإجماع، فإن عطف على الهاء خلص من ذلك، فحكم برجحانه لتبيّن برهانه[3].

واستشهد ابن مالك بقراءة حمزة :**[وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ]**[4] بالخفض، وبعد ذلك أورد شواهد نثرية من كلام العرب؛ ليردفها بشواهد من الشعر[5].

قال ابن مالك في آخر هذه المسألة: "واعتضدت رواية جر "اليهود والنصارى" في الحديث المذكور، ولو روي بالرفع لجاز على تقدير: "ومثل اليهود"، ثم بحذف المضاف ويعطي المضاف إليه إعرابه.[6]

3 – 9: مسألة حذف البدل المضاف لدلالة الـــمُبدل منه عليه[7]:

ذهب ابن مالك إلى أنّه يجوز حذف البدل المضاف لدلالة المبدل منه عليه، وإبقاء المضاف إليه على ما كان عليه من الجرّ ،[8] وذلك قياسا على ما ذهب إليه سيبويه في جواز حذف المعطوف

---

[1]– ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 108 .
[2]– الآية: 217 من سورة البقرة .
[3]– ينظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 109 .
[4]– الآية: 01 من سورة النساء .
[5]– ينظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 109-110.
[6]– ينظر: ابن مالك، " المصدر نفسه "، ص: 111 .
[7] – ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 112.
[8]ـــ ابن مالك، " المصدر نفسه "، ص: 112 .

المضاف، وترك المضاف إليه على ما كان عليه قبل الحذف نحو: "ما كلّ سوداء تمرةً،ولا بيضاء شحمةً"[1].

كما استشهد ابن مالك في هذه المسألة بقول أحد الصحابة، فقال: وفي باب الإستعانة باليد في الصلاة « **ثم قام فقرأ العشر آيات** »[2] ، فيحمل هاهل أيضا على أن المراد: « **فقرأ العشر عشَر آياتٍ** » على البدل، ثم حذف البدل وبقي ما كان مضافا إليه مجرورا.[3]

ثم استشهد بحديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو قوله: «**خيرُ الخيلِ الأدهمُ الأقرحُ الأرثمُ المحجّل ثلاثٍ** »[4]، والشاهد في قوله: «**المحجّل ثلاث**»؛ حيث حذف البدل المضاف لدلالة المبدل منه عليه؛ أي: المحجل محجل ثلاث، ويرى ابن مالك أنّ هذا أجود من أن يكون على تقدير: المحجل في ثلاث، ثم ساق المؤلِّف شاهدين من الشعر[5]؛ ليُعضد بهما الظاهرة التي وجدها في الحديث الحديث النبوي.

---

[1] – سيبويه، "الكتاب"، 1/ 110،وردت لفظة "شحمةٌ "بالرفع ، يقول سيبويه: " إن شئت نصبت شحمةً، وبيضاءُ في موضع جرّ كأنك لفظت بـــ"كل" فقلت: "ولا كل بيضاء". قال السيرافي: "احتج بعض الناس أنّ هذا عطف على عاملين، وذلك أن "بيضاء" جرّ عطفا على سوداء، والعامل فيها "كل" و"شحمة"، نصب عطفا على "تمرة"، خبر "ما"، فقال سيبويه: ليس ذلك عطفا على عاملين، وتـــأوّله على أن بيضاء مجرور بـــ "كل" أخرى مقدرة بعد "لا"، وليست معطوفة على سوداء"،ينظر: سيبويه، "الكتاب "، هامش الصفحة: 110/1

[2] ـــ من كلام ابن عباس رضي الله عنه، البحاري، " الصحيح "، كتاب العمل في الصلاة، باب استعانة اليد في الصلاة إذا كان من أمر الصلاة، الحديث رقم:1198، ص: 138، وفي كتاب الوضوء، باب قراءة القرآن بعد الحديث وغيره، الحديث رقم: 183، ص: 32، رُوي الحديث بهذا اللفظ: « **فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات** »

[3] ـــ ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 112 . بيروت،لبنان،ط1427،4ه/2006م،كتاب :الجهاد،باب:ارتبا

[4] –ابن ماجه"السنن" شرح الإمام أبيي الحسن الحنفي السندي(ت1138ه)،تحقيق:خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، ط الخيل في سبيل الله .وينظر:النيسابوري، الحاكم أبو عبد الله، " المستدرك على الصحيحين "، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ، دار الكتب العلمية، بيروت ـــ ط1، 1411هـــ/ 1990م، كتاب الجهاد، 101/2 .

[5] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 113.

3 – 10: مسألة توحيد الاسم المضاف إلى المثنى وتثنيته وجمعه[1]:

واستشهد ابن مالك في هذه المسألة بقول أمّ عطية رضي الله عنها « **أمرنا أن نُخرج الحُيّضَ يوم العيدين** »[2]. والظاهرة التي قام بدراستها هنا هي توحيد "اليوم" المضاف إلى العيدين، وفي المعنى مثنى، ولو روي بلفظ التثنية على الأصل وبلفظ الجمع لأمن اللبس لجاز.ففيه وفي أمثاله ثلاثة أوجه:[3]

– الوجه الأوّل: وهو الوارد بإفراد، واستشهد له بما في حديث الوضوء من قول أحد الصحابة: « **ومسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما** »[4]، والشاهد في قوله: "ظاهر وباطن"؛
حيث ورد المضاف مفردا، والمضاف إليه مثنى.

ثم أتبع ابن مالك هذا الحديث بما حكاه الفراء من قول بعض العرب: " أكلتُ رأس شاتين"[5]، والشاهد في قوله " رأسُ شاتين"؛ حيث ورد الاسم المضاف إلى المثنى مفردا.

لينتهي بعد ذلك إلى شاهد من الشعر، فقال: ومنه قول الشاعر[6]:

حَمامَةَ بَطْنِ الوادِيَيْنِ تَرَنّمِي سَــقاكِ مِنِ الغُرِّ الغوادي مَطيرُها .

والشاهد في قوله: "بطن الواديَيْنِ" بإضافة الاسم المفرد إلى المثنى.

ومن الوارد بلفظ التثنية قول الشاعر[1]:

---

[1] – ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 115.

[2] – البخاري، " الصحيح "، كتاب الحيض، باب شهود الحائض العيدين ودعوة المسلمين ويعتزلن المصلى، الحديث رقم: 324، ص: 45، مروي بالمعنى.

[3] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 115.

[4] – الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، " مسند الشَامِيِّين"،تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان،(دط)، 405 1ه/1984م. مسند حريز عن عبد الرحمان بن ميسرة ، 14/2.وينظر:ابن ماجة"السنن" كتاب : الطهارة وسننها،باب :ما جاء في مسح الأذنين،الحديث رقم:442،440،439،ص260 ،261 .

[5] – قال الفراء: ويجوز في الكلام أن تقول: " أُتيتُ برأس شاتين "، معاني القرآن ، 1/ 211 .

[6] –ينظر: الأصفهاني، "الأغاني"، 143/11. البيت لتوبة بن الحِمْيَر.

فَتَخالَسا نَفْسَيْـــــهِما بِنَوَافِذَ كَنَـــوَافِذ العُبُط التي لا تُرفَعُ .

والشاهد في قوله: "نفسيْهما"؛ حيث ثنّى الاسم المضاف إلى المثنى.[2]

ومن الوارد بلفظ الجمع قول الله تعالى: **[رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا]** [3] ، و**[إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا]** [4] ، والشاهد في الآيتين هو قوله **[أَنْفُسَنَا]**؛ حيث ورد الاسم المضاف إلى الجمع جمعا، وفي قوله**[قُلُوبُكُمَا]** ورد الاسم المضاف إلى المثنى جمعا. [5]

ثم استشهد ابن مالك بحديث[6] لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو قوله: **« إزرةُ المؤمن إلى أنصاف ساقيه »**[7]، والشاهد في قوله: « أنصاف ساقيه »؛ حيث

ورد الاسم المضاف إلى المثنى جمعا، وقد اجتمعت التثنية والجمع في قول الراجز[8]:

ومَهْمَهَيْنِ قَذَفَيْنِ مَرْتَيْنِ ظَهراهُما مثلُ ظهور التُرسَيْنِ .

والشاهد فيه "ظهراهما" مثل ظهور الترسين، حيث ورد المضاف مثنى، والمضاف إليه مثنى ايضا في قوله "ظهراهما مثل ظهر الترسين"، حيث ورد المضاف مثنى، و المضاف إليه مثنى أيضا في قوله: " ظهراهما "، وورد المضاف في "ظهور الترسين" جمعا، والمضاف إليه مثنى[9].

---

[1] – أبو ذؤيب الهذلي، "الديوان"، ص: 163 .

[2] ــ ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 116 .

[3] ــ الآية: 23 من سورة الأعراف .

[4] ــ الآية: 04 من سورة التحريم .

[5] – ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 116 .

[6] – ابن مالك، "المصدر نفسه "، ص: 116 .

[7] – مالك بن أنس، " الـــموطأ "وإسعاف المبطأ برجال الموطأ " ، جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، تقديم: ، فاروق سعد ،دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ط3، 1405هـــ/1985م، كتاب الجامع ،باب ما جاء في إسبال الرجل ثوبه، ص: 794. وينظر: النسائي، أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب، " السنن الكبرى"،تحقيق : عبد الغفار سليمان البنداري و سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1411هـــ/ 1991م، 490/5 .

[8] – نسبه سيبويه في موضع من الكتاب إلى خُطام المجاشعي ، 2/ 45 و في موضع آخر نسبه إلى هميان بن قحافة، 4/ 98، و ينظر: إميل بديع يعقوب، "معجم شواهد العربية "، 12/ 213 .

[9] – سيبويه، "الكتاب"، 2/ 45.

ويلحق بهذا توحيد خبر المثنى المعبَّر عنه بواحد، كالتعبير عن الأذنين والعينين بحاسة، فإجراء هذا النوع مجرى الواحد جائز[1]، كقوله صلى الله عليه وسلم: **« من أفرى الفِرى أن يُريَ عينيه ما ما لم ترَ »**[2]. لو راعى اللفظ لقال: "ما لم تريا".[3]

ثم استدلّ ابن مالك ببيت من الشعر؛ ليُدعم به شاهده من الحديث النبوي في مسألة توحيد خبر المثنى المعبر عنه بواحد.[4]

3 – 11: مسألتا ورود الماضي بمعنى الأمر وحذف حرف العطف:[5]

عند تخريج ابن مالك لقول عمر رضي الله عنه: **« إذا وسّع الله عليكم فأوسعوا... صلى رجل في إزارٍ ورداءٍ، في إزار وقميصٍ، في إزارٍ وقباء »**[6]

يرأى ابن مالك أنّ هذا الحديث قد تضمّن فائدتين:

ـــ إحداهما: ورود الفعل الماضي بمعنى الأمر، وهو «صلّى رجل»، والمعنى: ليُصلّ رجلٌ، واستشهد على رأيه هذا بكلام العرب: "اتقى الله امرؤٌ وفعل خيرا يُثب عليه"[7] بمعنى: ليتّق وليفعل[8].

وأضاف قائلا: ولكونه بمعنى الأمر جيء بعده بجواب مجزوم كما يُجاء بعد الأمر الصريح.

وأكثر مجيء الماضي بمعنى الطلب في الدعاء، ومثّل لنا بقوله: نصر الله من والاك وخذل من عاداك.[9]

---

[1] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 116.

[2] – البخاري ، "الصحيح "، كتاب التعبير، باب من كذب في حُلُمه، الحديث رقم : 7043 ، ص: 820 .

[3] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 116.

[4] – ابن مالك، " المصدر نفسه "، ص: 116.

[5] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 117.

[6] – " الصحيح "، البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في القميص والسراويل والتُّبان والقَبَاء، الحديث رقم: 365، ص: 51. وروي الحديث بهذا اللفظ : **« إذا وسّع الله فأوسعوا...صلى رجل في إزار ورداء .»**

[7] – سيبويه، " الكتاب "، 3/ 117.

[8] – ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 117. ويُنظر: سيبويه، " الكتاب "، 3/ 117.

[9] – يُنظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 117.

وأما الفائدة الثانية التي يراها ابن مالك في حديث عمر رضي الله عنه فهي: حذف حرف العطف، فإنّ الأصل صلّى رجل في إزارٍ ورداءٍ، أو في إزارٍ وقميصٍ، أو في إزارٍ وقَباءٍ. فحذف حرف العطف مرتين لصحّة المعنى بحذفه[1].

ثم استدل ابن مالك بحديث نبوي يتضمن الفائدتين نفسيهما؛ اللتين تضمنهما حديث عمر، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: « **تصدّق امرؤ من دينارِه، من درهمه..من صاع بُرِّه، من صاع تمره** »[2]، والفائدة الأولى في هذا الحديث تتمثل في ورود الفعل الماضي بمعنى الأمر، وهو "تصدَّق امرؤٌ"، والمعنى: ليتصدّق امرؤٌ.[3]

أما الفائدة الثانية، فهي حذف حرف العطف "الواو" مع الإبقاء على المتعاطفين، والأصل هو: " و من درهمه ومن صاع بُرّه "[4].

وليس النحاة جميعا على هذا الرأي من حذف "الواو"، فقد أجازه الفارسي، وتبعه ابن عصفور وابن مالك، و لم يأخذ به نحاة كثيرون[5].
فابن مالك يرى أنّ الواو يجوز أن تُحذف مع معطوفها ودونه، ويُشاركها في الأول: "الفاء" و"أم"، وفي الثاني "أو"[6].

---

[1] – يُنظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 117.

[2] – مسلم، " الصحيح "، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، الحديث رقم :2351، ص: 356 ــ 357، ورد الحديث بهذا اللفظ: « **تصدق رجل من دينارِه** ».

[3] – يُنظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 117 .

[4] – يُنظر: إبراهيم إبراهيم بركات، "النحو العربي"، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط1، 2007، 5/ 208.

[5] – إبراهيم إبراهيم بركات، " النحو العربي "، 5/ 208 .

[6] – يُنظر: ابن مالك، " تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد"، ص: 178.

3 ــ 12: مسألة استعمال "فـــي" دالة على التعليل: [1]

لقد سبقت الإشارة إلى أنَّ ابن مالك لم يكن يكتفي في كثير من الأحيان بتعضيد الظواهر الواردة في الأحاديث النبوية بالآيات القرآنية والقراءات التي فيها؛ بل كان يضيف إليها أيضا الأحاديث النبويّة والشعر القديم، وهذا ما فعله خلال حديثه عن مجيء "في" للتعليل [2] في قوله صلى الله عليه وسلم: **« عُذّبت امرأة في هرّة حبستها حتى ماتت جوعا فدخلت فيها النار »**[3]، فابن مالك ههنا يرى أنّ الحديث يتضمن استعمال "في" دالة على التعليل، وهو ما خفي في نظره على أكثر النحويين مع وُروده في القرآن الكريم، والحديث ، وفي الشعر القديم[4].

ومما لا يخفى على أي أحد منا أنّ حروف الجرّ وُجدت في التركيب؛ لتؤدي دلالات تحدّد علاقة واحدة من علاقات متعددة يمكن أن تكون فيما يسبقه، وتحديدها فيما بعدها من المجرور.

والمعاني تتعدّد وتتنوّع إلى ما لا حصر له، والحروف تنحصر إلى حدّ كبير؛ لذلك فإنّ دلالة الحرف تتعدّد، وتحديد هذه الدلالة متروك لثلاثة جوانب متلازمة يحكُمها طاقة محرِّكة، أمّا هذه الجوانب، فهي: الفعل وما يشبهه، أو الاسم، ثم حرف الجر، فما بعد حرف الجرّ من معمول. أما الطاقة المحركة المستخلصة المتفاعلة والفاعلة فإنما هي المتحدّث بممارسته اللغوية. [5]

إذا، ما قد يُدرِكه القارئ بعد هذه الملاحظة السابقة، هو مجيء حروف الجر بدلالات كثيرة ومتنوّعة في السياق[6]، فمثلا حرف الجر "في" وكذلك "الباء" يشتركان في إفادة الظرفية والسببية،

---

[1] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 123.

[2] – يُنظر: بدر الدين الدماميني (ت827 هـــ) وسراج الدين البُاقيني (ت 805 هـــ)، " الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة على إثبات القواعد النحوية "، ص: 18.

[3] – البخاري، " الصحيح "، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، الحديث رقم: 2365، ص: 269.

[4] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 123.

[5] – يُنظر: إبراهيم إبراهيم بركات، "النحو العربي"، **240/4**.

[6] – يُنظر ابراهيم ابراهيم بركات،" المرجع نفسه "،4 /**240** .

فمثال "في" للظرفية قولك: "زيدٌ في المسجد"، وهو الكثير فيها، ومثالها للسببية[1] قوله صلى الله عليه وسلم: « **دخلت امرأة النار في هرّة حبَسَتْها** »[2].

وكذلك تفيد "في" معنى المصاحبة ومعنى الاستعلاء والمقايسة، وأيضا قد تـــأتي بمعنى الباء[3].

ومما استشهد به ابن مالك على مجيء "في" مفيدة للسببية؛ أي: دالة على التعليل، هو قول الله تعالى:[**لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**] [4] ، والشاهد في قوله "فيما أخذتم"؛ لأن المعنـــى : (لمسّكم بسبب لأجل ما أخذتم عذابٌ.) [5] وأيضا قوله تعـــالى: **[وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ]**[6]، وموطن الشاهد" (لمسّكم فيما أفضتم)، حيث جاءت "في" دالة على التعليل، والمعنى: لمسكم عذابٌ عظيمٌ بسبب ما أفضتم[7].

ومما احتج به من حديث قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « **عُذبت امرأة في هرة** »[8] وقوله: « **إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير** »[9]، والشاهد في الحديث الأول هو قوله: "في هرة"؛ أي: بسبب، أو " لأجل هرّة حبستها "[10]، أمّا الشاهد في الحديث الثاني، فهو "فيعذّبان في كبير"؛ أي: بسبب أو لأجل ذنب كبير.[11]

---

[1] – ابن عقيل، " شرح ألفية ابن مالك "، 2/ 17.

[2] – البخاري، " الصحيح "، كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسقُ يُقتلن في الحرم، الحديث رقم: 3318، ص: 389، وهو بلفظ (ربطَتها) بدل حبستها.

[3] – يُنظر: ابن عقيل، " شرح ألفية ابن مالك "، 2/ 17.

[4] – الآية: 68 من سورة الأنفال .

[5] – ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 123.

[6] – الآية: 14 من سورة النور .

[7] – يُنظر: ابن هشام الأنصاري، " أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك "،35/3.

[8] – البخاري، " الصحيح "، كتاب المساقاة، باب: فضل سقي الماء، الحديث رقم: 2365، ص: 269.

[9] – البخاري، " الصحيح "، كتاب الجنائز، باب الجريد على القبر، الحديث رقم: 1361، ص: 155.

[10] – يُنظر: ابن هشام الأنصاري، " أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك " ، 3/ 35 .

[11] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 123 ــ 124.

ثم دلف ابن مالك إلى الشعر القديم ليستشهد بثلاثة أبيات منه على الظاهرة التي هو بصدد شرحها.[1]

والذي يُلفت الانتباه في هذه المسألة، هو: استشهاد ابن مالك بالحديث نفسه الذي قام بتخريجه في بداية هذه المسألة، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: " عذبت امرأة في هرّة حبستها .

3 – 13: مسألة حذف الموصول مستغنى عنه بصلته[2]:

ذكر ابن مالك في حديثه عن حذف الموصول لدلالة صلته عليه أنّ هذا مما انفرد به الكوفيون ووافقهم عليه الأخفش ، وهم في ذلك مصيبون [3] ، ثم استدلّ على صحة رأيهم بقوله تعالى: **[وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ]** [4]؛ والأصل: بالذي أنزل إلينا والذي أنزل إليكم؛ لأنّ الذي أنزل إلينا ليس هو الذي أنزل إلى من قبلنا ، ولذلك أعيدت "ما" بعد "ما" في قوله تعالى **[وقولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ]**[5].

ثم أورد ابن مالك شاهدين من الشعر[6]، تمثّلا في قول حسان رضي الله عنه : [7]

أَ مَنْ يَهْجُو رَسولَ الله مِنْكُمْ ويمـــــدَحُهُ وَيَنْصــرُهُ سَوَاءُ.

وعلّق على البيت قائلا: يريد أمن يهجو رسول الله منكم أيّها المشركون ومن يمدحه منا وينصره سواءُ؟[8] ، فالشاهد يتمثل في قوله: " ويمدحه "، فقد حذف الاسم الموصول للدلالة عليه، ولعدم ضرورة التكرار بالعطف، والتقدير: ومن يمدحه[1] .

---

[1] – يُنظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 123 ــ 124.

[2] - ينظر: ابن مالك " شواهد التوضيح " ص: 133

[3] – يُنظر: بن مالك، " المصدر نفسه "، ص: 133، وينظر: محمد بن عمار درين،" تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس،ص: 172/2

4 ــ الآية: 46 من سورة العنكوت .

5 ــ الآية: 136 من سورة البقرة .

[6] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 134 .

[7] – حسان بن ثابت، " الديوان "، دار صادر ، بيروت، لبنان، دط، دت، ص: 09 .وروايته: فَمَن يهجو بدل: أمن يهجو، وينظر: الفراء، " معاني القرآن "، 2/ 207، والمبرّد، " المقتضب "، 429/1 .

[8] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 134 .

و الشاهد الآخر تمثّل في قول الشاعر: [2]

ما الذي دأبه احتياط وحزم وهـــــواه أطاع يستويان .

فعلّق على هذا الشاهد قائلا: يريد: ما الذي دأبه احتياط وحزم، والذي هو أطاع يستويان، ليستشهد بعد هذين البيتين بشاهد من الحديث النبوي؛ والذي هو خير ما يستشهد به على هذا الحكم على حدّ قول ابن مالك . وهذا الحديث هو قوله صلى الله عليه وسلم : « **مثل المهجّر كالذي يهدي بدنة ،ثم كالذي يهدي بقرة ،ثم كالذي يهدي كبشا،ثم دجاجة ثم بيضة** »[3]، والشاهد في قوله : «ثمّ كبشا ،ثم دجاجة،ثم بيضة »؛ حيث حذف الموصول وأكثر الصلة ثلاث مرات ؛ لأن التقدير: ثم كالذي يُهدي كبشا، ثم كالذي يُهدي دجاجة، ثم كالذي يُهدي بدنة. وإذا حذف الموصول وأكثر الصلة، فأن يحذف الموصول وتبقى الصلة بكمالها أحقّ بالجواز وأولى[4].

إذا، فقد استشهد ابن مالك في هذه المسألة بشاهدين من الشعر،ثم قام بتعضيضهما بأحسن شاهد، وهو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

3 -14: مسألة حذف المضاف باقيا عمله وإن لم يكن بدلا[5]:

ومما استشهد به ابن مالك من حديث في هذه المسألة قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « **فضلُ الصلاة بالسواك على الصلاة بغير سواك سبعين صلاة** »[6] ؛ أي: فضل سبعين صلاةً، ويجوز أن يكون الأصل: بسبعين صلاة[7]،فحذفت الباء وبقي عملها.

---

[1] – يُنظر: المبرد، " المقتضب "، 429/1 .

[2] – قائل البيت مجهول، ينظر: ابن هشام، " مغني اللبيـــب "، 165/2، إميـــل بديع يعقوب، " معجم شواهد العربية "، 1/ 400 .

[3] - مسلم، "الصحيح" ،كتاب الجمعة، باب فضل التهجّر يوم الجمعة، الحديث رقم: 1984، ص: 299 ــ ص: 300، وروي الحديث بهذا اللفظ: « **و مثل المهجَّر كمثل الذي يهدي البدنة ، ثم كالذي يهدي بقرة، ثم كالذي يهدي الكبش، ثم كالذي يهدي الدجاجة** »، وينظر: البخاري، " الصحيح " ، كتاب الجمعة: باب الاستماع إلى الخطبة ، الحديث رقم: 929 ، ص: 106.

[4] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 134 .

[5] – بن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 113.

[6] – أحمد بن حنبل"المسند" المكتب الإسلامي للطباعة والنشر،(دط)،(دت)،272/6،وهو حديث ضعيف ،وينظر:المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي،ونسل وآخرون، استانبول،دار الدعوة،تونس،دار سحنون،(دط)،1988م،38/3.

[7]. بن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 113.

و الشاهد في الحديث أن يكون المضاف محذوفا، وهو " فضل "؛ أي فضل سبعين صلاة، فالسبعون مضاف إلى "فضل" المحذوف مجرورة به، كما يجوز أن يكون السبعين مجرورا بالباء المحذوفة، وتقدير الكلام « **فضل الصلاة بالسواك على الصلاة بغير سواك بسبعين صلاة** » [1] ونظير ذلك من القرآن قول الله تعالى: **[كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ]**[2] وفي قوله تعالى:**[اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أنعَمتَ عَلَيهِمْ]**[3]

ويرى العكبري أنّ الصواب في هذا الحديث: "سبعون" والتقدير: فضل سبعين؛ لأنّه خبر"فضل" الأول .[4]

3 ــ 15: تأنيث الضمير العائد على مذكر:[5]

يرى ابن مالك أن المذكر يجوز تأنيثه إذا أُوِّل بمؤنث، نحو قوله تعالى: **[لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى]**[6]، وقوله تعالى :**[فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى]**[7].

ومن إعطاء المذكر حكم المؤنث باعتبار التأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم في إحدى الروايتين: « **فإن في إحدى جناحيه دواءً والأخرى داء** »[8]

فالجناح مذكر، ولكنّه من الطائر بمنزلة اليد، فجاز تأنيثه مؤوّلا بها [9]. ومن تأنيث المذكر لتأويله مؤنث قول الله تعالى: **[مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا]**[10]، فأنّث عدد الأمثال، وهي مذكّرة لتأويلها بحسنات.

---

[1] ــ ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 113.

[2] ــ الآية: 15 ــ 16 من سورة العلق .

[3] ــ الآية: 06 ــ 07 من سورة الفاتحة .

[4] ــ العكبري، محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين الحنبلي(ت 616هـ)، إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي، تحقيق وتخريج: عد الحميد الهنداوي، مؤسسة المختار ، القاهرة، ط1، 1999، ص: 198 .

[5]- ينظر ابن مالك "شواهد التوضيح"- ص143.

[6]- جزء من الآية : 21 من سورة يونس.

[7]- الآية: 07 من سورة الليل .

[8]- البخاري " الصحيح "، كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم، الحديث رقم: 3320 ، ص: 389، وروي هكذا: « **في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء** »، وفي كتاب الطب ، باب إذا وقع الذباب في الإناء، الحديث رقم: 5782 ، ص: 690 .

[9]- ينظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 143 .

[10]- الآية 160 من سورة الأنعام .

ثم أورد شاهدا من القراءات، وهي قراءة أبي العالية **[لاَ يَنفَعُ نَفْساً إيمَانُهَا]**[1]بالتاء، والفعل مسند إلى "الإيمان"، ولكنه في المعنى طاعة وإنابة، فكان ذلك سببا اقتضى تأنيث فعله .

ولا يجوز أن يكون تأنيث فعل "الإيمان"؛ لكون الإيمان سرى إليه تأنيث من المضاف إليه، كما سرى من "الرياح"، إلى الـــ" مرّ"[2] في قول الشاعر :[3]

مَشَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ أَعَالِيَهامَرُّ الرِيَاحِ النَّواسِمِ .

لأنّ سريان التأنيث من المضاف إليه إلى المضاف مشروط بصحة الاستغناء به عنه، كاستغنائك بالرياح عن الـــ"مَرُّ" في مثل: تسفهت أعاليها الرياحُ، وذلك لا يأتى في "لا تنفع نفسا إيمانها"؛ لأنّك لو حذفت "الإيمان" وأسندت"تنفع" إلى المضاف إليه لزم إسناد الفعل إلى ضمير مفعولِه، وذلك لا يجوز بإجماع؛ لأنّه بمنزلة قولك: "زيدا ظلم" تريد : "ظلم زيد نفسه"، فتجعل فاعل "ظلم" ضميرا لا مفسّر له إلا مفعول فعله، فتصير العمدة مفتقرة إلى الفضلة افتقارا لازما، وذلك فاسدٌ، وما أفضى إلى الفاسد فاسد[4] .

فالشاهد في هذا البيت في قوله : " تسفهت أعاليها مرّ الرياح " حيث أنّث الفعل بتاء التأنيث مع أنّ فاعله مذكّر، وهو قول: "مرّ"، والذي جلب له ذلك إنما هو المضاف إليه، وهو الرياح، وجاز ذلك لصحة الاستغناء عن المرّ بالرياح، نحو: " تسفهت الرياح"[5].

3 ــ 16: مسألة : معنى رب واستعمالها :[6]

يرى البصريّون أنّ "ربّ "حرف جر، وأنّها للتكثير لا للتقليل، أمّا الكوفيون، فيرون عكس ذلك؛ حيث عدّوا "رب" اسما، وهي للعدد والتقليل .[7]

---

[1]- الآية 158 من سورة الأنعام .

[2]- ينظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 144 .

[3]- **البيت لذي الرمة، برواية(رويدا) بدلا من (مشيت)، ينظر: سيبويه، " الكتاب "، 52/1 ، 94، وينظر: المبرد، " المقتضب "، 457/4** ، وينظر ابن الناظم "شرح ألفية ابن مالك" ص276، وينظر:عبد القادر البغدادي،خزانة الأدب،211/4.

[4]- ينظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 144.

[5]- ينظر: سيبويه، "الكتاب"، 95/1 ، وينظر المبرد، "المقتضب"، 2/ 457، وينظر: ابن عقيل، " شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك" ، 39/2 ،وينظر:ابن الناظم "شرح ألفية ابن مالك" ص276.

[6]- ينظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص: 164 .

[7]- ينظر: الأنباري " الإنصاف في مسائل الخلاف"، 328/2 .

وذهب ابن مالك مذهب البصريين، وهذا ما يُفهم من حديثه عن "رب"، والصحيح أنّ معناها في الغالب: التكثير، نصّ على ذلك سيبويه، ودلّت شواهد النثر والنظم عليه، وأمّا سيبويه، فقد جعل معنى "ربّ" ومعنى "كم" الخبرية واحد، إلاّ أنّ "كم" اسم و"رب" غير اسم [1]، وليثبت ابن مالك صحّة القاعدة التي أيّد فيها سيبويه أورد شواهد من النثر والنظم، فمن النثر أورد حديث الرسول صلى الله عليه وسلّم: « **يا ربّ كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة** »[2].

ثم علّق على معنى "ربّ" في هذا الحديث قائلا: " فليس المراد أنّ ذلك قليل، بل المراد أنّ الصنف المتصل بهذا من النساء كثير"[3]، ولذلك جُعلت "كم" موضع "ربّ" لحسن ونظائره كثيرة. ثم أورد أورد شواهدَ من الشعر ليعضد بها الحديث النبوي، ومن هذه الشواهد قول حسان بن ثابت: [4]

رُبَّ حِلْمٍ أَضاعَهُ عَدَمُ الـــ مالِ وَجَهْلٍ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعيمِ

والشاهد في قوله: إنّ هناك أحلامًا كثيرة أضاعها انعدامُ المالِ.

3 ــ 17: مسألة اتصال نون الوقاية بالاسم المعرب المشابه للفعل :[5]

ذكر ابن مالك أنّ نون الوقاية تَصْحَبُ الأسماء المعربة المضافة إلى باء المتكلم؛ لتقيها خفاء الإعراب، فلما منعوها كان كأصل متروك، فنبّهوا عليه في بعض الأسماء المعربة المشابهة للفعل[6]، نحو نحو قول الشاعر:[7]

وليس بِمُعْيِنِي، وَفِي النَاسِ ممتعٌ صديق إذا أعيا عليّ صـــديقُ.

ونحو قول الآخر[1]:

---

[1]- ينظر: سيبويه "الكتاب" 159/2 ، وينظر الأنباري " الإنصاف في مساشل الخلاف "، 328/2 وينظر محمد بن عمار درين، " تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس "، 586/2 .

[2]- البخاري " الصحيح "، كتاب: العلم، باب العلم والعظة بالليل، الحديث رقم: 115، ص: 25 ، ورد بهذا اللفظ: « **عارية في الآخرة** »، وفي كتاب التهجد ، باب تحريض النبي على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، الحديث رقم: 1126، ص: 130، وفي كتاب الأدب، باب التكبير والتسبيح عند التعجب، الحديث رقم: 6218 ، ص:731 .

[3]- ينظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح"، ص: 164.

[4]- حسان بن ثابت الأنصاري، "الديوان"، ص: 22 .

[5]- ينظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح"، ص: 178 .

[6]- ينظر: المصدر نفسه "، ص: 178 ، وينظر: ابن مالك، " شرح التسهيل "، 152/1.

[7]- قائل البيت مجهول ، وفي " شرح التسهيل "، 152/1 ذكر ابن مالك عند إيراده لهذا البيت أنّ ابن طاهر أنشده في تعليقه على كتاب سيبويه،وينظرالسيوطي"الأشباه والنظائر في النحو"،تحقيق:محمد عبد القادر الفاضلي،المكتبةالعصرية،صيدا، بيروت،1426ه /2006م.ص4/ 53. و ينظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح"، ص: 178

و ليس الموافيني ليُرفِدَ خائبًا فإن له أضعـــافَ ماكان أملا

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لليهود: « **فهل أنتم صادقوني** »[2]، ولما كان لأفعُلِ التفضيل شَبَهٌ بفعل التعجب اتّصلت به النون المذكورة أيضا في قول النبي صلى الله عليه وسلّم : « **غير الدجال أخوفني عليكم** »[3].

والأصل فيه: أخوف مخوفاتي عليكم، فحذف المضاف إلى الياء، وأقيمت هي مقامه، فاتصل "أخوف" بها مقرونة بالنون، كما اتصل "معيي" و" الموافي" بها في البيتين المذكورين.[4]

وما نلاحظ في هذه المسألة هو استشهاد ابن مالك ببيتين من الشعر، ثم قام بتعضيدهما بشاهدين من الحديث الشريف وما لفت انتباهنا ها هنا هو استشهاده بالحديث المشكل نفسه الذي عرضه للدراسة في بداية هذه المسألة وهو قوله صلى الله عليه وسلم :« **فهل أنتم صادقوني** ».[5]

3 ــ 18: مسألة استعمال "مِن" في ابتداء غاية الزمان :[6]

وعند تخريج ابن مالك لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم « **مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا، فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراطٍ قيراطٍ ؟ فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط، ثم قال: من يعمل لي مِن نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟فعملت النصارى مِنْ نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراطٍ قيراطٍ. ثم قال: من يعمل لي مِن صلاة العصرإلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين؟ألا فأنتم الذين يعملون مِن صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين** [7] »[1] قال: تضمن هذا

---

[1]– قائل البيت مجهول وصدّره ابن مالك في " شرح التسهيل "، 152/1 بقوله : " وأنشد غيرهما "، يعني: الفراء وابن طاهر، وينظر**السيوطي"الأشباه والنظائر في النحو"،53/4**. و ينظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح"، ص: 178 .

[2]– البخاري، " الصحيح "،كتاب الطب، باب ما يذكر في سمّ النبي صلى اله عليه وسلّم، الحديث رقم: 5777 ، ص: 690، وروي بهذا اللفظ: « **فهل أنتم صادقيّ عنه** »، و« **هل أنتم صادقي عن شيء** »، وينظر: العسقلاني، "فتح الباري شرح صحيح البخاري "، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحبّ الدين الخطيب، باب ما ذكر في سمّ النبي صلى اله عليه وسلّم ، 245/10 .

[3]– مسلم، " الصحيح " ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، الحديث رقم: 7373 ، ص: 1097.

[4] – ينظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 179 .

[5] – ينظر: ابن مالك، " المصدر نفسه "، ص: 179 .

[6] - ينظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 189.

[7] – يُنظر: ابن مالك، "شواهد التوضيح"، ص : 189.

الحديث استعمال "مِن" في ابتداء غاية الزمان أربع مرات، وهو مما خفي على أكثر النحويين؛ فمنعوه تقليدا لسيبويه في قوله : وأما "مِن" فتكون لابتداء الغاية في الأماكن، وأمّا "مذ" [2] فتكون لابتداء غاية الأيام والأحيان، ولا تدخل واحدة منهما على صاحبتها . [3] هذا يعني أنّ "مُذْ" لا تدخل على الأمكنة، ولا من على الأزمنة .

فرأى ابن مالك أنّ الأوّل مسلّم بإجماع؛ أي: "مذ" لا تدخل على الأمكنة، أمّا الثاني؛ :أي "من"، فلا تدخل على الأزمنة، فهو ممنوع لمخالفته النقل الصحيح والاستعمال الفصيح.[4]

ومن شواهد صحّة هذا الاستعمال قول الله تعالى: **[لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ]** [5] وبهذا استشهد الأخفش على أنّ" من" تستعمل لابتداء غاية الزمان، وقد قال سيبويه في باب ما يضمر في الفعل المستعمل إظهاره بعد حرف: ومن ذلك قول العرب:" من لَدُ شَوْلا فَإلى إِتْلائِها"[6]، نصب لأنّه أراد زمانا. و"الشول" لا يكون زمانا ولا مكانا، فيجوز فيه الجرّ ، كقولك من لدُ صلاة العصر إلى وقت كذا و كذا، فلّما أراد الزمان حمل "الشول" على شي يحسن أن يكون زمانا إذا عمل في الشول، كأنك قلت: "من لدُ أَن ْكانت شَوْلا إلى إتلائها".[7]

ومن شواهد هذا الاستعمال أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم: « **أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هذه ، فإن على رأس مئة سنة مِنْها** »[8]، فابن مالك أورد هذا الحديث النبوي كخير شاهد على استعمال

---

[1] - البخاري، " الصحيح "، كتاب الإجارة ، باب الإجارة إلى صلاة العصر، الحديث رقم : 2269، ص: 255 . وروي الحديث بهذا اللفظ : « **إنما مثلكم واليهود والنصارى.** »

[2] - الزمخشري أبو القاسم جار الله محمودبن عمر(ت 538 ه)"المفصل في صنعة الإعراب"دار الكتب العلمية بيروت،لبنان،ط1 1420ه،1999م،ص372.

[3] - سيبويه، " الكتاب "، 4/ 347، وينظر: الأنباري، " الإنصاف في مسائل الخلاف "، 317/1.

[4] ينظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 189.

5 ــ الآية: 108 من سورة التوبة .

6 ــ الرجز بلا نسبة. ينظر:سيبويه، " الكتاب "، 323/1 ، وينظر:ابن منظور، "لسان العرب"مادة(ل د ن)،384/13

7 ــ سيبويه، " الكتاب "، 323/1 .

8 ــ البخاري، " الصحيح "، كتاب العلم، باب السمر في العلم، الحديث رقم: 116، ص: 25، وفي كتاب مواقيت الصلاة، باب ذكر العشاء والعتَمة ومن رآه واسعا، الحديث رقم: 564، ص: 70 ، وروي الحديث يلفظ آخر: « **أَرَأَيْتُكُم لَيْلَتَكُم هذه، ، فإنّ رأس مئة سنة منها .**»

"من" في ابتداء غاية الزمان، وبعد ذلك أورد شواهد من كلام أهل البيت والصحابة، ثم أضاف شواهد من الشعر.[1]

3 ــ 19: : استعمال "رجع" بمعنى "صار" معنى وعملا:[2]

ألحق قوم، منهم ابن مالك بـــ"صار" في العمل ما وافقها في المعنى من الأفعال، من ذلك: (آضَ، وعادَ، وآلَ، ورجعَ، وحار، واستحالَ، وتحوّل، وارتدّ)[3].

فنبّه ابن مالك على أنّه مما خُفي على أكثر النحويين استعمال "رجع" كـــ"صار" معنى وعملا [4]، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « **لا ترجعوا بعدي كفّارا** »[5] فلا ترجعوا بمعنى: لا تصيروا، وكفارا. منصوب على الخبر؛ أي: كالكفار.[6]

إذا، فابن مالك استشهد على صحّة ما ذهب إليه في هذه المسالة النحوية بحديث نبوي، ثمّ أردفه بشواهدَ أخرى من الشعر.[7]

3 ــ 20: مسألة: لغة أكلوني البراغيث :

استدل ابن مالك في وقوع الفعل غير مجرّد من علامة التثنية، أو علامة الجمع عند تقديمه على ما هو مسند استغناء بما في المسند إليه من العلامات [8]بالحديث[9]:« **يتعاقبون فيكم ملائكة** »[10]،

---

1 ــ ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 190 ــ 191 .

2- ابن مالك، " المصدر نفسه "، ص: 197 .

3- محمود فجال، " الحديث النبوي في النحو العربي" ، ص: 180 .

4- ينظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 197 .

5- البخاري " الصحيح "، كتاب العلم، باب الإنصاف للعلماء، الحديث رقم: 121 ، ص: 25، وفي كتاب الفتن – باب قول النبي صلى الله عليه وسلّم: « **لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض.** »، الحديث رقم: 7076، ص: 823 ، ومسلم، " الصحيح "، كتاب الإيمان ، باب« **لا ترجعوا بعدي كفارا** » الحديث رقم: 225، ص: 49 ، قال في حجة الوداع: « **ويحكم** » أو قال « **ويلكم، لا ترجعوا بعدي.** ».

6- ينظر: محمود فجال، " الحديث النبوي "، ص: 180 .

7- ابن مالك، " شواهد التوضيح "، ص: 197 .

8- ينظر ابن مالك، "المصدر نفسه "، ص: 246 .

9- البخاري، " الصحيح "، كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر، الحديث رقم: 555، ص: 69 ، وفي صحيح مسلم كتاب الساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتيْ الصبح والعصر والمحافظة عليهما، الحديث رقم: 1432 ، ص: 224 ، وينظر: الإمام مالك بن أنس " الموطأ "، كتاب الصلاة، باب جامع الصلاة، ص: 143 .

10- ذكرت خديجة الحديثي في كتابها أن ابن مالك هو أوّل المحتجين بهذا الحديث البانين عليه رأيا جديدا في "الألف" و"الواو". "موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث " ، ص: 243 .

فالأصل على اللغة المشهورة كما يرى ابن مالك أن يكون الفعل مجرّدا من علامة التثنية والجمع، و "يتعاقبون" جاء غير مجرّد من ذلك؛ إذ أنّ "الواو" في الفعل "يتعاقبون" علامة جمع، والمسند إليه هم "الملائكة"؛ الذي جاء جمعا، فدلّ ذلك على جواز ما ذهب إليه.

إذا، ابن مالك استشهد على ما ذهب إليه من قاعدة نحوية بحديث لِرسول الله صلى الله عليه وسلم، بعدما كان قد استدلّ بكلام العرب، ثم أورد شاهدين: واحد لعائشة رضي الله عنها، والآخر لأحد الصحابة[1]؛ ليستدلّ بعد ذلك بثلاثة أبيات من الشعر، منها قول الشاعر[2]:

نَصَروكَ قَوْمي فاعْتَزَزْتَ بِنَصْرِهِم وَلَوْ أَنَّهُمْ خَذَلوك كُنْتَ ذَلِيلا .

والشاهد في قوله: "نصروك قومي"، فقد ألحق علامة جمع الذكور، وهي: "الواو" بالفعل "نصروك"، مع أنّ هذا الفعل مسند إلى فاعل ظاهر بعده، وهو قوله "قومي"[3].

ومثله قول الشاعر[4]:

نُسِيَا حاتِمٌ وأَوْسٌ لَدُنْ فا ضَتْ عَطايَاكَ يَا اْبنَ عَبْدِ العَزيزِ .

ومحلّ الاستشهاد في قوله: "نسيا حاتم وأوس"؛ حيث وصل بالفعل ألف التثنية مع أنّ الفاعل اسم ظاهر، وكان القياس على الفصحى أن يقول: "نُسِي حاتم وأوس".

ومثله أيضا: [5]

رَأَيْنَ الغواني الشَّيْبَ لاح بمفْرِقي فَأَعْرَضْنَ عَنّي بالخُدُودِ النواضِر .

---

[1]- ينظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح " ص: 247 .

[2]- لم أقف على قائل البيت في كتب النحو التي استطعت الحصول عليها. - ينظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح " ص: 247 وينظر: ابن عقيل، " شرح ألفية ابن مالك "، 64/1.

[3]- - ينظر: ابن مالك، " شواهد التوضيح " ص: 247-

[4]- قائل البيت مجهول ، ينظر: ابن مالك " شواهد التوضيح" ،ص: 247. وينظر: إميل بديع يعقوب، "معجم شواهد العربية" ، 22/4 . وينظر: ابن عقيل، " شرح ألفية ابن مالك "، 64/1.

[5]- قائل البيت هو العُتبي كما في " البيان والتبيين "، 119/1 ،وينظر: ابن عقيل، " شرح ألفية ابن مالك "، 64/1 بلفظ:(بعارضي) بدلا من(بمفرقي) ، أو هو محمد بن أمية كما في " العقد الفريد "، 43/3 ، وينظر: الأصفهاني، " الأغاني " ، 129/14 .

والشاهد فيه قوله: "رأين الغواني"، فإنّ الشاعر قد وصل الفعل بنون النسوة في قوله: "رأين" مع ذكر الفاعل الظاهر بعده، وهو قوله: "الغواني".[1]

وفي خاتمة هذا الفصل يمكن أن أقول إن ابن مالك كان حريصا على أن يأتي بالشواهد المتنوعة،حيث لا تخلو صفحة من صفحات كتابه"شواهد التوضيح" من القرآن الكريم والحديث النبوي وكلام العرب من شعر ونثر،فهو يستشهد بالقراءات كلها دون تمييز بين قراءة متواترة وأخرى شاذة.

أما الأحاديث النبوية فهي حاضرة في كل مسألة من مسائل هذا المصنَّف،حيث يبدأ في بعض المسائل بإيراد الشاهد من الحديث ثم يُتبعه بشواهد من الشعر،ثم يضيف شاهدا آخر من الحديث ،وفي مواضع أخرى يقدم الشاهد من القرآن ثم يدعمه بشاهد أو أكثر من الحديث النبوي ، وفي الأخير يدعم ما ذهب إليه بشواهد من الشعر،كما تجده في مواضع أخرى يجعل الشاهد من القراءات في مقدمة شواهده ،ثم يأتي بشواهد من الشعر ثم يورد أقوالا تعود للصحابة وأهل البيت ليختم شواهده بشاهد من الحديث. لم يقتصر ابن مالك على أحاديث معينة،بل استشهد بكل الأحاديث سواء وردت في كتب الصحاح أم لا.

- عَدّ ابن مالك تلك الأحاديث المـُشكلة التي قام بتخريجها في كتابه ، نصوصا فصيحة يمكن اعتمادها في الاستشهاد لذلك استند إليها في مواضع عدة.

- وما لفت انتباهي أيضا في هذا الكتاب هو استشهاد ابن مالك بأبيات كثيرة مجهولة القائل،وليس هذا فحسب فهذه الشواهد الشعرية أوقعت العلماء الذين جاؤوا بعده في حيرة لأنهم لم يستطيعوا الوقوف على المصادر التي أخذ منها هذه الأبيات.

---

[1]- ينظر: ابن عقيل، " شرح ألفية ابن مالك "، 64/2 .

الحمد لله الذي أوصلني إلى هذه الخاتمة،

أحسبني بعد هذه الجولة في رحاب الحديث النبوي وموضوع الاستشهاد به،توصلت إلى جملة من النتائج التي تمثل لي خاتمة هذا البحث، وهي موزعة على النقاط الآتية:

1/إن المدارس النحوية ، رغم اختلافها الظاهر في المنهج ، فإن هذا الاختلاف لايتعدى الفروع ؛ لأن الأصول التي وضعها علماء النحو المتقدمون لا يمكن تغييرها .

2/ إنّ دراسة النحو بدأت من البصرة وفيها تطوّرت، حتّى نشأت مدرسة عُرفت بالمدرسة البصرية ، ومنها أخذ نحاة آخرون جذورُهم من الكوفة وبغداد والأندلس ، فكوّنوا مدارس ينتمون إليها ، ومن بين هذه المدارس كانت المدرسة الأندلسية؛ التي كان لها روّادها ، وهؤلاء الرواد بدورهم كانت لهم آراء مختلفة، وربما جديدة في مجال النحو .

3/ استحدث الأندلسيون إلى جانب مذهب البصريين والكوفيين والبغداديين مذهبا رابعا في النحو، وتمثّلت دعامة هذا المذهب في الآراء النحوية التي أبداها علماؤهم في بعض المسائل ، مثلما فعل ابن مالك وأصحابه في قضية الاستشهاد بالحديث، ولعل أهم ما يميز هذا المذهب توسّعه وتساهله في الأخذ بالشواهد النحوية.قرآنا وحديثا وشعرا. .

4/ استشهد جمهور كبير من علماء الأندلس بالحديث الشريف، شأنهم في ذلك شأن نحاة المشرق ، غير أنّ أهل الأندلس أكثروا منه، وهذا ما يُعد ميزة في مذهبهم، ولكن على الرغم من ذلك، فإنّ هناك نحاة آخرين من بلاد الأندلس منعوا الأخذ بالحديث النبوي وعلى رأسهم أبو حيان وشيخه ابن الضائع، وكانت لهم ـــ كما تبيّن في متن البحث حجج في ذلك، من بينها :

* جواز نقل الحديث بالمعنى، ووقوع اللحن فيما رُوي من الحديث، ولأنّ كثيرا من الرواة كانوا

أعاجم، و لم يتعلّموا لسان العرب بصناعة النحو، فوقع اللحن في نقلهم دون أن ينتبهوا لذلك،وكان هذا السبب من أهم الأسباب التي دفعت النحاة الأوائل إلى منع الاستشهاد بالحديث ،وفي مقابل ذلك ، لم يسكت المجيزون للاستشهاد به عمّا قدّمه غيرهم من المعارضين ،فقدّموا بدورهم حججهم وآراءهم في هذه القضية.

5/اختلف علماء النحو المتأخرين في السبب الذي دفع النحاة المتقدمين إلى عدم الاستشهاد بالحديث،مثلما فعلوا مع غيره من مصادر اللغة العربية ،لذلك جاءت آراءهم متباينة،فمنهم من رأى أن أنّ المشارقة لم يعتمدوا الحديث النبوي الشريف مصدرا رئيسا من مصادر التقعيد؛ لأنّهم كانو يمتلكون زاداً لغوياّ كبيراً تمثل في الشعر؛ الذي كان همَّ العربي وسدَمه،وأيضا النثر، إضافة إلى القرآن الكريم وقراءاته. وفي مقابل ذلك فإن قِلة المادة اللغوية لدى نحاة الأندلس هي التي دفعتهم إلى الإكثار من الاستشهاد بالحديث .

ومنهم من رأى أن المشارقة قد استشهدوا بالحديث النبوي ولكنهم عدوه داخلا في كلام العرب.

*وهناك من ذهب إلى أن مكمن السر في اهتمام نحاة الأندلس بالحديث هو؛انتشار المذهب المالكي في بلادهم وعنايتهم الفائقة بالقرآن الكريم والسنة.

6/ لم يُعْطَ الحديث النبوي حقّه المطلوب من الدراسة، ولو فعل النحاة ذلك لحصلوا على وافر من التراكيب؛ التي يمكن أن يعزّزوا بها بعض ما وصفوه بأنّه من الشاذّ، أو من القليل الذي لا يُقاس عليه . فالحديث هو الأصل الثاني من أصول الاستشهاد بعد كلام الله عزّ وجلّ، وقد كان من الواجب أن يُعدّ بعد القرآن في مترلة الاستشهاد به، لولا أنّ المسلمين الأوائل أجازوا روايته بالمعنى، و لم يعتمدوا فيه اللفظ الذي نطق به الرسول صلى اله عليه وسلّم غالبا؛ لذلك لم يعتمده النحاة

المتقدّمون، و لم يعتبروه أصلا من أصول الاستشهاد.

7/يُعد ابن مالك من النحاة الأوائل الذين أكثروا من الاستشهاد بالحديث النبوي،وهذا ما وقفت عليه في كتابه" شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح"،الذي كان خير نموذج بيّنت من خلاله صحة ما ذهب إليه الدارسون من أنّ نحاة الأندلس قد أكثروا من الاستشهاد بالحديث ،و ابن مالك من خيرة العلماء الذين يمثلون بحق منهج نحاة الأندلس لذلك اكتفيت بأحد أحسن مؤلفاته التي استشهد فيها كثيرا بالحديث.

وآخر مايمكن قوله هو أن موضوع الاستشهاد بالحديث يبقى موضوعا شيقا، يحتاج من الصبر والدراسة ما يحتاج ، لذا نهيب بالدارسين،والباحثين تكثيف المجهودات محبةً في الحديث النبوي الشريف وخدمةً لهذه اللغة الأصيلة .

و الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

القرآن الكريـــم برواية حفص.

أولا:العربية.

1. إبراهيم، أنيس: "في اللهجات العربية"، القاهرة، مكتبة الأنجلومصرية، (د.ط)، (د.ت).
2. إبراهيم بركات، إبراهيم "النحو العربي"، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط1، 2007م.
3. إبراهيم عبد الله، رفيدة: "النحو وكتب التفسير"، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية، ط3، م1990م.
4. إبراهيم مصطفى، وحامد عبد القادر، وأحمد حسن الزيات ومحمد علي النجار ، "المعجم الوسيط (1-2)"، دار الدعوة، استانبول، تركيا.(دط)،(دت).
5. الأتابيكي، جمال الدين: (813 هـــ/ 874 هـــ)، "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، تحقيق: إبراهيم علي طرحان، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (د.ط)، (د.ت).
6. ابن الأثير، أبو الحسن(630هـــ): "الكامل في التاريخ"، دار الكتب، بيروت، لبنان، ط6، 1986 م.).
7. ابن الأثير أبو الفتح ضياء الدين:(637هـــ): "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"،تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا –بيروت، (د.ط)، ـــ1444هـــ ، 1990 م.
8. أرسلان، الأمير شكيب: "الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية"، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.(دط)،(دت).
9. الأزهري، أبو منصور محمد (ت 370 هـــ): "تهذيب اللغة"،تحقيق:أحمد عبد الرحمن مخيمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 2004م.

10. إسماعيل، عز الدين،: "المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي"، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).
11. الأصفهاني، أبو الفرج: "الأغاني"، تحقيق: إحسان عباس وإبراهيم السعافين، بكر عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2002 مـــ.
12. الأفغاني سعيد : "في أصول النحو"، دار الفكر، (د.ط)، (د.ت).
- "من تاريخ النحو"، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
14.ألبير، مطلق: "الحركة اللغوية في الأندلس: منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر الملوك الطوائف"، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1967م.
15. امرؤ، القيس: "الديوان"، دار صادر، بيروت، لبنان، (دط)،(دت)، 1998م.
16.إميل بديع، يعقوب : " المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.
17.أمين، أحمد (1295 هـــ / 1373 هـــ)، "ضحى الإسلام"، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط10.(دت).
- "ظهر الإسلام"، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيرو ت، لبنان، ط2، 1428 هـــ/ 2007 مـــ.
- "فجر الإسلام"، دار الكتاب الحديث، القاهرة، الكويت، الجزائر، ط 1، 1425 هـــ/ 2004 مـــ.
20.الأنباري، كمال الدين أبو البركات:"الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين "ومعه كتاب "الانتصاف من الإنصاف" لمحمد محيي الدين عبد الحميد"، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،(دط)،2005م.
- "نزهة الألباء في طبقة الأدباء"، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة الأندلس، بغداد، ط2،(دت).

22.الأنصاري، جمال الدين بن هشام:"أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ومعه مصباح السالك إلى أوضح المسالك"، دار الفكر ، بيروت، لبنان،(دط)، 1420هـ، 2000 مـ.

- "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"، وبهامشه حاشية الشيخ محمد الأمير، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت،(دط).

24. الأنصاري، حسان بن ثابت(ت50هـ): " الديوان"، دار صادر، بيروت، (دط)،(دت).

25.الباقلاني أبو بكر (ت 403هـ): "إعجاز القرآن"، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، مصر، ط3.(دت).

26.بحيري سعيد، حسن: "المدخل إلى مصادر اللغة العربية"، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1428 هـ، 2008 مـ.

27.البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت256 هـ): "صحيح البخاري"، ترقيم وترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي، تقديم: أحمد محمد شاكر مع فهارس لأطراف الحديث، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 1425 هـ، 2004 مـ.

28.بغدادي، بلقاسم: "المعجزة القرآنية"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دط)،1992.

29.البغدادي، عبد القادر: (1030 هـ - 1093 هـ)، "خزانة الأدب ولب لُباب لسان العرب"، تحقيق:عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1409هـ، 1989مـ.

30.بكري شيخ، أمين:"أدب الحديث النبوي"، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط 3، 1396 هـ، 1976 مـ.

31.بكري، عبد الكريم:"ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1984م.

32.بليق، عز الدين ، "منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين"، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1398 هـ، 1978 مـ.

33.البنا محمد، إبراهيم ، "أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي"، دار البيان العربي للطباعة للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1405 هـ، 1985 مـ.

34.بيضون، إبراهيم "الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة (92-466 هـ/ 711-1031 مـ)"، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،(دط)، 1980م.

35.أبو تمام: "الديوان"، دار صادر، بيروت، ط01، 1997م.

36. تمام، حسان: "الأصول: دراسة ايبستيمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي: النحو-فقه اللغة- البلاغة"، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب،(دط)، 1999م.

- "اللغة بين المعيارية والوصفية"، مكتبة الأنجلومصرية، مصر، (دط)،1958م.

38.ابن التواتي، تواتي : "المدارس النحوية"، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 2008م.

- ابن التواتي، تواتي : "محاضرات في أصول النحو"، دار رويغي للنشر، الأغواط، الجزائر، ط1، (د.ت).

40.ابن تولب، النمر: " الديوان"، شرح نبيل طريفي، دار صادر بيروت، ط 1، 2000م.

41.ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين: "علم الحديث"، تحقيق وتعليق: موسى محمد علي، دار الفكر، الجزائر، دمشق، سورية، ط3، 1413 هـ - 1993 مـ.

42.الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـــ): "البيان والتبيين"، وضع حواشيه: موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424 هـــ، 2002 مـــ.

43.الجرجاني، عبد القاهر(471هـــ): "دلائل الإعجاز"، اعتنى به: علي محمد زينو، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1، 1426 هـــ.

44.الجرجاني، علي بن محمد بن علي الحسين (ت 816 هـــ): "كتاب التعريفات"، حققه وعلق عليه: نصر الدين التونسي، القاهرة، ط1، 2007م.

45.ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد: : "غاية النهاية في طبقات القراء "، تحقيق: براجستراسر، لبنان، ط1، 1427هـــ، 2006م.

ـــ "منجد المقرئين ومرشد الطالبين"، اعتنى به عبد الحليم بن محمد الهادي قابه، دار البلاغ، الجزائر، ط1، 2003م.

ـــ "النشر في القراءات العشر"، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط1، 2002م.

48.الجمحي، محمد بن سلام (ت 231 هـــ): "طبقات الشعراء مع مقدمة تحليلية، للكتاب ودراسة نقدية منذ الجاهلية إلى عصر ابن سلام،" دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1969م.

49.الجنان، مأمون بن محيي الدين:" أعلام الفقهاء و المحدثين-أبوحيان الأندلسي ومنهجه التفسيري ، دارالكتب العلمية، بيروت-لبنان،ط1، 1414هـــ، 1993م.

50.ابن جني أبو الفتح عثمان (ت 392 هـــ): "الخصائص"، تحقيق: الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، (د.ط)، 1428 هـــ، 2007 مـــ.

ـــ "سر صناعة الإعراب" ، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 2007م

ـ"المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،ط1419/1هـ,1998م.

53.أبو حجر، آمنة: "بلدان العالم"، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط 1، 2001م.

54.الحجي، عبد الرحمن علي: "التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة"، دار العلم، دمشق، ط2، 1429 هـ، 2008 مـ.

55.الحديثي، خديجة: "أبو حيان النحوي"، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط 1، 1385 هـ، 1966 مـ.

ـ "المدارس النحوية"، مكتبة اللغة العربية، بغداد، مجمع الزوراء، دار الأمل، ط3، 1422هـ، 2001م.

ـ "موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف"، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، (د.ط)، 1981م.

58. حسين، مؤنس: "فجر الأندلس: دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية(711 هـ - 756 هـ)"، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1423 هـ، 2006 مـ.

59.الحلواني، محمد خير: "أصول النحو العربي"، جامعة تشرين، اللاذقية، حلب، (د.ط)، 1979م.

60.الحملاوي، أحمد : "شذا العرف في فن الصرف"، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1424 هـ / 2004 مـ.

61.الحميدي، أبو عبد الله : " جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهةو الشعر "، تحقيق: صلاح الدين الهواري المكتبة العصرية، صيدا-بيروت،ط1، 1425هـ، 2004م.

62.ابن حنبل، أحمد أبو عبد الله الشيباني : " المسند"، مؤسسة قرطبة، مصر، (دط)، (دت).
63.الخفاجي، أبو محمد عبد الله (ت 466 هـ): "سر الفصاحة"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (د.ت).
64.ابن خلدون، عبد الرحمن (ت 808 هـ): "تاريخ العلامة ابن خلدون"، تقديم : عبد الهادي بن منصور عبد القادر بوزيدة – أحمد، موفم للنشر، الجزائر، (د.ط)، 1995م.
ـ "المقدمة"، المسمى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، طبعة جديدة ومنقحة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1424 هـ، 2004 مـ.
66.ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين (ت 681 هـ)، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت,(دط),(دت).
67. الداني، أبو عمرو : " الأحرف السبعة للقرآن"، تحقيق: عبد المهيمن طحان، مكتبة المنارة ، مكة المكرمة،(دط)، 1408هـ.
68. الداية، محمد رضوان: "في الأدب الأندلسي"، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية،(دط)، (د.ت).
69. الدؤلي، أبو الأسود: "الديوان"، تحقيق: محمد آل ياسين، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 1974م.
70. الدجني، فتحي عبد الفتاح: "ظاهرة الشذوذ في النحو العربي"، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1974.
71. الدماميني، بدر الدين (ت 827 هـ): البُلقيني سراج الدين (ت825 هـ)، "الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة على إثبات القواعد النحوية"، مكاتبة بين

بدر الدين الدماميني وسراج الدين البُلقيني، تحقيق: رياض بن حسن الخوّام، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1418 هـ، 1998 مـ.

72. الدمياطي، شهاب الدين : " إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ويسمى منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات"، تحقيق: محمد خلق الله أحمد و محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 3، 1397هـ، 1976م.

73. الدناع، محمد خليفة: "المختار من شرحي ابن خروف والصفار لكتاب سيبويه"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، مـ1996.

74. الراجحي، شرف الدين علي: "في علم اللغة عند العرب ورأى علم اللغة الحديث"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، (د.ت).

75. الراجحي، عبده:"دروس في المذاهب النحوية"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1980 مـ.

76. الرازي، فخر الدين (544 هـ - 604 هـ): "التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب"، قدم له هانئ الحاج، حققه وعلق عليه وخرج حواشيه عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، (دط)، 2003مـ.

ـ "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"، تحقيق: سعد سليمان حمودة، دار المعرفة الجامعية،(دط)، 2003مـ.

78.الرافعي، مصطفى صادق: "تاريخ آداب العرب"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.(دط)،(دت).

79. رؤبة، بن العجاج: "الديوان"، اعتنى به: وليد بن الورد البروسي، دار بن قتيبة، الكويت، (دط)،(دت).

80.رجب، عبد الجواد إبراهيم:"معجم علماء اللغة والنحو في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة (92-898 هـ)"، دار الآفاق العربية، ط 1، 1424 هـ، 2004مـ.

81. الرماني، الخطابي، عبد القاهر الجرجاني، "ثلاث رسائل في الإعجاز"، تحقيق: محمد حلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، القاهرة، مصر، دار المعرفة، ط 3، 1397 هـ، 1976 مـ.

82. الريسوني، محمد المنتصر : "الشعر النسوي في الأندلس"، قدم له: عبد الله كنون، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

83. الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن (ت 379 هـ): "طبقات النحويين واللغويين"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت).

84. الزجاجي، أبو القاسم (ت 337 هـ): "الإيضاح في علل النحو"، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط6، 1996مـ.

85. الزرقاني عبد العظيم، "مناهل العرفان في علوم القرآن"، دار إحياء الكتب العربية ، (دط)،(دت).

86. الزركشي، بدر الدين (745 هـ - 794 هـ): "البرهان في علوم القرآن"، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي،دار الحديث، القاهرة،(دط)،(دت)، 1427هـ، 2006مـ.

87. الزفزاف، محمد: "التعريف بالقرآن الحديث"، مكتبة الفلاح، الكويت، ط 4، 1404 هـ، 1984 مـ.

88. الزمخشري، أبو القاسم جار الله(ت538هـ): "الكشاف عن حقائق غوا مض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل"، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، و علي محمد معوض، مكتبة العيكان، الرياض، (دط)،1998م..

ـــ المفصل في صنعة الإعراب"،تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،ط1،، 1420 هـــ ،1999م.

90. زيدان، جورجي: "تاريخ آداب اللغة العربية"، موفم للنشر، المؤسسة الوطنية المطبعية الرغاية، الجزائر، (د.ط)، 1993م.

91. سالم، عبد العزيز: "قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس: دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي"، دار النهضة العربية،بيروت، لبنان ،ط1، 1971م.

92. سالم مكرم عبد العال،: "الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي"، منشورات مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع.(دط)،(دت).

93. سالم مكرم، عبد العال: "القرآن وأثره في الدراسات النحوية"، دار المعارف، مصر، (دط)، (دت).

94. السامرائي، إبراهيم: "المدارس النحوية، أسطورة وواقع"، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، 1987م.

95. السامرائي إبراهيم، عبود، "المفيد في المدارس النحوية"، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ط1، 1427 هـــ / 2007 مـــ.

96. السهيلي، أبو القاسم (ت581هـــ): نتائج الفكر في النحو، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار الرياض للنشر والتوزيع، الرياض،(دط)،(دت).

97. سيب، خير الدين: "القراءات القرآنية، نشأتها وأقسامها وحجيتها"، دار الخلدونية، الجزائر،(د ط)، 2005م.

98. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر: "الكتاب"، علق عليه ووقع حواشيه وفهارسه: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1420 هـــ، 1999 مـــ.

99. السيد، محمود: "الفتوحات الإسلامية"، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ط)، 2001م.

100. السيوطي، جلال الدين(ت 911هـ): "الأشباه و النظائر في النحو"،تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية ، صيدا،بيروت،(دط)،1426هـ,2006م.

ـ " الألفية في علم الحديث"، تصحيح وشرح: أحمد محمد شاكر، دار الرجاء، الجزائر، (دط)، (دت).

ـ "الإتقان في علوم القرآن"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهي م، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،(دط)، 2003م.

ـ "الاقتراح في علم أصول النحو"، مطبعة السعادة، بالقاهرة، ط1، 1976م.

ـ "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، تحقيق: مصطفى عبد القاهر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1425 هـ/ 2004 مـ.

ـ "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، شركة أبناء شريف أنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا، بيروت، ط1، 2004

ـ "همع الهوامع ،في شرح جمع الجوامع"، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، (دط)، 1421هـ، 2001م.

107. الشافعي، عماد الدين أبو الفداء (ت 774هـ): "جامع المسانيد والسنن- الهادي لأقوام سنن "، خرج حديثه و علّق عليه: عبد المعطي أمين فلعجي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، (،ط)،1415هـ، 1994م.

108. شامي، أحمد جميل: "النحو العربي: قضاياه ومراحل تطوره"، دار الحضارة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (دط)، 1418 هـ/ 1997 مـ.

109. شحاتة، عبد الله محمود: "مفتاح السنة"، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي،(دط)، 1984 مـــ.
110. الشطشاط، علي حسن: "تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة"، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،(دط)، 2001 مـــ.
111. شعبان، صلاح: "مواقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجري"، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،(دط)،2005مـــ.
112. الشلقاني، عبد الحميد: "رواية اللغة"، دار المعارف، مصر، (دط)، (دت).
113. الصابوني، محمد علي : " التبيان في علوم القرآن"، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ،(دط)، 2004م،1424هـــ.
114. صبحي، الصالح: " علوم الحديث و مصطلحاته- عرض و دراسة "، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،ط2، 1999م.
115. ضيف، شوقي: "المدارس النحوية"، دار المعارف، مصر، ط2، 1972.
ـــ "تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع نهج تجديده"، دار المعارف، القاهرة، ط2، (دت).
117.الطبراني، سليمان بن أحمد : " مسند الشاميين"، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي"، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، (دط)، 1405هـــ، 1984م.
118. الطنطاوي، محمد: "نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة"، دار المعارف، مصر،(دط)،(دت).
119. ابن الطيب الفاسي، أبو عبد الله محمد: "فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح"، وفي أعلاه عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، "الاقتراح في أصول النحو وجدله"، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط2، 2002م.

120. أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي: "مراتب النحويين"، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2002م.
121. العبادي، أحمد مختار: "في التاريخ العباسي والأندلسي"، دار النهضة، بيروت، لبنان،(دط)، 1972م.
122. عباس، حسان: "تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين"، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط6، 1981م.
123. عبد الحسين، محمد: رشيد عبد الرحمن، طارق عون، "تاريخ العربية"، (د.ط)، (د.ت)، (د.دار النشر).
124. ابن عبد ربه، الأندلسي (ت 328 هـ): "العقد الفريد"، تحقيق: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1406 هـ، 1986 مـ.
125. العيد، محمد: "الرواية والاستشهاد باللغة: دراسة لقضايا الرواية والاستشهاد في ضوء علم اللغة الحديث"، عالم الكتب، القاهرة،(دط)، 1972م.
126. عتيق، عبد العزيز: "المدخل إلى علم النحو والصرف"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط2، 1974م.
127. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: "فتح الباري بشرح الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري"، دار الفكر، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، أشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار الفكر.(دط)،(دت).
128. العسكري، أبو هلال (ت 395 هـ): "الصناعتين: الكتابة والشعر"، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1409 هـ، 1989 مـ.

129. ابن عقيل، بهاء الدين (ت 769 هـ): "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك"، ومعه كتاب "منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل"، لمحمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة درا التراث، القاهرة،(دط)،1426 هـ، 2005 م.

130. عكاشة، محمود : "علم اللغة: مدخل نظري في اللغة العربية"، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط1، 1428 هـ، 2007 م.

131. علي بن محمد: "النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس: مضامينه وأشكاله"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.

132. علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوره وموضوعاته وأشهر أعلامه"، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1989م.

133. ابن عمار، درين محمد: "تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس"، سلسلة الرسائل الجامعية، الرياض، ط1، 1427 هـ، 2006 م.

134. عنان محمد، عبد الله: "دولة الإسلام في الأندلس: العصر الأول، القسم الثاني، الخلافة الأموية والدول العامرية"، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، مطبعة المدني، مؤسسة السعودية، القاهرة، مصر، 1997 م، 1417 هـ، 1997 م.

135. عيساني، عبد المجيد: "النحو العربي بين الأصالة والتجديد: دراسة وصفية نقدية لبعض الآراء النحوية"، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط 1، 1429 هـ، 2007م.

136. العيني، بدر الدين محمود (ت 855 هـ): "المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية"، المشهور بـ"شرح الشواهد الكبرى"، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426 هـ، 2005 م.

137. غريب، جورج: "العرب في الأندلس"، سلسلة الموضوع في الأدب العربي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).

138. الفاخوري، حنا : "الموجز في الأدب وتاريخه: الأدب في الأندلس والمغرب، أدب الانحطاط"، دار الجيل، بيروت، ط3، 1424 هـ، 2003 مـ.

139. الفارابي، أبو نصر: "الحروف"، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيرو، لبنان.

140. ابن فارس، أبو الحسن أحمد(ت 395هـ): "الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها"، تحقيق: أحمد حسن شيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2007م.

- "معجم مقاييس اللغة"، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1411 هـ، 1991 مـ.

142. فجال، محمود: "الحديث النبوي في النحو العربي"، المملكة العربية السعودية، الرياض، دار أضواء السلف، ط2، 1418 هـ، 1997 مـ.

143. الفراء، أبو زكريا يحيى (ت 207 هـ): "معاني القرآن"، قدم له وعلق عليه ووَضع حواشيه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1423 هـ، 2002 مـ.

144. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت 175 هـ):"معجم العين"، تحقيق: نهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، (دط)، 1981م.

145. الفرزدق: "الديوان"، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت-لبنان، (دط)،(دت).

146. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817 هـ): "البلغة في تاريخ أئمة اللغة"، اعتنى به بركات يوسف هبود، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط 1، 1422 هـ، 2001 مـ.

-"القاموس المحيط"، قدم له وعلق على حواشيه: أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي(ت 1291 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1428هـ، 2007مـ.

148. القالي، أبو علي:"الأمالي"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(دط)،(دت).

149. ابن قتيبة، ابن مسلم (ت276هـ):"تأويل مشكل القرآن"، تحقيق: أحمد صقر، مكتبة التراث، القاهرة، طبعة جديدة منقحة، 2006 مـ.

-"الشعر والشعراء"، دار صادر، طبع في مدينة ليدن، المحروسة، مطبعة بريل المسيحية، (دط)، 1902م.

151. القرطبي، أبو عبد الله: "الجامع لأحكام القرآن"، تحقيق: أحمد البردويني وإبراهيم الطفيش، دار الكتب العصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ، 1964م.

152.القرطبي، أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد الأنصاري المغربي (ت461هـ)، " الموضح في التجويد"، ضبط أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (دط)، 2006م .

153. القسطلاني، شهاب الدين:" لطائف الإشارات لفنون القراءات"، تحقيق: عامر السيد، لجنة إحياء التراث، القاهرة، مصر،(دط)، 1392 هـ، 1971 مـ.

154. قطب، سيد: "التصوير الفني في القرآن الكريم"، دار الشروق، ،بيروت، لبنان، (دط)، (دت).

155. القفطي جمال الدين أبو الحسن (ت 624 هـ):"انباه الرواة على أنباه النحاة"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ط1، 1424 هـ، 2004 مـ.

156. القيرواني، ابن رشيق (390 هـ - 456 هـ):"العمدة في محاسن الشعر وآدابه"، تحقيق: محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 1، 1408 هـ، 1988 مـ.

157. قيصر، مصطفى:"حول الأدب الأندلسي"، مؤسسة الأشرف للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).

158. لخضر، محمد حسين:"القياس في اللغة العربية"، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1406 هـ، 1986 مـ.

159. ابن ماجه: "السنن"، شرح الإمام أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي(1138 هـ) وبحاشية : "تعليقات مصباح الزّجاجة في زوائد ابن ماجه " للإمام البويصري(840هـ) حقق أصوله وخرّج أحاديثه على الكتب الستة ورقمه حسب المعجم المفهرس: خليل مأمون شِيحا، دار المعرفة، بيروت ،لبنان، ط4، 1427هـ، 2006م.

160. ابن مالك أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 672 هـ):"تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد"، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الأوقاف، (دط)، 1387 هـ، 1967 مـ.

-"سبك المنظوم وفك المختوم"، تحقيق: عدنان محمد سلمان فاخر جبر مطر، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة، دبي، ط 1، 1425 هـ، 2004 مـ.

- "شرح التسهيل"، تحقيق: عبد الحميد السيد، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، ط1، (دت) ، 1974مـ.

- "شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح"، تحقيق: طه محسن، الجمهورية العراقية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، إحياء التراث الإسلامي، (دط)، 1405 هـ، 1985 مـ.

- "متن الألفية (الخلاصة)"، دار الإمام مالك، باب الواد، الجزائر، ط 1، 1423هـ، 2002م.

165. مالك بن أنس (ت179هـ): "الموطأ"، تقديم: فاروق سعد، دار الأفاق الجديدة، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء، ط3، 1405هـ، 1985م.

166. المبرد، أبو العباس بن محمد بن يزيد (ت 285 هـ): "الكامل في اللغة والأدب"، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،1993م.

-"المقتضب"، إعداد: حسن حمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420 هـ، 1999 مـ.

168. مجاهد عبد الكريم:"علم اللسان العربي"، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005م.

169. محمد سالم، صالح: "أصول النحو، دراسة في فكر الأنباري"، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1427 هـ، 2006 مـ.

170. المخزومي، مهدي العربي: "عبقري من البصرة"، دار الرائد، بيروت، لبنان، ط2، 1986 مـ.

171. مرتاض، عبد الجليل: "بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب"، مؤسسة الأشرف للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.

-" في رحاب اللغة العربية"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر,(دط)،2004

-"اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي"، دار الغرب للنشر، وهران (دط),(دت).

-"الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة: دراسة لسانية في المدونة والتركيب"، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط 2002.

175. المرزباني، أبو عبد الله محمد ،(ت 384 هـ)، "الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء"، تحقيق وتقديم: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415 هـ، 1995 م.

176. مسلم ، أبو الحسين بن الحجاج بن القشيري النيسابوري(ت 261 هـ):"صحيح مسلم المعروف بالجامع الصحيح"، اعتنى به وراجعه: هيثم خليفة الطعيمي، صيدا، بيروت، لبنان، 1424 هـ، 2004 م.

177. مسلم، محمد:"مباحث في إعجاز القرآن الكريم"، المملكة العربية السعودية، الرياض، دار المسلم للتوزيع والنشر، ط2، 1416 هـ، 1996 م.

178. المشهداني، حمودي زين الدين عبد:"الدراسات اللغوية خلال القرن الرابع الهجري"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426 هـ، 2005 م.

179. المعري، أبو العلاء (ت 449 هـ): "رسالة الغفران"، وضع حواشيه: علي حسين فاغور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(دط)، 2001.

180. عبد الواحد المقرئ، أبو طاهر بن عمر بن محمد بن أبي هاشم (ت 349 هـ):" أخبار النحويين"، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1427 هـ، 2006 م.

181. المقري، أحمد بن محمد التلمساني:"نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب"، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، إشراف: مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

182. منى، إلياس: "القياس في النحو مع تحقيق باب الشاذ من المسائل العسكريات لأبي علي الفارسي"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1405 هـ، 1985 م.

183. ابن منظور، أبو الفضل :"لسان العرب" دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، مادة شهد,(دط),(دت).

184. مهران، محمد بيومي:"دراسات تاريخية من القرآن الكريم في بلاد العرب"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (دط)،1408 هـ، 1988 م.

185. المهيري، عبد القادر:"نظرات في التراث اللغوي العربي"، دار الغرب الإسلامي، معهد الثقافة الشعبية، (دط)، (دت).

186. ابن النديم، أحمد بن إسحاق:"الفهرست"، تحقيق مصطفى الشويعي، الدار التونسية للنشر، تونس، (دط)،1406 هـ، 1985 م.

187. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب:" السنن الكبرى "، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري و سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (دط)، 1411هـ، 1991م.

188. النعيمي، حسام سعيد:"الدراسات اللهجية والصوتية عندابن جني"، دار الطليعة، بيروت، (د.ط)، 1428 هـ/ 1980 م.

189. نوار، عبيدي:"التركيب في المثل العربي: دراسة نحوية للجملة الاسمية"، مطبعة المعارف، ط1، 2005م.

190. النووي، محي الدين الجنان:" أعلام الفقهاء أبو زكرياء يحي بن شرف الدمشقي الشافعي، "شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية،" شرح الإمام ابن دقيق العيد، اعتنى به الأستاذ عبد الهادي قطش، دار الهدى ، عين مليلة، الجزائر، (دط)، 2002م.

191. النيسابوري أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ (ت 405ه):"معرفة علوم الحديث"، اعتنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه مع ترجمة المصنف: السيد معظم حسين، ام، أي، دي، فل (اكن)، أبو عبيد البكري، (د. دار النشر)، (د.ط)، (د.ت).

ـ" المستدرك على الصحيحين" ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ، 1990م.

193. الهاشمي، سيد أحمد:"جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب"، دار الفكر، بيروت، لبنان، (دط)، 2007م.

194. الهذلي، أبو ذؤيب:" الديوان"، شرح و تقديم: سو هام المصري، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، ط1، 1998م.

195. الهيتي، عبد القادر رحيم: "خصائص المذهب الأندلسي النحوي خلال القرن السابع الهجري"، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 1993م.

196. ولد أباه، محمد المختار:"تاريخ النحو العربي في المشرق و المغرب"، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، ط2، 1429هـ،2008م.

197. ياقوت الحموي، شهاب الدين: "معجم الأدباء"، طبعة مصححة و فيها زيادات، دار الفكر للطباعة و النشرو التوزيع، ط3، 1980م

-"معجم البلدان"، دار صادر، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).

199. ياقوت، محمد سليمان: "معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث"، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، (د.ط)، 2002م.

200. ياقوت، محمود سليمان:"مصادر التراث النحوي"، دار المعرفة الجامعية، 2003م.

ثانيـــا: الكتب المترجـــمة إلى العربية.

201. بالانثيا آنـــخل جانثلاث : "تاريخ الفكر الأندلسي"، نقله عن الاسبانية: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة(دط)، 1427 هـــ، 2006م.

202. غارودي روجي: "الإسلام في الغرب: قرطبة عاصمة العالم والفكر"، ترجمة: ذوقان قرطوط، دار دمشق للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 1995 م.

203. يوهان فك (Johann Fuck): "العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب"، نقله إلى العربية وحققه وفهرسه،: عبد الحليم النجار، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة,(دط)، (دت).

ثالثـــا:الرسائل الـــجامعية.

204. فادي صقر، أحمد عصيدة: "جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي"، إشراف وائل أبو صالح، أطروحة ماجستير في اللغة العربي وآدابها، 2006، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين.

205. مرتاض، عبد الجليل: "الفوارق النحوية بين اللهجات العربية الفصيحة"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 1982م.

206. مصطفاوي، عمار: "الجهود اللغوية في المغرب الأوسط من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجريين"، رسالة دكتوراه في اللغة، جامعة تلمسان، أبو بكر بلقايد، 2007 مـــ.

رابعـــا: الـــمجلات.

207. بلعيد، صالح : "الاحتجاج اللغوي"، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، مجلة دورية لغوية علمية يصدرها المجمع الجزائري للغة العربية، جامعة مولود معمري، العدد 1، السنة الأولى، ربيع الأول، 1426 هـ، ماي 2005 م.

208. جلايلي، أحمد: "مراتب النصوص في الاحتجاج النحوي"، مجلة الأثر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد 4، ماي 2005م.

209. روبْحي، لخضر : "أهمية الشاهد النحوي في تفسير القرآن الكريم: تفسير جامع البيان لابن جرير الطبري نموذجا"، مجلة الأثر، مجلة الآداب والعلوم واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد 6، ماي، 2007 م.

210. الفاسي، علال : "سيبويه والمدرسة الأندلسية في النحو"، مجلة اللسان العربي، "مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،الرباط، (1395 هـ / 1975 م).

Résumé :

Ce sujet a abordé l'argumentation d' el-hadith du prophète chez les grammairiens d' Andalousie en essayant de discerner les causes qui l'ont poussé à l'adapter, ainsi les raisons de le considéré comme une référence essentielle dans la grammaire, par contre les grammairiens de l'orientales l' ont négligé, aussi cette recherche s'est appliquée à tirer les arguments du el-ahadith en se basant sur le livre d' Ibn-malik « Chawahid el-tawdih wa tashih limouchkilat el-dja miaa assahih ».

Mots clés: référence , l'argumentation, d' el-hadith du prophète ,syntaxe, Andalousie.

Abstract :

This research tries to reveal the reason behind interst of the grammar scholars of andalous intersting of the prophetic hadith quote which considred as a main source in making the grammar rules, which it was neglected by eastern scholars. The research also aims at getting out the prophetic hadith quotation that exist in Ibn -malik book « Shawahidth attawdith wa attashih limouchkilat el-djamia assahih».

Key words :reference, argumentation, the prphetic el-hadith, syntax, Andalous.

الملخص :

تناول هذا الموضوع الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف عند نحاة الأندلس، حيث حاولت أن أتبين من خلاله عناية نحاة هذا القطر به، وأسباب اعتماده مصدرا أساسيا في التقعيد اللغوي، في حين أغفله النحاة المشارقة، كما هدف هذا البحث إلى استخراج الشواهد الحديثية في كتاب " شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح" لابن مالك.

الكلمات المفتاحية :

مصادر، الاستشهاد، الحديث النبوي، النحو، الأندلس.